موسوعة

الأدب العربيّ في الأحواز

خلال حكم إمارتي المشعشيين والكعبيين



موسوعة

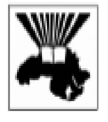
الأدب العربي في الأحواز

اسم الكتاب: موسوعة الأدب العربي في الأحواز

المؤلف: د. عبد الرحمن كريم اللّامي

الطبعة الأولى: ٢٠١١م - ١٤٣٢هـ

ISBN 978-9953-563-64-0



الدار العربية للموسوعات

الحازمية - مفرق جسر الباشا - سنتر عكاوي - ط١ - بيروت - لبنان
ص.ب: ٥١١ الحازمية - هاتف: ٩٥٢٥٩٤ ٥ ٠٠٩٦١ - فاكس: ٤٥٩٩٨٢ ٥ ٠٠٩٦١
هاتف نقال: ٣٨٨٣٦٣ ٣ ٠٠٩٦١ - ٥٢٥٠٦٦ ٣ ٠٠٩٦١
الموقع الإلكتروني: www.arabenchouse.com البريد الإلكتروني: info@arabenchouse.com

موسوعة الأدب العربي في الأحواز

خلال حكم إمارتي المشعشيين والكعبيين

تأليف

د. عبد الرحمن كريم اللاّمي

الدار العربية للموسوعات

كلمة الناشر

....

شعب الأحواز جزء من الشعب العربي، يـرتبط معـه بـأواصر الأخـوة والمصير واللُّغـة والتـاريخ والأرض والتقاليـد والثقافـة، وشـارك إخوانـه العـرب في بنـاء مجـدهم وازدهار حضارتهم في أيام عزهم وسلطانهم، وبعد سقوط بغـداد عـلى أيـدي التـتر عـام 656هـ لم يكن حال عرب الأحواز بأحسن من حال أهل العراق، إلى أن قيض اللـه لهم تأسيس الحكم العربي في منتصف القرن التاسع الهجري/ منتصف القـرن الخـامس عشر الميلادي، والذي استمرَّ حتى الربع الأول من القرن العشرين، تناوب عليه المشعشـعيون والكعبيون.

وفي ظل الحكم العـربي للإقلـيم ازدهـرت نـواحي الحيـاة كافـة، ومـن بينهـا الثقافة والأدب، وكان أروع نهوض شهده الأدب في الحقبـة الواقعـة بـين عـام 1000- 1350هـ وخلال هذه المدة ظهر عشرات مـن الشـعراء والكتـاب وكـان نهجهـم هـو الاقتداء بالنماذج الرائعة من تراثنا العربي الذي خلفه فحول الشعراء والكتاب، فنكبوا بشغف بالغ على تصانيف الأقدمين ودواوينهم، فدرسوها بإتقان، فجاء أدبهم يضاهي أدب القـدماء في خصائصـه وجمالـه وبلاغتـه وروعتـه، وفي ميـدان الشـعر نظمـوا في

الأغـراض كافـة، فأبـدعوا في المـديح والحماسـة والرثـاء والشـكوى والوصـف والحكمـة والإخوانيات والغزل وفي كلِّ فنٍّ من هذه الفنون تتجلى صور التفـوق والإبـداع والمهـارة في معالجة الموضوعات التي طرقوها في شعرهم، لما اتصفوا به مـن سـعة خيـال وطـول نفس، وكان المذهبان الفنيان مذهب أهل الطبع ومـذهب أهـل الصـنعة واضـحين كـل الوضوح في شعرهم. ومن شعرائهم من اختص بالشعر وحده ومنهم من اختص بالشـعر والكتابة معاً. وشعراء الأحواز هم الذين اخترعوا فن النبد بوصـفه سـابقة فنيـة تسـجل لهم توضح مدى تفاعلهم وتحسسهم لأبعاد فنهم وقدرتهم على الخلق والتجديد.

أما في النثر فإن لهم باعاً طويلة فيه، لا تقلُّ شأناً عن الشعر، وينقسم النـثر إلى قسمين: نثر علمي كتبوا به المصنفات العلمية على اختلافها، ونثر فني تناولوا فيه تصوير الحوادث والسير الذاتية والرسائل السياسـية والإجـازات العلميـة والوصـف والمنـاظرات والطرائف والحكايات والإخوانيات وغيرهـا. وكـانوا في كـل مـا كتبـوا مقتـدين بأسـاليب القدماء في كتاباتهم، منهم من التزم بالمذهب البديعي، ومنهم من استمر عـلى سـجيته دون كلفة.

وفي بدايـة القـرن العشريـن ظهـرت كتابـات حديثـة تحفـل بـالمعنى وسلاسـة الألفاظ وتجافي البديع والزخرفة اللفظية.

إن الأدب الأحـوازي في القـرون الثلاثـة السـابقة لهـذا القـرن، كـان من القوة والرصانة ما يجعله في مرتبـة الآداب العربيـة الراقيـة أيـام عزِّهـا وازدهارهـا تمسـك بالأسـس السـليمة للأسـاليب العربيـة في الـنظم والنـثر

وطرق كافة الأغراض، وتعامل مع حياتهم تعاملاً إيجابيًّا، وتفاعل مع واقعهم، فنقل لنا أخبارهم وصوراً من حياتهم، لولا الأدب ما كادت أن تعرف.

والأدب العربي في إقليم الأحـواز هـو امتـداد لـلأدب العـربي عـلى مـر العصـور والدهور يتجلى ذلك في أغراضه وموضوعاته وأنواعه وخصائصه وتطلعات أدبـاؤه سـواء أكان شعراً أو نثراً.

بسم اللـه الرحمن الرحيم

المقدمة

....

إن هذه الموسوعة تتناول الحياة الأدبية ومسيرة الأدب العربي مدة ثلاثة قرون ونصف في إقليم عربي من أقاليم وطننا العربي الكبير عزيز علينا تربطنا بشعبه روابط الأمة الواحدة والمجتمع العربي الواحد ومكانة شعبه من الشعب العربي مكانة العضو المهمّ النافع من الجسد الواحد، والحديث عن صلته بأمتنا العربية المجيدة من البديهيات التي ليست بحاجة إلى برهان. ولكن على الرغم من هذه الصلة الوثيقة والعلاقة المتينة التي تشدُّنا إلى إقليم الأحواز وشعبه وتربطنا به قديماً وحديثاً كان حظه ضئيلاً من الدراسات الأكاديمية المنظمة في الميدان الثقافي والأدبي...

أن معظم الدراسات التي تناولت إقليم الأحواز، كان يجري التركيز فيها على الجوانب السياسية والاجتماعية والاقتصادية، دون الاهتمام بالجانب الثقافي والأدبي، وإذا ما ظهر شيء بخصوص الثقافة والأدب، فهو مجرَّد إشارات وتلميحات جاءت عرضاً ضمن دراسات أخرى غير مستوفية للموضوع بصورة تتلاءم مع ما قدمه شعب الأحواز من ثقافة وأدب وإسهامات كبيرة في الحركة الفكرية العربية في الماضي والحاضر.

والمعروف عن هذا الشعب أن له دوراً كبيراً في ميادين العلوم والآداب وبناء صرح الحضارة العربية الإسلامية، ونبوغ العشرات من أبنائه في شتى الاختصاصات منذ القرن الأول الهجري حتى عصرنا الحاضر.

إن دراسة أدب الأحوازيين وثقافتهم، أصبحت مسألة ضرورية لإبراز حيويتهم وتمسكهم بلغتهم التي تعد الركيزة الأولى لعنوان أصالتهم ومجدهم العريق، وتدوينهم فيها مختلف الفنون والعلوم التي ورثوها عن أسلافهم، أو ابتدعوها وتفوقوا بها، إن دراسة من هذا النوع جهد مثمر يضاف إلى الجهود الدراسية الأخرى لتوضيح معالم الأحوازيين ومكانتهم من الأمة العربية وصلتهم بإخوانهم العرب الآخرين في الحقب الزمنية المختلفة.

وموضوع أدب الأحواز من السعة بحيث لا يمكن استيعابه في دراسة واحدة محدودة الزمان، فلا بد من تقسيمه على أساس العصور السياسية ثم دراسة كل عصر على حدة، ففي العصرين الأموي والعباسي يدرس أدب الأحواز ضمن حركة الأدب العربي العامة لذينك العصرين، وأمره واضح المعالم، أما في العصرين التتري والتركماني، فقد اضمحلَّ الأدب العربي في الأحواز اضمحلال جوانب الحياة الأخرى، ولم يستيقظ من رقدته إلاّ في عصر المشعشعيين.

ففي منتصف القرن التاسع الهجري - منتصف الخامس عشر الميلادي - استطاع الأحوازيون أن ينشئوا لأنفسهم كياناً سياسيًّا مستقلًّا استمرَّ حتى الربع الأول من القرن العشرين. حينما غزت الحكومة الإيرانية أراضي الاقليم، وقهرت أهله العرب وأخذت تحكمهم حكماً مباشراً وسط إجراءات ألقسر والاستعباد متجاهلة حقهم في الحرية والاستقلال والثقافة وغيرها.

وفي زمن الاستقلال شهد الإقليم انبعاثاً حضاريًّا شاملاً ونهوضاً ثقافيًّا واسعاً وتوجهاً صادقاً لإحياء تراث الأجداد الأدبي، فنبغ عشرات من العلماء والشعراء والكتاب من أهل الإقليم، خلفوا آثاراً علمية وأدبية جديرة بالدراسة والرعاية، وكان إنتاجهم الأدبي في المدة من 1000-1350هـ يصلح أن يكون مادة دراسية وينتفع بها كَلَبِنَة من لبنات صرحنا الأدبي العريق.

الأحواز

لمحة جغرافية

....

قال ياقوت: الأهواز: آخره زاي، وهو جمع هوز، وأصله حوز، فلما كثر استعمال الفرس لهذه اللفظة غيرتها حتى أذهبت أصلها جملة، لأنه ليس في كلام الفرس حاء مهملة، وإذا تكلموا بكلمة فيها حاء قلبوها هاء. فقالوا في حسن هسن، وفي محمد مهمد: ثم تلقفها منهم العرب وقلبت بحكم الكثرة في الاستعمال، وعلى هذا يكون الأهواز اسماً عربيًّا سمي به في الإسلام، وكان اسمها في أيام الفرس خوزستان، وفي خوزستان مواضع يقال لكل واحد منها خوز كذا، منها: خوز بني أسد وغيرها، فالأحواز اسم الكورة بأسرها، وأما البلد الذي يغلب عليه هذا الاسم عند العامة اليوم فإنما هو سوق الأحواز، وأصل الحوز في كلام العرب مصدر حاز الرجل الشيء يحوزه حوزاً إذا حصله وملكه. قال أبو منصور الأزهري: «الحوز في الأرضين أن يتخذها رجل ويبين حدودها فيستحقها فلا يكون لأحد فيها حق فذلك الحوز، هذا لفظه»([1]).

وسمتها العرب سوق الأحواز يريدون في سوق هذه الكورة المحوزة أو سوق الأخواز، بالخاء المعجمة، لأن أهل هذه البلاد يقال لهم الخوز([2]).

---

(1)معجم البلدان 284/1.

(2) المصدر السابق 385/1.

وقد تناول الجغرافيون والبلدانيون العرب وغيرهم هـذا الإقلـيم بالدراسـة بمـا يتناسب وأهميته لكونه جزءاً من الوطن العربي، له من الخصائص والصفات مـا تجعلـه موضع عنايتهم.

قال ابن حوقل: وما كان من حدود عبادان([1]) إلى الأنبار مواجه لنجد والحجـاز فمن بادية العراق... وأما المسافات بديار العرب فإن الـذي يحـيط بهـا مـن عبـادان إلى البحرين نحو إحدى عشرة مرحلة، ومن البحرين إلى عُمان نحو شهر... ومن الكوفـة إلى البصرة اثنتا عشرة مرحلة، ومن البصرة إلى عبادان مرحلتان([2]).

ويوضح الكاتب نفسه بشيء من التفصيل حدود الإقليم وأهم مدنه والمسافات بين هذه المدن وطرق المواصلات([3]).

قال المقدسي: «الأحواز هو مصر الإقليم... إلاّ أنه خزانة البصرة ومطـرح فـارس وأصبهان، وبه قياسير حسنة وأخباز نظيفة وآدام، وبه تجتمع الخـزور والـديباج، وإليـه تحمل البضائع والأموال وهو مغوثة وفرجة للتجار ومنهل عامر لكل مـارّ، واسـمه كبـير في الأقاليم والأمصار»([4]).

قال صاحب الروض المعطار: «والأحواز موضع يجمع سبع كور»([5]).

---

(1)وهي إحدى مدن إقليم الأحواز.

(2)صورة الأرض، ص 59.

(3)المصدر السابق، ص 225-232.

(4)أحسن التقاسيم، ص 410.

(5)الروض المعطار، ص 62.

■ الموقع والحدود:

1 -الموقع وأهميته:

الأحواز: في الإقليم الثالث طولها من جهة الغرب خمس وسبعون درجة وعرضها من ناحية الجنوب اثنتان وثلاثون درجة، والأحواز كورة بين البصرة وفارس([1]).

ويقع إقليم الأحواز في القسم الشمالي الشرقي من الخليج العربي ويسيطر على جزء من سواحله الشمالية الشرقية كما أنه يحادد العراق من الجنوب الشرقي، ويحتلّ موقعاً مهماً في شرق الوطن العربي، ويمثل منطقة حاجزة بين آسيا العربية وغير العربية، وهو محصور بين خطي عرض 30 ^{0}، 33 ^{0}شمالاً أما بالنسبة لخطوط الطول فيقع بين خطي 48 ^{0}، 51 ^{0} شرقاً، وبهذا يكون امتداده من الشرق إلى الغرب يساوي امتداده من الشمال إلى الجنوب([2]).

ويتمتع إقليم الأحواز بموقع مهمّ قديماً وحديثاً ساعدت عليه عدة عوامل، فهو جزء من الجسر الأرضي الذي يمثله الوطن العربي بين القارات الثلاث آسيا وإفريقيا وأوربا، وأنه يشرف على سواحل الخليج العربي من الجهة الشمالية الشرقية، وتستطيع البواخر الطافية على مياه الخليج العربي وشط العرب أن تنفذ إلى داخل الإقليم بواسطة نهر كارون الذي هو رافد مهم من روافد شط العرب من جهته الشرقية([3]).

إن هذه المزايا منحته مكانة تجارية جعلت موانئه تعجُّ بحركة

(1)معجم البلدان 285/1.

(2)التاريخ السياسي لإمارة عربستان العربية، ص 29.

(3)دليل الخليج - القسم الجغرافي، 126/1، 1216/2، والأحواز الحلو 17/1، تاريخ إقليم الأحواز للشيخلي، ص4.

البواخر والسفن التجارية في عصور مبكرة من حضارة وادي الرافدين حتى عصرنا الحاضر، لوقوعه في نهاية أقصر الطرق التي تربط بين البحر الأبيض المتوسط والمحيط الهندي.

وإقليم الأحواز يقع ضمن خط الدفاع الأول عن شرق الوطن العربي، وإنه محاط بسلاسل جبلية من جهتي الشرق والشمال بمثابة موانع طبيعية حصينة تفصله عن إيران، ولا نجد مانعاً طبيعيًّا يفصله عن الوطن العربي([1]).

2 -الحدود:

يحد الإقليم من الشمال والشرق إيران، ومن الجنوب الخليج العربي ومن الغرب العراق([2]).

3- المساحة والسكان:

تبلغ مساحة الأحواز (159/600) ألف كيلومتر مربع. حيث إن طولها (420) كيلومتر، وعرضها (380) كيلومتراً([3]).

أما عدد سكان الإقليم فعددهم 3.5 مليون عربي حسب إحصاء سنة 1962م، مع وجود أقلية فارسية وكردية([4]).

- السطح:

يعد إقليم الأحواز امتداداً طبيعيًّا لسهل وادي الرافدين المؤلف من الأراضي الرسوبية الطموية التي كونتها ترسبات نهري دجلة والفرات

---

(1)الأحواز 17/1.

(2)بلاد الأحواز 22/1، تاريخ إقليم الأحواز، ص20.

(3)المصدر السابق 24/1.

(4)المصدر السابق 25/1.

وكارون في مواسم الفيضان، على مر العصور بما تحمله من كميات ضخمة من الغرين وهي متحدرة من السلاسل الجبلية المحيطة بهذا الوادي من جهتي الشرق والشمال، فأراضي الأحواز على العموم سهلية ومنبسطة في معظم جهاتها تفصلها عن إيران سلاسل جبال البختيارية من جهة الشرق وسلاسل جبال لرستان من جهة الشمال، ولا يفصلها عن العراق أي عارض طبيعي([1]). كما توصف الحدود بين إقليم الأحواز والعراق بأنها الحدود غير المحدودة([2]).

ويرى لوريمر: أن سطح الأحواز يقسم إلى قسمين بسبب الفوارق الجغرافية والطبيعية والمناخ وأمور أخرى، وهما:

1 -القسم الشمالي:

ويتكون من مناطق دزفول وتستر وعقيلي ورامز. وتتكون معظم هذه المناطق من سلاسل جبلية وتلال.

2- القسم الجنوبي:

ويشمل مناطق الأحواز والفلاحية والحويزه والهنديان والجراحي والمحمّرة. وتتكون على وجه الإجمال من سهول غرينية مكشوفة تكون قاحلة في بعض الأماكن أو ينتشر عليها القليل من النباتات الصحراوية وفي مناطق الفلاحية ومعشور توجد مستنقعات وبقاع ملحيّة([3]).

---

(1)الأحواز 23/1.

(2)دليل الخليج - القسم الجغرافي 213/1.

(3)نفس المصدر، 205/1، 214.

وانظر: مجلة البصرة، عدد /11 لسنة 1981 / ص12.

- المناخ:

يشبه مناخ الأحواز مناخ جنوب العراق في درجات الحرارة ونسب الأمطار وهبوب الرياح، فهو شديد الحرارة غير ممطر صيفاً دافىء شتاء([1]).

وكلما اتجهنا نحو الشمال والشمال الشرقي تأخذ درجات الحرارة بالانخفاض لوجود الجبال في تلك المناطق وتزداد درجات الحرارة ارتفاعاً في فصل الصيف وفي أثناء هبوب الرياح المحملة بالأبخرة من الجنوب لمرورها على الخليج العربي والمحيط الهندي، وتميل إلى الانخفاض في أثناء هبوب الرياح الشمالية.

وفي فصل الشتاء الذي يتميز بطول فترة الجفاف يكون وسط وجنوب الإقليم دافئاً، أما شماله فإنه بارد لمحاذاته الجبال([2]).

ووصف المقدسي مناخ الإقليم فقال: شتاؤه طيب، والخريف رقيق بالضعيف في الثياب([3]).

وقال ابن حوقل: ليس بالأحواز موضع يجمد فيه الماء ولا يقع منه الثلج ولا يخلو من النخيل([4]).

ويعد الخليج العربي المصدر الرئيس للأمطار التي تسببها الأعاصير في عربستان (الأحواز) إلى جانب أعاصير البحر الأبيض المتوسط([5]).

وتبدأ الأمطار عادة في نهاية تشرين الثاني ويصبح الجو في الوقت نفسه أبرد، ويستمر على فترات حتى نهاية مايس([6]).

---

(1)الأحواز 28/1.
(2)دليل الخليج - القسم الجغرافي - جـ192/1-200.
(3)أحسن التقاسيم، ص 410.
(4)صورة الأرض، ص 228.
(5)التاريخ السياسي لإمارة عربستان، ص36.
(6)دليل الخليج - القسم الجغرافي 192/1.

- الأنهار:

يتميز إقليم الأحواز بكثرة أنهاره التي تجـري في طـول العـام إضـافة إلى بعـض الأنهار الموسمية، وكل نهر يتبعه عدد من الروافد ويخرج منه الكثير من الفروع، وهـذه حالة تصاحب الأنهار التي تجري في الأراضي الدلتوية الرسوبية.

وقد لعبت أنهار الأحواز دوراً أسياسيًّا في تقرير وضعية التضاريس في سهولها... وقد قامت هذه الأنهار خاصة نهر كـارون ببنـاء سـدود طبيعيـة مرتفعـة عـن مسـتوى قيعان أحواض الأنهار بحوالي 2-4، ويقل الفرق في الارتفاع بـين تلـك السـدود الطبيعيـة وبين قيعان الأحواض كلما اتجهنا جنوباً حيث لا يزيد الفرق عن متر واحد عـلى مقربـة من مصب كارون بشط العرب([1]).

أهم هذه الأنهار:

1 -نهر كارون:

وهو أكبر أنهار الإقليم والوحيد الصالح للملاحة بالسـفن التجاريـة وينبـع مـن جبال بختياري التي تقع على بعـد 100 ميـل غـرب أصـفهان، ثـم يـدخل النهـر سـهول الأحواز على بعد 15 أو 20 ميلاً شمالي مدينة تستر ثم يسـير بمجـرى متعـرج حتـى يمـر بمدينة الأحواز ويمر من خلال فجوة في وسط التلال الصخرية التي تعترض مجـرى النهـر على شكل زاوية قائمة، وعند هبـوط مائـه يتكـون شـلال الأحـواز الشـهير ويعـرف عنـد العرب بالسد ويقع في مواجهة مدينة الأحواز([2]).

---

(1)مجلة البصرة، العدد 11 لسنة 1981، ص111.

(2)دليل الخليج - القسم الجغرافي 1216/3.

وقد عرف العرب نهر كارون باسم دجيل الأحواز، لأنه يمر بمدينة الأحواز فيميزه بذلك عن دجيل في أعالي بغداد([1]).

ونهر كارون صالح للملاحة من مصبه حتى الأحواز، وبعدها تصعب الملاحة لوجود الشلالات([2]).

2 -نهر الجراحي:

وينبع من سلاسل الجبال الشرقية القريبة من مقاطعة بهبهان ويتجه نحو الغرب فيصب في هور الفلاحية ويسقي المناطق الجنوبية([3]). وكان يسمى بنهر (تيرى) وورد ذكره في الشعر العربي على لسان جرير حيث قال:

سيروا بني العم فالأحواز داركم ونهر تيرى ولم تعرفكم العرب

....

وقال عبد الصمد بن المعذل يهجو أمراء الأحواز ويذكر اسم النهر:

دعوا الإسلام وانتحلوا المجوسا وألقوا الريط واشتملوا القلوسا

بني العبد المقيم بنهر تيري لقد نهضت طيوركم نحوسا

حرام أن يبيت بكم نزيل فلا يمسي لأمكم عروسا([4])

....

ونهر الجراحي صالح للملاحة بالقوارب حتى مدينة خلف آباد([5]).

---

(1)الأحواز 39/1.

(2)دليل الخليج - القسم الجغرافي 1219/3.

(3)التاريخ السياسي لإمارة عربستان، ص35.

(4)الأحواز 42/1.

(5)دليل الخليج - القسم الجغرافي 1122/3.

3- نهر الكرخة:

ينبع نهر الكرخة من التلال الواقعة في منطقة لور الغربية، ويدخل سهول الأحواز على بعد حوالي 15 ميلاً غربي نهر الدز([1])، وله ثلاثة منابع ويتجه نحو الجنوب ويسير بأراض منخفضة وبسرعة كبيرة فيمر بمدينة السوس والحويزة وتتفرع بعد ذلك فروع عدة كلها تصبّ في هور الحويزة الذي يصب في نهر دجلة([2]). وتستعمل مياهه في الجزء السفلي من مجراه على نطاق واسع([3]).

وتوجد أنهار أخرى دائمة الجريان منها:

نهر الدز([4])، وهنديان([5])، والدويريج([6])

- المدن:

في إقليم الأحواز مدن كثيرة وعريقة في القدم، لها جذور تاريخية ترتبط بماضيه الحضاري والعمراني، وإلى جانب هذه المدن القديمة نشأت مدن حديثة ساهمت عوامل سياسية واقتصادية في ظهورها على خارطة الإقليم والملاحظ أن مواقع هذه المدن ترتكز على ضفاف الأنهار، لأنها المصادر الرئيسة للمياه سواء كانت للشرب أم الزراعة. وهكذا أصبحت الأنهار كعقد منظوم من المدن التي تتجاذب على طولها تبلغ قرابة (50) مدينة([7]).

---

(1)المصدر نفسه 1213/3.

(2)الأحواز 35/1، مجلة البصرة، العدد 11 لسنة 1981، ص112.

(3)دليل الخليج - القسم الجغرافي 1214/3.

(4)المصدر نفسه السابق 596/2، الأحواز 38/1.

(5)نفس المصدر السابق 923/2.

(6)مجلة البصرة، العدد 11 لسنة 1981، ص111.

(7)التاريخ السياسي لإمارة عربستان، ص36.

ومن أهم هذه المدن:

1 -مدينة الأحواز:

وهي عاصمة الإقليم وتقع في وسطه على نهر كارون، وقد أطلق عليها العرب سوق الأحواز تمييزاً لها عن الإقليم، وذكرها عدد من الجغرافيين والرحالة العرب والأجانب، وقد عدها ياقوت من كور الأحواز([1]).

قال الرحالة العربي أبو دلف مسعر بن مهلهل الخزرجي:

وسوق الأحواز تخترقها مياه مختلفة، منها الوادي الأعظم،... وسكرها أجود سكر الأحواز، وعلى الوادي الأعظم شاذروان حسن عجيب متقن الصنعة معمول من الصخر المهندم يحبس الماء إلى أنهار عدة، وبإزائه مسجد لعلي بن موسى الرضا - رضي الله عنه- بناه في اجتيازه به وهو مقبل من المدينة يريد خراسان([2]).

2 -المحمّرة:

تقع عند مصب نهر كارون في شط العرب، وهي ميناء تجاري مهم مرتبط بالبصرة ارتباطاً اقتصاديا واجتماعيًّا وثيقًا، شيدها يوسف بن مرداو من شيوخ كعب عام 1818 ميلادية، وأصبحت عاصمة للإمارة في زمن البوكاسب حتى عام 1925م حينما غزا رضا شاه الإمارة واستولى عليها([3]).

وقد كانت أرضاً خالية ليس فيها أحد ولا بناء، ثم سكن فيها

(1)معجم البلدان 285/1.

(2)الرسالة الثانية: 28.

(3)التاريخ السياسي لإمارة عربستان، ص 24.

محيسن([1]) من بني كعب وتجمعوا وتمكنوا فيها... ويقال إن سبب تسميتها جاءت من تكوّن أرضها نتيجة ترسبات الغرين الأحمر عند مصب نهر كارون فأصبح ترابها أحمر([2]).

وللأهمية التي تحتلها هذه المدينة فقد كتبت فيها عدة دراسات تغني من يريد الاطلاع([3]).

3 -الحويزة:

وهي تصغير الحوزة وأصله من حازه يحوزه حوزاً إذا حصله، والمرة الواحدة حوزة، وهي موضع حازه دبيس بن عفيف الأسدي في أيام الطائع لله ونزل فيه جلّته وبنى فيه أبنية. هذا الموضع يقع بين واسط والبصرة والأحواز في وسط البطائح([4]).

وكانت في الأصل مدينة كبيرة إلاّ أن انفجار سد كوت نهر هاشم على نهر الكرخة أربك نظام الري بالمنطقة وسبب في تحول مجرى نهر الكرخة الرئيسي إلى الشمال مما أفقد المدينة أهميتها وجعل منها مركزاً ثانويًّا، ويقال إن كثيراً من سكانها نزحوا عنها بسبب انهيار السد وانضموا إلى القبائل العربية من البدو الرحل.

وقد كانت الحويزة أكثر مدن الأحواز ازدهاراً ومركزاً لمنطقة تنتج الرز والقطن وقصب السكر([5]).

ولم يكن للحويزة شأن كبير أول نهوضها إلى القرن الثامن الهجري،

---

(1)ومحيسن: أحد أفخاذ قبلية كعب الساكنة في جنوب وغرب إقليم الأحواز.

(2)عنوان المجد، ص 181-182.

(3)المحمرة مدينة وإمارة عربية - الحلو، المحمرة والوحدة العثمانية، علي محمد عامر. ط وزارة الإعلام / العراق.

(4)معجم البلدان 326/2.

(5)دليل الخليج - القسم الجغرافي 880/2.

ولكن في غضون القرن التاسع الهجري برزت وظهر شأنها وذلك بوساطة المشعشع المهتمدي الذي اختار الحويزة عاصمة لإمارته على البطائح، ولما رأى فيها من المناعة والمناسبة للموقع جعلها قاعدة لإمارته فعمرت وتوسعت، وهكذا بقيت زاهية في كل زمان إمارة الموالي، وسقط شأنها بسقوطهم وذلك في القرن الرابع عشر الهجري... فنهضت المحمرة وسقطت الحويزة([1]).

ومن الحويزة تخرّجَ كثير من العلماء والأدباء ولها تاريخ حافل بالحوادث المهمة والوقائع العظيمة([2]).

4 -عبادان:

بفتح أوله وتشديد ثانيه، كانت قطيعة لحمران بن أبان مولى عثمان ابن عفان من عبد الملك بن مروان، وبعضها فيما يقال من زياد، وكان حمران من سبي عين التمر يدعي أنه من النمر بن قاسط، فقال الحجاج يوماً وعنده عباد بن حصين الحبطي: ما يقول حمران؟ لئن انتمى إلى العرب ولم يقل إنه مولى لعثمان لأضربنَّ عنقه: فخرج عباد من عند الحجاج مبادراً فأخبر حمران بقوله فوهب له غرب النهر وحبس الشرقي فنسب إلى عباد بن الحصين.

والعبّاد: الرجل الكثير العبادة، وأما إلحاق الألف والنون فهو لغة مستعملة في البصرة ونواحيها، إنهم إذا سموا موضعاً أو نسبوه إلى رجل أو صفة يزيدون في آخره ألفاً ونوناً كقولهم في قرية عندهم منسوبة إلى زياد بن أبيه: زيادان، وأخرى إلى عبد الله عبد الليان، وأخرى لبلال بن بردة: بلالان وهذا الموضع فيه قوم مقيمون للعبادة والانقطاع([3]).

---

(1)لغة العرب: المجلد السادس، ص 277.

(2)ماضي النجف وحاضرها 181/2.

(3)معجم البلدان 597/3.

ويطلق على عبادان أيضاً: جزيرة الخضر، نسبة إلى ضريح بالقرب من وسطها، وهي جزيرة كبيرة مهمة يحيط بها نهر كارون في الشمال وشط العرب في الغرب والخليج في الجنوب والبهمنشير في الشرق، ويبلغ طولها (40) ميلاً ويتراوح اتساعها بين (1.5) ميل في الوسط وبين (12) ميلاً عند طرفها الجنوبي، ومعظم مناطقها الوسطى صحراوية، إلاّ أن المناطق المجاورة للأنهار مزروعة بالنخيل بمقدار امتداد الجداول إلى الداخل.

ومعظم سكان عبَّادان من قبيلة كعب، وينتمون إلى بطن دريس، كما ينتمي إلى بطن نصار من القبيلة نفسها معظم سكان الجزء الجنوبي من الجزيرة([1]).

5 -تستر:

بالضم ثم السكون وفتح التاء الأخرى فراء. وهو تعريب شوشتر، سميت بذلك لأن رجلاً من بني عجل يقال له تستر بن نون افتتحها فسميت به.

قال أبو غالب شجاع بن فارس الدهلي كتبت إلى أبي عبدالله الحسين ابن أحمد بن الحسين السكري وهو بتستر أتشوقه:

ريح الصبا إذا مررت بتستر	والطيب خصّيها بألف سلام
وتعرفي خبر الحسين فإنه	مذ غاب أودعني لهيب ضرام
قولي له مذ غبت عني لم أذق	شوقاً إلى لقياك طيب منام
والله ما يوم يمر وليلة	إلاّ وأنت تزور في الأحلام

....

(1)دليل الخليج - القسم الجغرافي 3/1.

قال فأجابني من تستر:

مـــرت بنـــا بالطيـــب ثـــم بتســـتر	ريـــح روائحهـــا كـــنشر مـــدام
فتوقفــــــت حســــــنا إليَّ وبلغــــــت	أضـــعاف ألـــف تحيـــة وســـلام
وســـألت عـــن بغـــداد كيـــف تركتهـــا	قالـــت كمثـــل الـــروض غـــبَّ غـــمام
فلكـــدتَ مـــن فـــرحٍ أطـــيرُ صَـــبابةً	وأصـــول مـــن جـــذل عـــلى الأيـــام
ونســـيت كـــل عظيمـــة وشـــديدة	وظننتهـــا حلـــماً مـــن الأحـــلام

....

وبتستر قبر البراء بن مالك الأنصاري. وقال ابن المقفع: أول سور وضع في الأرض بعد الطوفان سور السوس وسور تستر، ولا يدرى من بناها والأبلة، وتفـرد بعـض النـاس بجعل تستر مع الأحواز، وبعضهم يجعلها مع البصرة، وعن ابن عون مولى المسور قال:

حضرت عمر بـن الخطـاب رضي اللــه عنـه، وقـد اختصـم إليـه أهـل الكوفـة والبصرة في تستر وكانوا حضروا فتحها، فقال أهل الكوفـة: هـي مـن أرضـنا، وقـال أهـل البصرة: هي من أرضنا، فجعله عمر من أرض البصرة لقربها منها([1]).

ووصفها ابن بطوطة فقـال: مدينـة كبـيرة رائقـة نضرة بهـا البسـاتين الشريفـة والرياض المنيعة، ولها المحاسن البارعة والأسواق الجامعة، وهي قديمة البناء ويحيط بها النهر المعروف بالأزرق (كارون) وهو عجيب في نهاية من الصفاء شديد الـبرودة في أيـام الحر، وفي هذا النهر يقول بعضهم:

انظـــر لشـــاذروان تُسْـــتُرَ واعْجَـــبْ	مـــن جمعـــه مـــاء لـــريِّ بـــلاده
كَكَمِـــــيِّ قـــــوم جُمِّعَـــــتْ أموالُـــــهُ	فغـــدا يُفَرِّقُهـــا عـــلى أجنـــاده([2])

....

(1)معجم البلدان 30/2، والروض المعطار، ص140.

(2)رحلة ابن بطوطة، ص119.

تستر هي عاصمة شمال الأحواز وتقع في الزاوية التي يكوّن نهر كارون وفرعاه الشطيط والجرجر، وقد كانت أكثر الأماكن ازدهاراً وتقدماً من القرن العاشر حتى القرن الرابع عشر بعد الميلاد، وتقع على أرض مرتفعة قليلاً، وتتكون من تربة طموية مختلطة بآثار الإقليم منذ العصور القديمة، ويوجد عدد من الصناعات المحلية في تستر ومن بينها صناعة السجاد ونسيج قماش العباءات والاشفاف القطنية الخفيفة والثقيلة والأحذية والمعاطف والصناعات الحديدية والنحاسية والفضة الألمانية وصباغة الملابس ودبغ الجلود([1]).

6 -الدورق (الفلاحية):

دورق: بفتح أوله وسكون ثانيه وراء بعدها قاف، وهي قصبة كورة (سرق)، وبها عيون الكبريت الأصفر البحري وهو يسرج في الليل عليه: وفي أهلها سماحة ليست لغيرهم من أهل الأحواز.

وقد نسب إليها قوم من الرواة منهم أبو عقيل الدورقي وأبو الفضل الدورقي، ونسب قوم إلى لبس القلانس الدورقية منهم: أحمد بن إبراهيم أبو عبدالله الدروقي، وقيل إن الإنسان كان إذا نسك في ذلك الوقت قيل له دورقي.

كما ورد اسمها في الشعر كقول بعضهم:

وما زالت الأيام حتى رأيتني ... بدورق ملقًّى بينهنَّ أدور([2])

....

وقد استبدل اسم الدورق بالفلاحية بعد أن تأسست فيها إمارة كعب في منتصف القرن السابع عشر الميلادي، وأحياناً يطلق اسم الفلاحية على

(1)دليل الخليج - القسم الجغرافي 236/7.

(2)معجم البلدان 483/2.

كل المنطقة المحيطة بها والواقعة جنوب الأحواز للدلالة على سائر الإمارة التابعة لشيخ كعب، وهي تشمل كل مناطق الفلاحية والجراحي ومعشور وحتى الهنديان([1]).

وكتب عن مدينة وإمارة الفلاحية دراسات عدة، من بينها ما نشر في مجلة آفاق عربية، يمكن الرجوع إليها([2]).

- الحالة السياسية :

دخلت الأحواز في السيادة العربية الإسلامية بين عامي 16، 17 هجرية، فقد غزا المغيرة بن شعبة سوق الأحواز في ولايته، ثم كمل أبو موسى الأشعري مهمة فتح الإقليم مدينة بعد مدينة فدخل السوس ومناذر وتستر ورام هرمز ودورق وأيذج بعد معارك بطولية حتى وقفوا على شاطىء دجيل (كارون) وأخذوا ما دونه وأدخلوا الهزيمة في جند الهرمزان الذي هزم قبل ذلك في معركة القادسية، وقد أعان العرب القاطنون في الإقليم من بني حنظلة وبني العمّ بن مالك إخوانهم الفاتحين على إلحاق الهزيمة بجيش الفرس، وقال الأسود بن سريع في فتح الأحواز:

لعمرك ما أضاع بنو أبينا	ولكن حافظوا فيمن يطيع
أطاعوا ربهم وعصاه قوم	أضاعوا أمره فيمن يضيع
مجوس لاينهنها كتاب	فلا قواكبة فيها قبوع
وولى الهرمزان على جواد	سريع الشد يثفنه الجميع
وخلّى سرة الأهواز كرهًا	غداة الجسر إذ نجم الربيع

....

(1)دليل الخليج - القسم الجغرافي 667/2، 633.

(2)آفاق عربية، العدد 4 سنة 1981، ص26.

وقال حرقوص بن زهير يصف فتح الإقليم:

غلبنـــا الهرمـــزان عـــلى بـــلاد لهـــا في كـــل ناحيـــة ذخـــائر

ســـواء بـــرهم والبحـــر فيهـــا إذا صـــارت نواجيهـــا بـــواكر

لهـــا بحـــر يعـــجُّ بجانبيـــه جعـــافر لا يـــزال لهـــا زواخـــر([1])

....

ومنذ ذلك الحين أصبح تاريخ إقليم الأحواز من التاريخ العربي العام في الـعصر الراشدي والأموي والعباسي يدار من قبل ولاة البصرة أو يعين له والٍ من قبـل الخليفـة، وصار اسم الإقليم يشغل حيزاً في كتب المؤلفين والجغـرافيين العـرب، ويتناولـه الشـعراء والكتـاب في إنتـاجهم ومؤلفـاتهم، حيـث مـا تجـد مناسـبة، وقـد اقـترن اسـم الإقلـيم بالحوادث والوقائع التاريخية وحركات العصيان على الحكومة كحركات الخـوارج وثـورة الزنج وظهور بعض الحكومات والإمارات القبلية العربية، وقـد اسـتمرت الأحـواز ولايـة عباسية حتى سقطت هذه الدولة العربية الإسلامية سنة 656هـ على يد التتر([2]).

في هذه السنة أرسل الفاتح المغولي هولاكو الأمير بوقا تيمـور إلى كـور الأحـواز فاستولى عليها([3]).

وحينما تمكن حسن الجلائري التتري من السيطرة وتأسيس الدولة الجلائرية في العـراق عام 738هـ([4])، كانت الأحواز يحكمها رجال العهد الجلائري حتى ظهور تيمور لنك الفاتح التتري الجديد، وقد قوي أمره وعظمت سطوته واستولى على بلاد كثيرة كفارس وأذربيجان وأفغانسـتان

(1)تاريخ الطبري 3545/5.

(2)الأحواز 109/2.

(3)التحفة النبهانية، ص 252، و200 حقيقة عن عربستان، ص31.

(4)التحفة النبهانية، ص253.

ثم وجه نظره إلى العراق فحمل عليه في سنة 795هـ([1]) فاستولى على بغداد أولاً ثم بقية المدن العراقية.

وفي سنة 1393([2])ميلادية استولى تيمور لنك على الأحواز، وولى على الجزائر والبصرة حفيده مرزا أبو بكر بن ميران خان فجاءها بعساكر الفرس وعاث في البلاد([3]).

وبعد موت تيمور لنك في سنة 808هـ عاد السلطان الجلائري أحمد بن أويس لحكم العراق بعد حروب عديدة يشيب لها الرضيع([4]).

ولكنه في عام 813هـ حصلت بينه وبين قره يوسف التركماني صاحب أذربيجان حروب انتهت بقتل السلطان أحمد، وقد انقرضت الدول الجلائرية عام 814هـ وقامت على أنقاضها دولة الخروف الأسود (قره قوينلو)([5])التي شملت ممتلكاتها شمال إيران وغربها والعراق كله بما فيه إقليم الأحواز، وكان أول سلاطينها قره يوسف محمد الذي كان أبوه قره محمد أحد أمراء الدولة الجلائرية([6])، وقد عين ابنه الشاه محمود بن قره يوسف حاكماً على البصرة والجزائر بما فيها إقليم الأحواز([7]).

ولكن الفتن والحروب بين رجال هذا البيت أديا إلى ضعفها وأصبحت مطمعاً لدولة تركمانية أخرى في ديار بكر هي دولة الخروف الأبيض (آق قوينلو) فقامت بين الدولتين حروب عدة تمخضت عن انقراض دولة الخروف الأسود وقيام دولة الخروف الأبيض بقيادة حسن

---

(1)أعيان الشيعة 475/17، مختصر تاريخ البصرة، ص120.

(2)200 حقيقة عن عربستان، ص31.

(3)التحفة النبهانية، ص255.

(4)مختصر تاريخ البصرة، ص120. والتحفة النبهانية، ص255.

(5)مختصر تاريخ البصرة، ص120. وتاريخ العراق بين احتلالين، جـ3، ص22.

(6)أعيان الشيعة 475/17.

(7)التحفة النبهانية، ص256.

الطويل عام 874([1])، التي استمرت بحكم العـراق وإيـران حتـى قيـام الحكـم الصـفوي الذي احتل العراق عام 914هـ([2])/1508م.

نستخلص مما تقدم، وبعد سقوط بغداد عـلى وجـه التحديـد، أن العـراق قـد مضت عليه مدة طويلة وهو فريسة الاضـطراب والفقـر وعرضـة للانقلابـات السياسـية وسفك الدماء وحكم الأجانب، واستمرت هذه الحالة فيها مدة أجيال عديدة يغـوص في كل عام منها في لجج القلاقل والاضطراب والاستيلاء الجديد([3]).

ومع وجود الصلة التاريخية الوثيقة بـين العـراق وإقلـيم الأحـواز، تميـز تـاريخ الإقليم في هذه المرحلة بظاهرة الإمارات العربية التي كانت منتشرة في الأحـواز وسـقي كـارون وضـفاف شـط العـرب وسـواحل البطـائح رداً مناسـباً لتمسـك أبنـاء المنطقـة بعروبتهم، والاحتفاظ بكيانهم([4])، واسـتقلت غالـب القبائـل العربيـة بنفسـها وخلعـت طاعة حكومة العراق الأجنبية([5]). ففي أراضي الأحواز الزراعيـة المنبسـطة كانـت قبيلـة بعـد أخـرى مـن العـرب زراعـي الـرز ومـربي الجـاموس وغـيرهم تفـرض ضرائـب عـلى المواصلات النهرية وترعـى حيواناتهـا مـن دون معـارض عـلى طـول الحـدود أقلقـت في الأخير، القوات العظيمة في العالم([6]).

وقــد كانــت أكــثر الإمــارات تــأثيراً في سياســة الإقلــيم إمــارة الموالي (المشعشعيين)، وإمارة كعب، وإلى جـانبيهما عـدد مـن الحكومـات

---

(1)التحفة النبهانية، ص258.

(2)مختصر تاريخ البصرة، ص123.

(3)أربعة قرون من تاريخ العراق، ص18.

(4)العرب والعراق، ص160.

(5)التحفة النبهانية، ص259.

(6)أربعة قرون من تاريخ العراق، ص5، والتحفة النبهانية، ص259.

والمشيخات المحليـة ذات التـأثير المحـدود كحكومـة «أفراسـياب»([1]) عـلى ضـفتي شـط العرب ومشيخات بني لام والمنتفك والبطائح.

لقد تجلى إقليم الأحواز، دولـة عربيـة واضـحة المعـالم بـين دول المنطقـة منـذ منتصف القرن التاسع الهجـري، لهـا كـل مقومـات الدولـة المعـترف بهـا قـديماً وحـديثاً كالحكومة والنظام والمؤسسات الإدارية والعسكرية والاقتصادية، والإقلـيم الـذي تحـدد فيه السيادة الوطنية، والشعب الذي هو شعب عربي مؤلف مـن القبائـل العربيـة ذات الأصول العريقة.

إن معرفة أوضاع الإقليم السياسية من منتصف القـرن الخـامس عشر المـيلادي حتى بداية القرن العشرين يستدعي الاطلاع عـلى تـاريخ إمـارة المـوالي (المشعشـعيين)، وكذلك إمارة كعب.

وقد ألفت في ذلك دراسات عدة مفصلة تراجع في مظانها([2]). وبقدر ما يتعلق الأمـر بموضـوعنا ومـا يتركـه مـن انعكاسـات عـلى مسـيرة الإقلـيم

---

(1)قامت حكومة أفراسياب في البصرة عام 1005هـ/1596م، بعد أن اشتراها من الحاكم الـتركي عـلي باشا بثمانية أكياس رومية على أن لا يقطع مـن الخطبـة اسـم السـلطان، واسـتمرت حكومتـه سـبع سنين، وفتح في أيامه القبان، وكانت تابعة لحاكم الدورق المشعشعي، وفتح في أيامه أكثر الجزائر كما استولى على ضفة شط العرب الشرقية، وحكم بعده ابنه علي باشا مدة خمس وأربعين سنة، وكانـت أيامه شبيهة بأيام هارون الرشيد في الرفاهية وطلب العلـم والآداب والشـعر. ثـم حكـم بعـده ابنـه حسين باشا، فسار سيرة أبيه قليلاً ثم خالفه وتجبر في حكومته وبسط يده في الظلم، فـأنكرت رعيتـه عليه ذلك. وانتهت حكومة آل أفراسياب. سنة 1078هـ/1667م. (زاد المسافر، ص18، 19، 20).

(2)تاريخ المشعشعيين للسيد جاسم شبر، إمارة المشعشعيين لعبد هليل الجابري (رسـالة ماجسـتير). تاريخ الأحواز - علي نعمة الحلو 6 أجزاء. تاريخ إمارة عربستان - مصطفى عبد القادر النجار.

الأدبية والفكرية فقد رأيت من المناسب التحدث عن تاريخ إمارة المشعشعيين ثم إمارة كعب، وكذلك القـوى الأجنبيـة التـي تـدخلت بـالإقليم رغـم إرادة أهلـه سـواء أكانـت فارسية أم تركية أم أوروبية.

إمارة

المشعشعين

....

مؤسس هذه الإمارة هو السيد محمد بن فلاح بن هبة اللـه بن حسن الموسوي الواسطي المشعشعي الـذي يرقـى بنسـبه إلى الإمـام مـوسى الكـاظم([1]) _عليه السلام، ولد في واسط ونشأ فيها حتى بلغ عمره السنة السابعة عشرة وقرأ القرآن وتعلم وقرأ مقدمة من العلم ثم طلب إليـه والـده أن يقـرأ عـلى الشـيخ أحمد بن فهد في الحلة([2])، وقد كانت آنـذاك مركـزاً مهـمًّا لـرواد العلـم وطـلاب المعرفة، فدرس على يده في مدرسته الشرعيـة، وكانـت تضـم نخبـة صـالحة مـن طلاب العلم فاستمرَّ في دراسته([3])، فصرف ليلة نهاره في المطالعة والـدرس فبلـغ المراقي الجليلة في المدة القليلة حتى رضي عنـه أسـتاذه خـير رضى وصـار يـدرس بدله عند غيابه بإجازة منه([4])، ولما بلغ درجة راقية من العلـم والنضـج الفكـري كانت الأوضاع السياسية والاجتماعية المزرية التي يعيشها العراق خاصة والعرب

---

(1)مناهل الضرب في أنساب العرب، ورقة 48 (مخطوطة الدراسات العليا)، أعيان الشيعة 192/46.

(2)الأحواز 149/2، تاريخ العراق بين احتلالين 108/3.

(3)أعيان الشيعة 193/46، الأحواز 150/2.

(4)أعيان الشيعة 193/46، وتاريخ المشعشعيين، ص15، والأحواز 151/2.

عامة، تأخذ طريقها إلى ذهنه وتعمل على تأجيج روح الثورة للتخلص من التعسف والاضطهاد الذي يمارسه الحكام الأجانب ضد أبناء قومه، إضافة إلى الفوضى السياسية المتمثلة بتنازع أبناء قره يوسف وأخواته على كرسي الحكم وحروبهم مع حسن الطويل فراح يعمل جاهداً في تخطيط ثورته وأخذ ينسق للخطط الأولية التي ينهج عليها في تحقيق أهدافه وقيام دولته العربية. في تلك الفترة، فعمد إلى ترويض نفسه على تحمل المصاعب ومواجهة المتاعب التي سوف تعترضه في نضاله فاعتزل الناس واعتكف بمسجد الكوفة سنة كاملة وقوته شيء قليل من دقيق الشعير كما حرص على تعلم الرمي بالنشاب والنبال والضرب بالسيف استعداداً للمهمات القتالية، ثم بعد ذلك شغل نفسه باختيار المنطقة المناسبة لإعلان الثورة وتأسيس الدولة، وبعد تفكير طويل ودراسة مستفيضة لطبيعة الظروف وخصائص المناطق الجغرافية والأحوال الاجتماعية وجد أن إقليم الأحواز، الذي لا يبعد عن مسقط رأسه واسط أكثر من مسير يومين على جواد، هو المكان الملائم للوثوب وتأسيس الدولة العربية للمميزات الآتية:

1 -الموقع الجغرافي للإقليم:

فقد كانت البطائح التي تتصل بإقليم الأحواز من الغرب عرضة للحروب والفتن لأنها كانت محلًّا يعتصم به أولئك المنشقّون عن عاصمتهم ويعين على ذلك كثرة مغايصها وآجامها فكانت أمنع المتاريس للثوار، وهي التي جعلت واسط والبصرة والحويزة مدناً للثورة والثوار، ومنها ابتدأت ثورة المشعشع محمد بن فلاح مؤسس إمارة الموالي([1]).

(1)العرب والعراق، ص159.

2- بُعدها عن عاصمة الحكم وقوة الجيوش:

يمنح الثورة فرصة للقيام بعمل ما قبل أن تدركهم جيوش الحكومة([1]).

3 -تقبل المجتمع للفكرة:

لقد كان شعب الإقليم على الفطرة العربية السليمة بعيداً عن تأثيرات الأجانب ومناوراتهم السياسية وألاعيبهم العدوانية([2]).

4 -اضطراب الوضع السياسي:

لقد انشغل ميرزا اسبان، الحاكم التركماني في محاربات كثيرة بينه وبين إخوته، وبينه وبين أمراء آق قوينلو، والذين كانوا على حدود بلاده حتى وفاته في سنة 848هـ ولم تهدأ الحالة السياسية طوال الحكم التركماني في عهد الحكام الذين تبعوه، وكانوا في شغل عما يحدث في الإقليم([3]). لقد استقر محمد بن فلاح في منطقة الدوب من مقاطعة الحويزة، واجتهد في إيجاد الصلة بينه وبين أبناء القبائل العربية القاطنين هناك، بما لديه من ثقافة دينية ورياضة فكرية، سحر بها عرب نيس الدوب وبني سلامة وبني طيّ وعبادة وبني ليث وبني أسد وبني سعد، وقد ازداد عدد مؤيديه وكثر أتباعه وأقبلوا إليه مطيعين ولأمره ممتثلين. وكانت الحويزة بيوتاً من القصب من غير طين، ولا حجر، وسكانها رعية للعبادي له عليهم مأكلة مقررة كل عام، فجاء عامله ليجمع مقرره فمنعهم محمد المهدي([4]) من إعطائه إلى ثلاث مرات، فركب العبادي

---

(1)مؤسس الدولة المشعشعية، ص57.

(2)المصدر نفسه.

(3)أعيان الشيعة 475/17، تاريخ العراق بين احتلالين 143/3. ترجمة السيد شبر (مخطوط) ورقة 23.

(4)تحفة الأزهار (مخطوطة المتحف الوطني) 142/3-144، تاريخ المشعشعين، ص27، الأحواز 154/2، تاريخ العراق بين احتلالين 108/3.

عليهم، فوقع بينهم حرب شديد فانكسر العبادي وانهزم مولياً فاستولى محمد المهدي على البلاد وأطاعه العباد، فثار عليه أحد ملوك العجم فأمر ابنيه عليًّا والمحسن وجنوده بقتاله فانكسروا منهزمين فاستغنم أموالهم المشعشعيون 840هـ([1]).

وحينما حاول حاكم واسط التركماني وحلفاؤه الوقوف في وجهه في أحد المعارك لم يتمكنوا من الصمود أمامه فعادت قواته محملة بالغنائم([2])، وقد هال الموقف حاكم بغداد التركماني (اسبان) فجهز لذلك حملة كبيرة وتوجه إلى الأحواز فوقعت معارك عدة بينهما كان الانتصار فيها حليف السيد محمد بن فلاح([3]).

ودخلوا في معركة مع حاكم شيراز الفارسي، حسمت لصالح المشعشعيين عام 845هـ ثم غزا منطقة الجزائر والبطائح والبصرة واستولى على جميع الأحواز وشاطىء الفرات إلى الحلة ثم توجه إلى النجف وبغداد وديالى وصار جنوب ووسط العراق تحت نفوذه وفي سلطانه عام 858هـ([4])، وقد كان ولداه علي ومحسن عوناً له في تركيز سلطته ومحاربة أعدائه وقيادة جيوشه([5])، وبعد جهاد مرير ونضال متواصل استطاع محمد بن فلاح المشعشعي أن يؤسس دولة عربية في إقليم الأحواز عاصمتها الحويزة لتستمر حتى نهاية القرن الثالث عشر الهجري([6])، وبعد وفاته سنة 866هـ/1461م تولى عدد كبير من أولاده

---

(1)ترجمة السيد شبر، ورقة 23، والأحواز 157/2.

(2)تاريخ العراق بين احتلالين 128/2، والأحواز 158/2-159، مجالس المؤمنين 398/2.

(3)تاريخ العراق بين احتلالين 144/3، 147.

(4)تحفة الأزهار (مخطوط) 115/3، لغة العرب، مجلد 641/9-650.

(5)الأحواز 161/2-165.

(6)آثار الشيعة الإمامية 58/3، تاريخ كربلاء، ص218.

وأحفاده وهم عرب كرام أمجاد أبطال أنجاد تحت ملكهم وطاعتهم من عرب جهتهم ألوف كثيرة فوارس شجعان([1])، نشير إلى سيرة بعضهم إشارة عاجلة لتوضيح بعض معالم الحياة السياسية لهذه الإمارة.

ومن مشاهير حكام هذه الإمارة:

1- السيد محسن بن محمد بن فلاح المشعشعي: (ت 905هـ/1499م) تولى حكم الإمارة بعد وفاة أبيه مباشرة ولقب بالملك الحسن، وامتدّ ملكه امتداداً لم يمتدّ لأحد مثله من ذريته. تملك الجزائر وما وراءها إلى سور بغداد من الجهات الأربع، وأحسن السيرة مع سكان العتبات المقدسة وخدام الروضات المشرفة، ثم ملك البصرة وشط بني تميم وعبادان إلى الإحساء والقطيف ثم الدورق والسواحل إلى بندر عباس وجميع البنادر إلى حدود فارس ثم كوة قيلويه ووهدشت ورامهرمز والبختارية وأكراد لرستان (الفيلية) وبيات والباجلذانبة وتشت كوه وكرمنشاه وسميرا وبهبهان، ولما كان فيه الخصال الحميدة من سخاء النفس والمروءة والشيم العالية وحب العلماء والفضلاء وأهل الكمال والأدب والتقى والصلاح، جعل أكثر العلماء، مصنفاتهم ومؤلفاتهم باسمه وأرسلوها إليه([2]).

كانت أوضاعه في جلوسه وركوبه وخيله وحشمه، أوضاع ملك مستقل تقاد الخيل المسرجة بالذهب والجواهر أمامه، وهو أول من أحدث البنيان بالحويزة، وكانت آجام قصب تسكنها الأعراب فبنى قلعة الحويزة المعروفة بالمزينة إلى الآن وجعل فيها عسكراً وسكن الناس حولها، وبنى مدينة عظيمة بين الشطين تجمع جميع عساكره وذخائره سماها المحسنية، وكان بناؤها في

(1)أعيان الشيعة 194/46، الأحواز 160/2.

(2)أعيان الشيعة 200/43، 201، 202.

ابتداء الدولة العثمانية بالعراق وأوائل الدولة الصفوية في إيران لتتسامع بها الملوك وعين بها 12 ألف عسكري.

فمنشىء هذه الدولة أبوه، وسيفها أخوه المولى علي ومؤيدها وناشر رايتها هو، جمع بين السيف والقلم والخصال الحميدة، وعلى عهده اتسعت المملكة وكان مظفراً تقيًّا صالحًا محبًّا للعلماء جواداً سخيًّا محسناً إلى الفقراء([1]).

2- السيد مبارك بن عبد المطلب بن حيدر بن محسن: ت 1025هـ/1616م، تولى حكم الإمارة عام 998هـ/1589م، وكانت سطوته تمتد إلى القرنة وشط العرب من الغرب([2])وقد استولى على البصرة وجميع القرى المجاورة لها، ووصلت جيوشه الحساء([3])، ولم تستطع الحكومتان الفارسية والتركية من رده حتى اضطرتا إلى عقد معاهدة بينهما دفعاً له ومن هجماته المتتابعة([4])، وقد عظمت شوكته بتذبذبه الحاذق ما بين البرتغاليين والفرس وعرب البصرة وحافظ على سلطته بوعورة بلاده([5])، وبلغ مجموع جيشه في إحدى المعارك أربعين ألفاً، وقد خاض بهم غمار حروب عدة ضد الفرس والترك خرج منها منتصراً ومعترفاً به على بلاده من قبل الشاه الصفوي ووالي بغداد، وقد تبادلا معه الهدايا السنية والرسائل التلطيفية([6]).

---

(1)تاريخ المشعشعين، ص77، 79.

(2)نشوة السلافة 156/1، أعيان الشيعة 164/43.

(3)أربعة قرون من تاريخ العراق، تاريخ المشعشعين، ص106.

(4)أعيان الشيعة 165/43.

(5)أربعة قرون من تاريخ العراق، ص5.

(6)تحفة الأزهار (مخطوطة) 242/3، أعيان الشيعة 615/43، تاريخ العراق بين احتلالين 141/4.

وفي عهده تحولت الأحواز إلى مركز من مراكز العلم والثقافة وأنشئت المساجد والمدارس والمكتبات في مدن الإقليم المهمة بتشجيعه وجهود والده عبد المطلب وأخيه العالم والمفكر السيد خلف بن عبد المطلب([1]).

3- السيد منصور بن عبد المطلب بن حيدر بن محسن المشعشعي: (ت 1053هـ) 1943م، من حكام الإمارة الذين علا نجمهم وعظم نفوذهم، فقد ملك ثماني وعشرين سنة بغاية الاستقلال والتمكن والرفاهية. وقد ابتدع الكثير من الضرائب التي كان من بينها ضريبة المرور تؤخذ من القوافل والسفن التجارية التي تمخر بنهر كارون وشط العرب حتى لم يسلم منه ذو السلطان وأصحاب النفوذ حين اجتيازهم أراضي أو مياه إمارته. وكان على صلة وثيقة بالقبائل العربية في جنوب ووسط العراق، فقد وجدت به ملاذاً للتخلص من وطأة العثمانيين فيصلهم بالأموال وينزلهم الأماكن التي يرغبون في الإمارة([2]). ومما عرف عنه قوة تمسكه بعروبته والتزامه بتقاليدها كالكرم والشجاعة والإباء، فحينما تحرّك الشاه عباس لغزو بغداد طلب منه النجدة فلم ينجده ولكن الرد الوحيد الذي أجاب به على إنذار الشاه المتكرر: إنه إذا كان الشاه ملكاً لإيران، فأنا ملك في الحويزة ولا قيمة للشاه عندي([3]).

ومن أهم الأحداث في حياته تحالفه مع البرتغاليين لهدف نيل الاستقلال ومعارضته للشاه عباس([4]) .

---

(1)أعيان الشيعة 24/20، إمارة المشعشعيين، ص51.

(2)أعيان الشيعة 118/48.

(3)دليل الخليج - القسم التاريخي - 2397/5، الأحواز أرض عربية سليبة، ص22.

(4)إمارة المشعشعين، ص51.

وقد لهج بذكره والثناء عليه عدد من شعراء عصره تعد قصائدهم قمة في الشعر السياسي وتحتل المقدمة في أدب المديح، من بينهم الشاعر أبو معتوق الموسوي([1]).

4- السيد علي بن خلف بن عبد المطلب بن حيدر بن محسن المشعشعي: (ت 1088هـ) كان هذا الأمير عالماً فاضلاً وأديباً شاعراً له باع في التأليفات ومساهمات في أنواع التصانيف حتى بلغت مؤلفاته عشرة، تجمع بين التفسير والحديث واللُّغة والنحو والشعر والأدب، ونشأ في بيئة علمية يتولاها أبوه السيد خلف وعدد كبير من الأساتذة والمفكرين، ولذلك فقد أولى العلم رعاية خاصة في أثناء حكمه الذي امتد من سنة 1060-1088هـ/1650-1677م، ويعد من الشعراء والكتاب المعدودين في الأحواز وقد أفرزنا له ترجمة في شعراء الأحواز فيها شيء من التفصيل.

ويعد عصر ازدهار الأدب والثقافة في دولة الأحواز المشعشعية وكان مجلسه مجلس أدب وعلم([2]). وحدث في أثناء حكمه وقائع وحروب كثيرة بينه وبين بعض القبائل عبَّر عنها في شعره في قصائد عدة من أدب البطولة والفروسية، ومن جملة وقائعه وقعة المهناوي ووقعة الخوشنامية وكانت سنة 1080هـ/1669م، وفيها يقول من قصيدة:

وأبنا ورأس الناصبيِّ كأنه	خطيب على عود الرديني يخطب
بذلت لهم حلمي ومالي لعلهم	إذا نظروا أن يرجعوا أو ينكبوا
ولما أبوا إلاّ العداوة والقِلى	تروى بهم منا الحديد المذرب
وكنت قضاء الله صبَّح جمعهم	وما عن قضاء الله للمرء مهرب

(1)ديوان أبي معتوق، ص19، 22، 40.

(2)أعيان الشيعة 238/41، 240، تاريخ المشعشعين، ص133

أنا الأسـد الوثـاب إن صـالت العـدى ... ولكننـــــــي لله أرضى وأغضـــــــب

بفتيــان حـــرب مـــن ذؤابـــة هاشـــم ... يمـــدُّهُمُ الخـــال المبجـــل والأب

كـــماة حمـــوا أعراضـــهم بنفوســـهم ... وقد أنفـوا مـن أن يعيشـوا ويغلبـوا

إذا أطـربتهم رنـة البـيض في الطـلى ... فلـيس لهـم إلاّ دم الصـيد مشرب

فلـو ملكـت جـرد الجيـاد اختيارهـا ... أبت غيرهم يعلو عليها ويركـب([1])

---

(1)أعيان الشيعة 240/41، تاريخ المشعشعين، ص136.

إمارة

كعب

....

تشير معظم الدراسات التي تناولت قبيلة كعب التي أسست إمارة كعب العربية في الأحواز في نهاية القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي([1]) إلى أن قبيلة كعب دخلت إقليم الأحواز في وقت ما من القرن السابع عشر الميلادي المرجح هي الربع الأول من ذلك القرن([2])، على أن أقدم مقرٍّ لها عقيب ظهورها كان مدينة (قبان)([3])، وكان الكعبيون حلفاء آل أفرسياب منذ استلامهم ولاية البصرة في بداية القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي، إذ كانت القبيلة تقطن على ضفتي شط العرب تزرع الرز وتربي الحيوانات([4])، وفي ولاية علي باشا أفراسياب التي استمرت (45) عاماً جرى تركيزهم في ضفة شط العرب اليسرى وحول مدينة (قبان) وقريباً من مدينة الدورق وعلى شاطىء كارون عند مصبه بشط العرب. إن توجه أفراسياب إلى قبيلة كعب يدل على حنكة سياسية ورأي سديد وذلك:

---

(1)دليل الخليج - القسم التاريخي 2397/5، تاريخ إقليم الأحواز، ص5.

(2)زاد المسافر، ص20، السيرة المرضية / الورقة 15.

(3)ربعة قرون من تاريخ العراق، ص78.

(4)المصدر نفسه، ص78.

1- لقد كانت المنطقة تعيش اضطراباً سياسيًّا، وكثر الطامعون بها من الداخل والخارج، فلا بد من مؤازرة القبائل له لأن مجازفة تقلد المنصب وتحمل المسؤولية بهذه الصفة لم يكن في وسع أحد أن يتحملها إن لم يكن من رجال القبائل الأقوياء أو ممن حظي بدعمهم([1]).

2- ليجعلهم على حدود إمارته من الشرق حتى يحفظوا سواحل الخليج الشمالية وضفاف شط العرب، ولرد غائلة العدوّ وصد هجمات الغزاة([2]).

وقد كان الكعبيون عند حسن ظنه بهم وذلك أن الشاه عباس الصفوي حين ملك بغداد في السنة السابعة والثلاثين بعد الألف رام دخول علي أفراسياب في طاعته وانقياده لأوامره ونواهيه، وأمر بتسليم نفسه إلى قائد جيشه شاه إمام قلي خان، وقف رئيس كعب، بدر بن عثمان موقفاً مشرفاً ورد على طلب القائد الفارسي بأنه ما زال علي باشا حيًّا فإنه لن يسلم([3]).

أخذت قوة كعب في الازدياد السريع كقوة رئيسة ومؤثرة في إقليم الأحواز وشمال الخليج منذ منتصف القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي، حتى بعد سقوط حسين باشا أفراسياب في سنة 1078هـ/1667م الذي كان هو بحاجة إليهم([4]).

وقد بقي ولاؤهم للإيرانيين والأتراك مبهماً فلم يدفعوا الجراية للفريقين كما لم يحترموها([5])

---

(1)المصدر نفسه، ص99.

(2)الأحواز 229/2.

(3)(السيرة المرضية / ورقة 34). ديوان هاشم الكعبي، ص55، والأحواز 240/2.

(4)الأحواز 230/2، وزاد المسافر، ص33، ومختصر تاريخ البصرة، ص 132.

(5)أربعة قرون من تاريخ العراق، ص167.

إن نفوذ كعب السياسي اقترن بظهور إمارتين كعبيتين تقاسمتا حكم المنطقة مرة وتناوبتا حكمه مرة أخرى، وهاتان الإمارتان هما:

1- إمارة كعب البوناصر في القبان والفلاحية التي تأسست في نهاية القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي([1]) وانقرضت في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، وتسمى إمارة الفلاحية والتي تعد المرتكز السياسي والأساس لإمارة بني كعب التي أخذت قوتها تنمو نمواً سريعاً وبدأت تتوسع في جهة الشمال والشرق([2]).

2- إمارة كعب البو كاسب: من عشيرة المحيسن أحد أفخاذ قبيلة كعب في مدينة المحمرة وتوابعها والتي تأسست في بداية القرن التاسع عشر الميلادي وانقرضت عام 1344هـ/1925م، على يد رضا شاه بهلوي، وتسمى إمارة المحمرة التي امتد نفوذها إلى كافة أجزاء إقليم الأحواز، بما في ذلك الفلاحية والحويزة وسقي كارون([3]).

وكان المبعث الحقيقي لإنشاء المحمرة هو أمر شيخ كعب غيث بن غضبان([4])، لتكون مركزاً طليعيًّا حربيًّا ضد الترك والحدّ من نفوذهم إضافة إلى ضرورة اقتضتها السيطرة على مداخل كارون، الشريان الرئيس لحياة الإمارة الاقتصادية الذي بدأ الغرب حينئذ يوجه أنظاره إليه لاستغلاله والنفاذ منه إلى مشارف الأحواز وما جاورها طمعاً في خيراتها وثرواتها الطبيعية([5]).

---

(1)تاريخ إمارة كعب العربية، ص13.

(2)التاريخ السياسي لإمارة عربستان، ص43، آفاق عربية، عدد 4 لسنة 1981، ص26.

(3)تاريخ المشعشعيين، ص200.

(4)أحد مشايخ كعب في الفلاحية حكم الإمارة من سنة 1812-1828م، الأحواز 278/2.

(5)دليل الخليج - القسم التاريخي، 2428/5، التاريخ السياسي لإمارة عربستان، 89.

وقامت المحمرة أصلاً على جانبي نهر كارون وكان البناة الفعليون هم عشيرة المحيسن ورئيسهم مرادو بن علي بن كاسب ونجليه يوسف وجابر، فإمارة كعب في الفلاحية والمحمرة كانت أعظم قوة في إقليم الأحواز خلال هذه الفترة البالغة قرنين ونصف القرن استمرت في السيادة وكانت تتمتع باستقلال ذاتي واقعي([1]).

ومن أمراء كعب وحكامهم اللامعين:

1- الشيخ سلمان بن سلطان، ت 1182هـ/1768م:

تولى الإمارة من سنة 1150-1182هـ/1737-1768م ويعد من أقوى المشايخ والأمراء وأنجحهم في الإدارة، فكان داهية يقظاً ذكيًا ذا كياسة وحزم، وثق علاقاته بجيرانه([2])، ويرجع له الفضل في تقدم كعب وقد كثر عددهم تحت زعامته، لأنه قائد وزعيم شعبي، ناجح واحتفظ باستقلاله منتفعاً بالنزاع بين السلطات التركية والفارسية، وأصبح بعد قليل من توليه الإمارة حاكماً من دون منازع لمعظم مناطق الإقليم، ولم يمض غير وقت قصير حتى دوَّى اسم سلمان([3]) في أوربا وكانت بينه وبين والي بغداد وأمراء العرب مراسلات، وقد لقبه والي بغداد بألقاب عدة، وبقيادته تمكنت كعب من الاستيلاء على مدينة الدورق التي سمِّيت فيها بعد بالفلاحية واتخذوها عاصمة للإمارة([4]). وفي عهده تأسس أسطول الإمارة حتى أصبح

---

(1)الأحواز 2/ص246، تاريخ كعب، ص14.

(2)دليل الخليج - القسم التاريخي، ج / ص2404.

(3)أعيان الشيعة، 35، ص397.

(4)الأحواز، ج2، ص247.

يضاهي أساطيل الدول الكبرى والمجاورة([1]) وكان يستعين بالخبراء العُمانيين لتعزيز وتقوية هذا الأسطول([2])، وتمكن من نشر سلطانه على كافة الموانئ الممتدة من جزيرة عبادان إلى قرب مدينة بوشهر وعلى سواحل عُمان في الخليج العربي([3])، وكانت السفن المتوجهة إلى شط العرب وشمال الخليج العربي تدفع له الضرائب([4]).

لقد استطاع هذا الأمير بدهائه وقدرته القيادية الخروج على إرادة الفرس والترك ولم يذعن لهم، وكان يتعامل معهم تعامل الحاكم المستقلّ الذي يريد أن يحمي كرامة وطنه. فإذا طالبه الفرس بالمال اعتذر شاكياً عدم قابليته على الدفع معللاً ذلك بتقاضي الأتراك الأموال الطائلة منه، أما إذا طالب باشا بغداد بالرسوم منه فإنه يشكو أمر الفرس معه([5]).

لقد أصبحت إمارة كعب بقيادة الشيخ سلمان من البأس ما أقلق الفرس والترك والإنكليز فحاربوه منفردين فلم يفلحوا وحاربوه متحالفين وفرضوا عليه الحصار البحري([6])، ولكن قوة كعب بقيت صامدة أمام الغزاة الذين مهما تباينت أغراضهم فإنهم يلتقون في هدف واحد

---

(1)أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ص167.

(2)التاريخ السياسي لإمارة عربستان، ص45.

(3)تاريخ الكويت السياسي، ج1، ص49.

(4)التاريخ السياسي لإمارة عربستان، ص45، الأحواز، ج2، ص254.

(5)مشاهدات نيبور ص36/35، الأحواز، 2 ص248، والتاريخ السياسي لإمارة عربستان، ص46.

(6)دليل الخليج - القسم التاريخي، ج5، ص2407 / التاريخ السياسي لإمارة عربستان، ص47.

هو إسقاط الحكم في هذه الإمارة.

وإلى جانب هذه الأعمال البطولية والعسكرية التي تميزت بها قبيلة كعب في عصر الشيخ سلمان، فإن عهداً من الازدهار الاقتصادي والعمراني والحضاري ساد الإمارة فشُقت الترع وأقيمت السدود وبنيت المدن مع اتساع أبواب التجارة([1]).

2 -بركات بن عثمان بن سلطان، ت 1197هـ/1783م:

تولى المشيخة من عام 1184-1197هـ/1770-1783م، وفي عهده توسعت الإمارة وشملت مناطق ساحلية على الخليج في الجانب الشرقي حتى ميناء بوشهر، ونتيجة لتعاظم قوة كعب وما يتمتع به أسطولها من نشاط في شط العرب وشمال الخليج([2])، فقد بقيت مهابة الجانب عزيزة المكانة في نفوس الأوربيين والأتراك والفرس على السواء، وقد تخلى الأوربيون عن المطالبة بديون قديمة لهم خشية المتاعب التي يمكن أن تثيرها حكومة الإمارة.

3-غيث بن غضبان ت 1244هـ/1838م:

من أمراء كعب اللامعين، حدثت في عهده معارك عدة بين الإمارة والفرس والأتراك على السواء، وقد رفض التسليم للفرس بأي نوع من أنواع الخضوع ولم يدفع لهم شيئاً من الرسوم والضرائب، وأقام علاقات تحالف وتعاون مع قبيلة المنتفك بزعامة حمود الثامر([3]) تتضمن مناصرة أحدهما الآخر إذا ما حلَّ بهم خطب أو دهمهم عدوّ ولضرورة الاستعداد لمواجهة

---

(1)الأحواز، ج2، ص246 (5) الأحواز، 2، ص266، وتاريخ كعب، ص15

(2)دليل الخليج / القسم التاريخي، 5، ص240/2419.

(3)الأحواز، 2، ص280، دليل الخليج - القسم التاريخي، ج5، ص242.

الإيرانيين والأتراك الذين لا يتورعون عن الكيد للقبائل العربية وطمس نفوذها، وفي عام 1827 عقد صلح بين الشيخ غيث وبين داود باشا والي بغداد وأعيدت جميع المدافع والأسلحة التي كانت قد استولت عليها كعب في الحروب السابقة.

وهذا ما يؤكد مكانة الإمارة ونفوذها الواسع([1]).

4- ثامر بن غضبان ت 1253هـ/1837م:

تميز عهده بالرخاء والازدهار الاقتصادي وعمل على تشجيع الزراعة والتجارة، ومنح الأجانب والتجار حماية في أرضه، وكانت الترع والقنوات التي تعتمد عليها الزراعة مصونة وفي حالة جيدة.

وكان إعلان المحمرة ميناء حرًّا في عهده قد جعلها مستودعاً للبضائع ليس لتموين إقليم الأحواز وحده، بل لسكان الأراضي المجاورة عراقية أو إيرانية([2]).

واعتمد أيضاً على سياسية مستقلة عن الدولة الفارسية (القاجارية) ولم يدفع لهم رسوماً أو ضرائب أو أي نوع من أنواع الخضوع والتبعية وحصلت بينه وبين الحاكم الفارسي معتمد الدولة (منهو شهرخان) معارك عدة صمد في أكثرها.

وقام الشيخ ثامر بتنمية علاقاته بجيرانه الأتراك والي بغداد وحاكم البصرة طمعاً في دعمهم لاستقلاله الذاتي ومساعدته في دفع النفوذ الإيراني عن الإمارة([3])، ويعد الشيخ ثامر آخر أمير قوي من أمراء كعب البو ناصر وقف

---

(1)الأحواز، ج2، ص285، دليل الخليج القسم التاريخي، ج5، ص2432.

(2)دليل الخليج - القسم التاريخي، ج5، ص244.

(3)المصدر السابق، ج5، ص2449.

بوجه الدولة الفارسية([1]).

5- الحاج جابر بن مرداو الكعبي ت 1299هـ/1881م:

يعد بحق المؤسس الحقيقي الأول لإمارة المحمرة وواضع الأساس لكيانها السياسي([2])، بدأ حياته تابعاً لأمراء كعب في الفلاحية يدفع لهم الضرائب السنوية ويرسل الحشود من قبيلته للمساعدة في الدفاع عن الفلاحية عند أي تهديد([3]).

وقد مكنته اللياقة والأناة اللتان يمارس بهما علاقاته مع الحكومة الإيرانية من أن يحتفظ حتى النهاية بنوع من الاستقلال النافذ في إدراته الدولية كما أصدرت الحكومة الإيرانية مرسوماً في عام 1274هـ/1857م يتضمن الاعتراف باستقلال المحمرة الذاتي وبأمرة الحاج جابر بن مرداو ولأبنائه من بعده([4]).

وفي أيام حكمه تعرضت المحمرة لهجوم مدمر قام به الجيش العثماني بقيادة علي رضا والي بغداد سنة 1253هـ/1837م وكانت الدولة العثمانية تعد المحمرة وضواحيها من ممتلكاتها، وكان الدافع لهذه العملية هو الغيرة من ازدهار المحمرة التي كانت بسبب عدم فرضها ضرائب كمركية تستحوذ على تجارة البصرة مما أضر بالدخل التركي العام([5]).

---

(1)الأحواز، ج2، ص293.

(2)التاريخ السياسي لإمارة عربستان، ص91، أعيان الشيعة، ج15، ص1992.

(3)دليل الخليج العربي / القسم التاريخي - ج5، ص2435.

(4)التاريخ السياسي لإمارة عربستان، ص95.

(5)دليل الخليج - القسم التاريخي / ج5، ص2437، أعيان الشيعة، ج 15/ص 192.

وقد استمر حكم الحاج جابر أكثر من نصف قرن وتوفي ليخلفه ابنـه مزعـل في حكم الإمارة([1]).

6 -الشيخ مزعل ابن الحاج جابر ت 1315هـ/1897م:

يعد عصر الشيخ مزعل فترة انتقالية في تاريخ الإمارة من الاستقلال الذاتي الذي حصله أبوه إلى الاستقلال شبه التام والذي حققه أخوه الشيخ خزعل([2]).

وكان حذراً في علاقاته مع الإيرانيين فقد حـاول تعطيـل نمـو المحمـرة حتـى لا يغري ازدهارها السلطات الإيرانية بالمغالاة في طلباتهم منه، وكان ينظر إلى كـل امتـداد في قوة الحكومة المركزية الإيرانية في الأحواز بفزع وربما كان هذا سبب عدائه للملاحـة العامة في كارون([3]).

وفي حكمـه اتسـع نفـوذ الإمـارة لتشـمل كافـة أنحـاء إقلـيم الأحـواز فأخضـع الفلاحية وسيطر على الحويزة وقضى على حركات العصيان القبلية ووحد مناطق الإقليم بعد فترة من تعدد الأمراء والمشايخ وأصبح له الحكم المطلق في كل البلاد([4]).

7 -الشيخ خزعل ابن الحاج جابر (ت 1354هـ/1935م):

تولى حكم الإمارة بعد مقتل أخيه مزعل في عام 1315هـ/1897م واستولى على جميع بـلاد الأحـواز

(1)دليل الخليج - القسم التاريخي، ج5، ص 2476، والتاريخ السياسي لإمارة عربستان، ص 98.

(2)التاريخ السياسي لإمارة عربستان، ص 98.

(3)دليل الخليج - القسم التاريخي، ج5، ص 2478.

(4)أعيان الشيعة، ج 48، ص 57.

وارتفعت حاله عما كان عليه أبوه وقصده العلماء والشعراء والأدباء وغيرهم، فعمَّهم بنواله([1]).

وكان يمتد نفوذه شمالاً كما في باقي الاتجاهات([2]) و«يعد الشيخ خزعل من الشخصيات العربية البارزة في تاريخ العرب الحديث إذ إنه لعب دوراً رئيساً في أحداث الخليج العربي في الربع الأول من القرن العشرين وأسهم إسهاماً فعالاً في أحداثه واحتل مكانة مرموقة بين أمراء الجزيرة العربية وهو لا يقل أهمية عن شخصية الشيخ سلمان بن سلطان الكعبي، وتأتي أهمية الشيخ خزعل في أن أمارته شهدت أحداثاً غاية في الأهمية، فقد شهد تفجير النفط وتبلور المصالح الأجنبية في منطقته، وشهد قيام الحرب العالمية الأولى وعد موقع إمارته الاستراتيجي خطيراً إبّانها، كما شهد انهيار الحكم القاجاري في إيران، وقيام الحكم البهلوي بدله، ذلك الحكم الذي أطاح بحكمه»([3]).

أما علاقاته الخارجية فقد تعامل الشيخ خزعل مع أربع جهات تعاملاً مختلفاً أملته عليه الظروف السياسية القلقة إلى جانب مصلحة إمارته:

1 - علاقته مع حكام العراق آنذاك:

لقد اختلفت باختلاف الولاة في العراق، إلاّ أن الطابع الغالب عليها الشدة حتى تهيبه الولاة فمالؤوه([4])وفي هذه

---

(1)أعيان الشيعة، ج 29، ص 320.

(2)دليل الخليج - القسم التاريخي، ج 5، ص 2557.

(3)التاريخ السياسي لإمارة عربستان، 105.

(4)المصدر السابق، 111.

السياسية حافظ على استقلاله من تدخلهم([1]).

2 - العلاقة مع الإمارات والمشيخات العربية:

المتتبع لحياة الشيخ خزعل السياسية وصلاته مع أمراء العرب ومشايخهم آنذاك يجده شعوراً عربيًّا يعمل على توحيد الصف العربي والوقوف بوجه أعداء العرب، وهناك عشرات الشواهد على الصلات الرسمية والشعبية التي لا توجز ببضع كلمات على كثرتها وتنوع مناسباتها([2]).

3 - العلاقة مع بريطانيا:

من الحقائق المؤكدة أنه ليس لبريطانيا أي دور أساسي في تولي الشيخ خزعل السلطة في إمارة الأحواز التي ورثها عن أبيه وأخيه ولكنه نال اعترافهم الذي لم يكلفهم شيئاً، وعلى الرغم من ندرة فضل الإنكليز عليه نجده وقف منهم موقف المؤيد لمصالحهم وسياستهم (ليضمنوا له الاستقلال المنشود)([3]).

4 -العلاقة مع الدولة الفارسية:

إن الأطماع الفارسية بإقليم الأحواز ليست وليدة حكم الشيخ خزعل وإنما تمتد قروناً عدة تبدأ بالقرن السادس عشر الميلادي حينما تسلم الصفويون حكم إيران ثم تلاهم الأفشار والزنديون ثم القاجاريون، والأطماع الفارسية عينها تتكرر على اختلاف الحكام الفرس ومن جراء ذلك تعرض

---

(1)دليل الخليج - القسم التاريخي - ج 5، ص 2559.

(2)تاريخ الكويت السياسي 295/4.

(3)التاريخ لإمارة عربستان 110، 145-157، ودليل الخليج / القسم التاريخي 2568/5.

الإقليم إلى العديد من الغزوات والحملات الفارسية التي لا تلبث أن تتراجع أمام قوة الصمود العربي. ولم يذكر لنا التاريخ أن شعب الأحواز العربي أو أحد حكامه طوال القرون الخمسة الماضية اعترف بالتبعية أو الخضوع للحكومات الفارسية حتى عام 1264هـ/1847م حينما عقدت معاهدة أرض روم الثانية بين الحكومتين العثمانية والفارسية، اعترفت بموجبها الحكومة العثمانية بسيادة الدولة الفارسية الاسمية على المحمرة وتوابعها في ضفة شط العرب اليسرى دون استشارة شعب الأحواز أو حكامه.. «والحقيقية أن الحاج جابر وأبناءه من بعده لم يخضعوا للسيادة الفارسية ولم يعترفوا بمعاهدة أرض روم الثانية وظل يحكم منطقته لا تقلقه فارس قدر قلقه من العصبية القبلية.. أما موقف إيران بعد الاتفاقية فقد وجدت نفسها عاجزة عن إدارة شؤون المنطقة التي لا تمت لها بصلة واقعية سوى ارتباطها من الناحية السياسية الشكلية ولما كانت فارس آنذاك في وضع لا تحسد عليه من التفكك والانهيار، والنزاع العثماني ما انفك مستمراً عليها فقد وجد ناصر الدين شاه (1848-1896م/1265-1314هـ) أن من الحكمة ومصلحة بلاده إعلان استقلال الأحواز تحت إمارة الحاج جابر ليتخلص من عبء إدارتها، وليجعلها منطقة حاجزة من تعديات الأتراك المستمرة لحدود بلاده فأصدر في آواخر سنة 1274هـ/1857م مرسوماً يتضمن الاعتراف باستقلال المحمرة الذاتي وبإمارة الحاج جابر عليها»([1]).

---

(1)التاريخ السياسي لإمارة عربستان، ص 93، 95.

وعلى هذا الأساس كانت العلاقة مع فارس رسمية لا تتعدى النـواحي الشـكلية التي فرضتها معاهدة أرض روم الثانية([1]). جرى ذلك في عهد الشيخ خزعـل فإنـه عمـل على استقلال الإمارة في مختلف شؤونها الداخلية والخارجية عن الدولة الفارسية، وبهذا الصدد يقول رضا شاه : إنه «كان يعيش كأمير مستقل داخل حدوده... ولـيس لحكومـة طهران أي سلطان عليه، غير أنه يرسل أحياناً بعض الهدايا إلى شاه فارس شخصيًّا»([2]).

ويبدو أنه كان يسود المحمرة منذ تولية خزعل شيء كثير من عدم الثقـة بينـه وبين الحكومة الإيرانيـة المركزيـة وذلـك أن وزراء الشـاه لم ينظـروا باستحسـان للمركـز الاستثنائي الذي ورثه الشيخ في إيران. وتمتع به وطمع في تحسينه. وهو من جانبه عـاش في خوف من أن يعتدوا على حقوقه في حكومته الذاتية شبه المستقلة([3]).

وبعد قيام رضا خان في انقلابه في شباط 1340هـ/1921م أطاح بالحكومـة الإيرانيـة وبـدأ يسـتولي عـلى مقـدرات الدولـة شـيئاً فشـيئاً حتـى أصـبح عـاهلاً وراثيًّا على إيران في نيسان سـنة 1345هــ/1926 كـان واضـعاً نصـب عينيـه إنهـاء الحكم العربي في إقليم الأحـواز لدوافعـه القوميـة المتطرفـة ولم يقـم بـذلك دفعـة واحدة، وإنما بدأ المهمـة بالتـدريج، فبـدأ بدعوتـه إلى أداء الضرائـب المتـأخرة ثـم

---

(1)أحوال البصرة ص 30.

(2)مذكرات رضا شاه ص 38.

(3)الخليج - القسم التاريخي، ج 2559/5.

بالاحتلال العسكري وإعلان الأحكام العرفية في جميع أنحاء الإقليم، ثم تعيين الحكام للمدن والمناطق حتى تقلص نفوذ الشيخ خزعل ولازم قصره في الفيلية لا يتركها إلاّ نادراً للذهاب للبصرة وقد وصلت المؤامرة آخر أشواطها بتدبير الحاكم العسكري للمنطقة زاهدي الذي قام باختطاف الشيخ خزعل في 1344هـ/20/نيسان/1925 وإرساله مخفوراً إلى طهران. وبهذه الطريقة اللصوصية طويت آخر صفحة من الحكم العربي للإقليم وقامت إيران بحكم الأحواز حكماً مباشراً([1])

الحالة الاجتماعية

- عناصر السكان:

استقر العرب في إقليم الأحواز قبل الإسلام، وسمَّى عدد من المؤرخين القبائل العربية التي كانت تقطن هناك كقبيلة بني حنظلة، وبني العمّ([2])، ثم توالت الهجرات بعد الفتح الإسلامي فاستقرُّوا على ضفاف شطّ العرب ونهر كارون الكرخة متخذين من الزراعة مهنة لهم، ولكن هذا التحوُّل من البداوة إلى الاستقرار لم يشمل القبائل كلها وبقيت قبائل أخرى محافظة على بداوتها التي كانت تحياها في موطنها الأول([3])، وصار العرب يؤلفون الأكثرية الساحقة في المنطقة فقد بلغوا 95% من السكان إلى جانب أقلية فارسية ومندائية([4])، ولهذه الأقلية الدينية الأخيرة أشار الرحالة

---

(1)التاريخ السياسي لإمارة عربستان، ص 228، 232، 234، 245، 246، 248.

(2)تاريخ الطبري، جـ 5، ص 2543.

(3)الأحواز، ج1، ص 210.

(4)التاريخ السياسي لإمارة عربستان، ص 102.

الفرنسي تافرييه، وسماهم نصارى القديس يوحنا وبين المدن التي يوجدون فيها وأنهم يبلغون نحو خمسة وعشرين ألف عائلة معظمهم من أصحاب الحرف، خاصة الصياغة والنجارة والحدادة([1])، وهي الحرف التي يترفع العرب عن امتهانها آنذاك، وقد أشار الأستاذ عباس العزاوي إلى ملاحظة جديرة بالاهتمام هي (أنه ليس ثمة عشيرة في إقليم الأحواز إلاّ ولها أصل أو فرع في العراق)([2]) ولهذا الترابط والتشابك والتشابه في الحياة الاجتماعية بين العراق والأحواز يشير لونكريك بقوله: «كانت سهول العراق محفوفة على هذه الشاكلة ببلاد تختلف عنها بوجه أرضها وسكانها فنظرة واحدة ننظرها إلى العرب الخُلَّص من بدو بادية الشام وسكان شواطىء الخليج وإلى اللر والكور في الشرق والشمال تؤكد لنا سيادة اللُّغة الواحدة وتناسق الطبيعة في العراق الأصلي فكانت اللُّغة العربية في الحقيقة ينطق بها الجميع من الموصل إلى الكارون. وكانت تقاليد البلاد في هذا الزمن هي التقاليد العربية كما كان الإسلام، وكان يوجد الكثير من وحدة المناظر العامة والثقافة الواحدة وكانت الأنهار تربط الشمال بالجنوب»([3]).

- العادات والتقاليد:

إن شعب الأحواز شعب عربي لا يختلف في عاداته وتقاليده عن الشعب العربي في أي قطر من الوطن العربي الكبير، فالكرم من أهم خصاله إلى جانب الطباع السليمة والأخلاق الإنسانية الرفيعة، فالغريب لديهم معزَّز، والنزيل عندهم محترم وأمارة النجابة العربية ظاهرة، ودلائل الشيم عليهم باهرة، وما زالت القبائل العربية متمسكة بعاداتها وتقاليدها

---

(1)العراق في القرن السابع عشر، ص 102.

(2)عشائر العراق، ج 4، ص 190، وانظر: التاريخ السياسي لإمارة عربستان، ص 122، والأحواز، ج 1، ص 210.

(3)أربعة قرون من تاريخ العراق، ص 8.

التي ورثتها عن الأسلاف، والنخوة العربية باقية والتفاخر بالأنساب، والاهتمام باقتناء الخيل وحمل السلاح وتعليم الفروسية والرماية، وتنشئة الأولاد الصغار على هذه الصفات الحميدة([1]).

وليس هناك فارق كبير بين سكان المدن وسكان القرى فالجميع خاضعون في مظاهرهم وعلاقاتهم للعرف القبلي، ونفوذ شيوخ القبائل يسود في الريف والمدينة على السواء، ألاّ أن حياة القرويين مبنية على الحل والترحال طلباً للماء والكلأ، وحياة المدن مبنية على الدعة والاستقرار وسكانها من أبناء القبائل أنفسهم محافظين على القيم القبلية وملتزمين بها([2]).

وكان شيوخها ورؤساؤها ينتخبون من قبل كبار القبيلة أو العشيرة ومن بين أفراد عائلة الرئيس (الشيخ) يأتي من يرث المنصب بعده تتوارث المناصب([3]).

أما الخلافات التي تحصل بين أفراد القبيلة فتحل وفق الأعراف والمثل القبلية.

أما المرأة فشأنها عزيز ومكانتها رفيعة، وقد شاركت الرجل في مختلف مجالات الحياة العملية في الريف والمدينة، وبلغ من سعة نفوذها أنها تشارك الأمير في توجيه سياسة الدولة وإطفاء نار الحرب بين القبائل المتنازعة([4])، وخلق الانسجام والتعاون بين الأسر ومواقفها

---

(1)الأحواز، 1، ص 212، الشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر، ص 81، والعرب والعراق، ص 12.

(2)دليل الخليج - القسم الجغرافي 162/1.

(3)دليل الخليج القسم الجغرافي، ج 1، ص 162.

(4)أعيان الشيعة، ج 15/ص 151، الدرر الحسان، ص 23، والأحواز، ج 1، ص 169، 190، 198، 211، وإمارة المشعشعيين، 236.

الإنسانية مشهودة([1]).

ومن مظاهر الحياة الاجتماعية الأخرى: إقامة الأفراح للمواليد والأعراس فتنحر الذبائح وتدعى فرق الأفراح لإحياء المناسبة وتقام سباقات الخيول والإبل وتلقى الأشعار([2]).

أما منغصات الحياة الاجتماعية فهي كثيرة، فليس من المعقول أن نجد في عصر اضمحلال الحضارة العربية ازدهاراً اجتماعيًّا يشبه عصر الرشيد في بغداد أو عصر الناصر في قرطبة فملطفات الحياة الاجتماعية التي نعرفها اليوم تكاد تكون مفقودة، والأمراض الفتاكة تجتاح المدن والقرى فتقضي على الآلاف من السكان وإلى جانب الأمراض كانت الحروب والفيضانات والفتن القبلية والغزو الأجنبي كوارث تركت بصماتها على حياة مجتمع الإقليم وخلفت وراءها الويلات([3]).

الحالة الاقتصادية

يعدُّ إقليم الأحواز من الأقاليم الغنية في العالم لتعدد موارد الثروة فيه ولخصوبة تربته ووفرة مياهه، فأرضه التي هي جزء من سهل الرافدين رسوبية طموية تصلح لمختلف المزروعات وأنهاره التي تنحدر من جهتي الشمال والشرق متعددة بروافدها وفروعها إلى جانب نسبة من مياه الأمطار ومناخ معتدل، وقد أشار الجغرافيون والبلدانيون العرب ممن زار الإقليم إلى هذه الحقائق.

قال أبو دلف مسعر بن المهلهل الخزرجي : وسوق الأحواز تخترقها

(1)الأحواز، ج 1، ص 191، تاريخ المشعشعيين، ص 112.

(2)الدرر الحسان، ص 27، الأحواز، ج1، ص 212.

(3)دليل الخليج / القسم التاريخي، ج 5، ص 2428، الشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر، ص 82، والأحواز، ج1، ص 267.

مياه مختلفة منها الوادي الأعظم وعليه أرجاء عجيبة ونواعير بديعة وماؤه في وقت المدود يحمر يصب إلى الباسيان والبحر ويخترقها وادي المسرقان وهو ماء تستر أيضاً ويخترق عسكر مكرم ولون مائه في جميع أوقات السنة أبيض ويزداد في أيام المدود بياضاً، وسكرها أجود سكر الأحواز([1]).

وقال ياقوت : وأما ثمارهم وزروعهم، فإن الغالب النخل، ولهم عامة الحبوب من الحنطة والشعير والأرز فيخبزونه وهو لهم قوت كرستاق كسكر من واسط وفي جميع نواحيها أيضاً قصب السكر، إلاّ أن أكثره بالمسرقان ويرفع جميعه إلى عسكر مكرم، وعندهم تماماً الثمار إلاً الجوز وما لا يكون إلاّ ببلاد الصرود([2]).

وقال المقدسي عن مدينة السوس : بها مزارع الرز والأقصاب ويطبخ بها سكر كثير([3]).

وقال عنها ابن الأثير : هي مدينة عظيمة حسنة ذات بساتين وأنهار وبها قصب السكر ما يعجز عنه الواصف ويحمل منها السكر ما يعمُّ جميع الآفاق، ويصنع بها ثياب الخز كل زي عجيب([4]).

وقال ابن بطوطة عن منطقة تستر: بها البساتين الشريفة والرياض المنيفة ولها المحاسن البارعة والأسواق الجامعة والفواكه بتستر كثيرة، والخيرات متيسرة، ولا مثيل لأسواقها في الحسن([5]).

وقال عنها المقدسي: يدور حولها النهر وتحدق بها البساتين والنخل معدن كل حاذق في عمل الديباج والقطن ولا تسل عن الفواكه والخيرات.

---

(1)الرسالة الثانية 28، ومعجم البلدان 286/1.

(2)معجم البلدان، ج 2، ص 405. / أحسن التقاسيم، ص 621.

(3)دائرة المعارف (بطرس البستاني) 1، ص 222.

(4)رحلة ابن بطوطة، ص 199-120.

(5)أحسن التقاسيم، ص 904.

وقال عبد الرشيد الباكوي وهو يتحدث عن إقليم الأحواز:

ناحية بين البصرة وفارس بها عمارات ومياه وأودية كثيرة وأنواع الثمار وقصب السكر والأرز الكثير[1].

كان هذا حال الإقليم في عصور ازدهار الحضارة العربية الإسلامية حتى نهاية القرن السابع الهجري، أما في العصور التالية التي تميزت بالدمار والاضمحلال الحضاري نتيجة للسيطرة والاستغلال الاستعماري فعلى الرغم من المآسي الاجتماعية والتخريب الاقتصادي، فإننا نجد الإقليم يحتفظ ببعض خصائص الخصب والعطاء إذا ما قورن بغيره من المناطق الأخرى، فقد تحدث الرحّالة الفرنسي تافرييه عن المنطقة في بداية القرن السابع عشر الميلادي بقوله: «وإن هذه الأراضي من أحسن ما يمتلكه السلطان لاشتمالها على مراعٍ واسعة وحروج نضيره يربي فيها عدد كبير من الحيوانات خاصة الأفراس والجواميس[2].

- الثروة الزراعية والحيوانية والصناعية والتجارية:

أكثر الأشجار وأوسعها انتشاراً هي التوت والإثل والخيزران والصفصاف والرمث والقصب والبردي وأنواع كثيرة من الحشائش، ويعتبر القمح والشعير والأرز والقطن والسمسم والفول والذرة والدخن والكتان والبيله والفيون والفلفل والدخان من أهم منتجاتها، وكذلك أنواع الخضروات كالخس والطماطم والخيار واللوبياء والثوم والبصل، وأنواع الفواكه كالرمان والتين والعنب والليمون والبرتقال والتفاح والكمثري والبرقوق والسفرجل والبطيخ واللوز[3].

---

(1)تلخيص الآثار وعجائب الملك القهار، ص 45.

(2)العراق في القرن السابع عشر 92، 95.

(3)دليل الخليج - القسم الجغرافي - 165/1.

وفي القرن العاشر الميلادي كان قصب السكر أهم محاصيل الأحواز إذ كانت تموّل جميع بلاد إيران والعراق وبلاد العرب بالسكر، إلاّ أن هذا المحصول اختفى في العصور الأخيرة([1]).

وقد بذل الأمراء العرب الذين حكموا الإقليم عناية فائقة بموضوع الزراعة فأنشأوا السدود وفتحوا القنوات واستصحلوا الأرض الموات، وحرصوا على تحسين نوعية وكمية الإنتاج، وأشتهر من بينهم السيد خلف بن عبد المطلب المشعشعي والشيخ سلمان الكعبي والشيخ خزعل([2]).

إلى جانب الزراعة توجد ثروة حيوانية هائلة تشتمل على الأغنام والماعز والإبل والبقر والجاموس والخيل والحمير والبغال وتوزيع هذه الحيوانات يشبه توزيع المحاصيل إذ يتبع إلى حد ما طبيعة المنطقة، وتوجد أعداد كبيرة من الحيوانات البرية والطيور منتشرة في الغابات والبراري والأنهار([3]).

- الصناعة:

أما في الميدان الصناعي فقد اشتهرت الأحواز بصناعات عدة في عصور متقدمة، فقال ابن حوقل: يتخذ بتستر الديباج الذي يحمل إلى جميع الآفاق ويعمل بها كسوة الكعبة للبيت الحرام، ويكون بتستر لجميع من ملك العراق طراز([4]).

ومن الصناعات التي اشتهرت بها مدينة تستر صناعة الحرير لوجود

---

(1)دليل الخليج - القسم الجغرافي - ج 1/ص 165.

(2)أعيان الشيعة، ج 30/ص 28، الأحواز، ج 2، ص 245، ص 252، 264 وعنوان المجد 176.

(3)دليل الخليج - القسم الجغرافي، ج 1، ص 164، ص 166.

(4)صورة الأرض ص 231، وانظر: معجم البلدان، ج 2، ص 405. ودائرة المعارف بطرس البستاني، م 10، ص 222.

التـوت الـذي يـربى عليـه دود القـز وكـذلك النسـيج والفـرش وعصـير الفواكـه والأواني والتقطير والحليّ والمجوهرات([1]).

واشتهرت هذه المدينة بصناعة الأقلام في القرن السابع عشر الميلادي([2]).

وتشتهر مـدن الإقلـيم الأخـرى بالصـناعات اليدويـة كصـناعة السـجاد والأواني والزوارق والفخار([3]).

وتحتوي أرض الإقليم على ثـروة معدنيـة هائلـة كالنحـاس والكبريـت والزئبـق والقير والنفط، ولكنها كانت تفتقر إلى الاستغلال لعدم توفر الخبرة العلمية، ومع بدايـة القرن العشرين تفجرت منابع النفط لتكون أول منطقة في الشرق الأوسط يستثمر فيهـا قبل غيرها من المناطق المجاورة، وكافة أرض الإقليم نفطية([4]).

- التجارة:

يتمتع إقليم الأحواز بموقع تجـاري غايـة في الأهميـة فهـو يشرف عـلى القسـم الشمالي الشرقي من الخليج إضافة إلى اتصـاله بضـفة شـط العـرب الشرقـي، وصـلاحية نهر كارون للملاحة حتى مدينة الأحواز الواقعة في وسط الإقليم إلى جانب المنافذ البرية مع العـراق وإيـران، فقـد أشـار المقـدسي إلى رواج سـلع الإقلـيم ومـواد إنتاجـه بقولـه: التجارات به مفيدة لأن كل سـكر تـراه في بلـدان الأعـاجم والعـراق والـيمن فمنـه، ثـم يحول فيرتفع من تستر الـديباج الحسـن والأنمـاط وثيـاب حسـنة وفواكـه كثـيرة ومـن

---

(1)الأنوار النعمانية، م 4، ص 303.

(2)لغة العرب، مجلد 9/ص 616.

(3)دليل الخليج القسم الجغرافي، ج 1، ص 172.

(4)الأحواز، ج 1، ص 105، 109.

السوس السكر الكثير والبزّ الحسن والخزور ومن العسكر مقانع القز تحمـل إلى بغـداد وثياب القنب والمناديل والسنور من بصنا وأنماط قرقوب معروفـة ومـن الأحـواز تصـدر فوط القز الحسنة والأزر الكبار من نهر تيري([1]).

لقد حافظ الإقليم على صلاته التجارية مع دول المنطقة والعالم فكان يصدر ما يزيد عن حاجته ويستورد المـواد الضروريـة وقـد توثقـت علاقاتـه التجاريـة مـع الهنـد وإفريقيا وأوربا كما كانت البصرة الملاصقة للإقليم أهم مينـاء في شـمال الخلـيج العـربي ومركز تصدير واستيراد لمختلف السلع مع بداية القرن السـادس عشر المـيلادي فيجلـب لها الهولنديون التوابل كـل سـنة، ويحمـل إليهـا الإنكليـز الفلفـل وشـيئاً مـن القرنفـل، ويجلب إليها الهنود نسيج قالقوط والنيل وشتى أنواع السلع، وبهـا تجـار مـن مختلـف البلـدان مـن القسـطنطينية وأزمـير وحلـب ودمشـق والقـاهرة وغيرهـا مـن الأصـقاع التركية([2]).

وأهم المواد التي يصدرها الإقلـيم في القـرنين الثـامن عشر والتاسـع عشر هـي التمر والصوف والزيت والأفيون والقمـح والصـمغ والسمسـم والقطـن والحنـاء واللـوز ومواد الصباغة الخام والسجاد والفرش([3]). والسكر والشـاي والمعـادن والآلات الخشـبية والعقاقير والتوابل([4]).

أما أهم واردات الإقليم فهي البضائع المصنّعة كالملابس والأقمشة.

وفي الربع الأول من القرن التاسـع عشر أصـبحت المحمـرة أهـم مينـاء تجـاري ينافس مدينة البصرة على ضفة شط العرب اليسرى وتحولت معظـم صـادرات وواردات الإقليم نحوها حتى عصرنا الحاضر([5]).

---

(1)أحسن التقاسيم، ص 416.

(2)العراق في القرن السابع عشر، ص 98، وأربعة قرون من تـاريخ العـراق، ص 110 والأحـواز، ج 1، ص 114.

(3)عنوان المجد ص 178.

(4)دليل الخليج - القسم الجغرافي، ج 1، ص 166، 171.

(5)دليل الخليج - القسم الجغرافي، ج 5، ص 2437.

وفي بداية القرن العشرين كان النفط في مقدمة صادرات الإقليم والميناء الرئيسي لتصديره هو ميناء عبادان جنوب مدينة المحمرة([1])

- واردات حكومة الإقليم:

تعتمد حكومة الإقليم في وارداتها على أمور عدة منها:

1 - غنائم الحرب ، وقعت حروب كثيرة بين الأحوازيين والفرس والأوربيين وغيرهم من القوى الأجنبية التي رغبت في بسط هيمنتها الاستعمارية على الإقليم وفي أكثر المعارك كان النصر لعرب الأحواز، وفي هذه الحالة تكون نسبة كبيرة من غنائم الحرب للحكومة، وتتألف هذه الغنائم عادة من الخيول والأسلحة والبواخر والمواد الغذائية وغيرها([2]).

إلى جانب هذا إن الفتن المحلية وحركات العصيان القبلية ضد الحكومة سواء في عهد المشعشعين أم الكعبيين كثيراً ما كانت تتمخض عن الاستيلاء على ممتلكات تلك القبائل المنكسرة([3]).

2 -الغرامات : وكانت تفرض ضد المخالفين سواء كانوا من عناصر الحكومة أم رؤساء القبائل أو الأفراد ويكون ذلك إما بالاستيلاء على الملكيات أو دفع بعض المبالغ([4]).

3- الضرائب : وهي كثيرة ومتنوعة وتخلتف من أمير إلى أمير، ومن أنواعها:

أ : ضريبة المرور على الأفراد والقوافل والسفن التجارية، فقد

---

(1)المحمرة مدينة وإمارة عربية، ص 74.

(2)الأحواز، ج 2، ص 158، 168، 179، 263 دليل الخليج / القسم التاريخي، ج5، ص 2404.

(3)تاريخ المشعشعين، ص 92، 107.

(4)إمارة المشعشعين، ص 226.

ذكر لونكريك أن القبائل العربية في سقي كارون وشط العرب لا تسمح بمرور السفن التجارية دون ضريبة([1]) وذكر تافرنييه أن رسوم الكمرك على البضاعة كان 5%([2]).

ب: ضريبة الأرض الزراعية : وهي تختلف من منطقة لأخرى تؤخذ الرسوم إما نقداً أو عيناً بطريقة الالتزام من قبل ضامن الأرض أو من الحاصل او من قبل رؤساء العشائر كلٌّ في منطقته([3]).

وتعتبر ضريبة التمر من أهم ضرائب المواد الزراعية لكثافة النخيل هناك وكان مقدارها ثلاثة أرباع الريال للجريب الواحد([4]).

ج: ضريبة النقود : تعد النقود أحد مظاهر الاستقلال الاقتصادي للدولة، وقد أدرك حكام الإقليم العرب هذه الناحية، ففي عهد السلطان محسن سنة (ت 905هـ)([5]) ضربت النقود باسم المشعشعيين في مدينتي تستر ودسبول ثم بعد ذلك ضربت في الحويزة كما ضربت في مدينة البصرة إبّان حكم آل أفراسياب، وكان التجار الغرباء أو المحليون الذين يأتون من الخارج يحملون ريالاتهم إلى دار الضرائب العائدة للأمير حيث تضرب وتحول إلى عملة محلية ومدخولة من ذلك 8%([6])زيادة على ما تقدم من الضرائب فقد كانت هناك

(1)أربعة قرون من تاريخ العراق، ص 5.

(2)العراق في القرن التاسع عشر، ص 99.

(3)التاريخ السياسي لإمارة عربستان، ص 117.

(4)عنوان المجد، ص 178، وأربعة قرون من تاريخ العراق، ص 110.

(5)تاريخ المشعشعين، ص 77.

(6)العراق في القرن السابع عشر، ص 99، إمارة المشعشعين، ص 28.

ضرائب على الأسواق والحوانيت وعلى البضائع والسلع والغلة وعلى الملح والقصابية والحمالية، وكانت تعطى جبايتها على انفراد لأشخاص ضامنين بطريقة الالتزام([1]).

(1)التاريخ السياسي لإمارة عربستان، ص 119.

الباب الأول

الحياة الثقافية والأدبية

الفصل الأول

الحياة الثقافية والأدبية

....

- الحياة الثقافية:

يمتلك إقليم الأحواز تراثاً ثقافيًا وثروة فكرية ساهمت في بناء صرح الحضارة العربية الإسلامية في العصرين الأموي والعباسي، وأنجب عدداً كبيراً من العلماء والمفكرين والشعراء والنحاة والفلاسفة والأطباء تملأ أسماؤهم الكتب وتشغل مؤلفاتهم المكتبات.

قال ابن حوقل في أهل الأحواز : وفي عوامهم وأهل مهنهم من الرياضة بالكلام والعلم به وبوجهه ما يضاهون به الخواص من أرباب البلدان وعلمائهم ولقد رأيت حمالاً عبر وعلى رأسه وقر ثقيل أو على ظهره وهو يساير حمالاً آخر على حاله وهما يتنازعان في التأويل وحقائق الكلام غير مكترثين بما عليهما([1]).

وقد نسب إلى هذا الإقليم خلق كثير من ذوي الخبرة وشتى الاختصاصات العلمية والأدبية، ومن أشهرهم :

يزيد بن مفرغ الحميري، وكعب بن سعد الأشقري، والمغيرة بن حبناء، وجرجيس الطبيب وحماد عجرش، ووالبة بن الحباب وعكاشة

---

(1)صورة الأرض، ص 230.

العمـي والسـيد الحمـيري وسـيبويه النحـوي، وأبـو نـؤاس الشـاعر وسـهل بـن هـارون وإبراهيم الصولي وإمام اللُّغة ابن السكيت وابن ماسويه الطبيب ودعبل الخزاعي وعلي بن مهزيار والأخيطل الأحوازي وأبو العنبس الصيمري وأبو العيناء وسهل التستري وابـن الراوندي وابن سلام الجبائي والحلاج وأبو الحسن الرامهرمـزي وأبـو عبدالـلـه العبـاداني وابن دريـد الأزدي وأبـو هاشـم الجبـائي والزجـاجي وأبـو القاسـم التنـوخي وأبـو عـلي النيسابوري والحسن بن المهلب ومبرمان العسكري وابن مخلاة الرامهرمزي وابن عبـاس الميكال ومحمد السوسي وأبـو عـلي العسـكري وأبـو هـلال العسـكري وعشرات آخـرون غيرهم([1]).

وكانت مدنه وقراه مركزاً للمثقفين ومناراً للدارسين، ونشـأت في سـوق الأحـواز وتسـتر والـدورق وعسـكر مكـرم المسـاجد والمـدارس ودور الكتـب يتصـدرها العلـماء والمعلمون ويقصدها طلبة المعارف والفنون وكانت توضع لها الأوقاف وترصد لها المبالغ من ذوي اليسار ويعيّن لها الخدم، وقد أشار عدد من الرحالة والمؤرخين والجغرافيين إلى ظاهرة الانتشار الثقافي والرعاية العلمية في هذا الإقليم، فقد تحـدث ابـن بطوطـة عـن الحالة الثقافية في الإقليم ورعاية الناس للمدارس والمسـاجد والزوايـا ومسـتوى الخدمـة بقوله: وفي كل مرحلة منها زاوية فيهـا للـوارد الخبـز واللحـم والحلـواء، وفي كـل زاويـة الشيخ والإمام والمؤذن والخادم، وكـان نـزولي في مدينـة تسـتر في مدرسـة الشـيخ الإمـام موسى ابن صدر الدين سليمان، وهذا الشيخ ذو مكارم وفضائل جامع بين العلم والدين والصلاح والإيثار وله مدرسة وزاوية وخدامها فتيان له أربعة وكان مجلسه مجلس علـم ووعظ وبركة.

---

(1)معجم البلدان، ج 286/1، ومجلة البصرة، عدد 981/11-148.

وقد كانوا يسمون الزاوية مدرسة، وبلغ عددها أربعمائة وستين زاوية وينفـق عليها ثلث خراج السلطان([1]).

إن هذا المظهر المشرق لحال الإقليم الثقافي الـذي نقلـه ابـن بطوطـة في القـرن الثامن الهجري والذي يعد امتداداً لعصور ازدهار الحضارة العربية لم يستمر طـويلاً، إذ سرعان ما تبدلت أحوال الإقليم ودخل الاضطراب والتخلف شـتى مجـالات الحيـاة فيـه ومنها الحالة الثقافية نتيجة لعدم الاسـتقرار السـياسي وكـثرة الحـروب العنيفـة وتعـدد الحكومات الأجنبية التي ليس لها غـرض غـير جمـع المـال وبسـط النفـوذ فلـم ينظـروا للعلوم ولا لرجال العلم([2]).

فأصيبت الثقافة بنكسة لم تسـتيقظ منهـا إلاّ في عهـد المشعشـعيين الـذين بذلوا مجهوداً مشهوداً وكبيراً من أجل تطوير المنطقة وتخليصها من النفوذ الأجنبي ففي ظل الحكـم العـربي انتعشـت الثقافـة العربيـة وبـدأت ملامـح نهـوض فكـري بناء على رعاية آل المشعشع لهذه الناحية، وقد يبدو الأمـر بـديهيًّا حيـنما نعلـم أن محمد بن فلاح (ت 866هـ/1461م) الواسطي المشعشعي مؤسس هذه الدولة هـو نفسه عالم ورجل فكر صرف ردحاً من حياتـه في طلـب المعرفـة وتحمـل كثـيراً مـن المشاق لينال درجة من العلم حيـنما درس في واسـط والحلـة، ثـم الكوفـة وبغـداد حتى أصبح محل ثقة أستاذه العلامة أحمد بن فهد وإعجابه، فكـان ينيبـه في إلقـاء بعـض الـدروس عـلى تلامذتـه، لتوقـد ذهنـه وقدرتـه عـلى المعالجـات العقليـة([3])، وحال تمكنه من السيطرة عـلى أوضـاع الأحـواز السياسـية ليكـون أول سـلطان مـن سلاطين المشعشعين وتأسـيس الحـويزة عاصـمة لملكـه فقـد أولى الناحيـة العلميـة

---

(1)رحلة ابن بطوطة، ص 190.

(2)تاريخ العراق بين احتلالين، ج 3/ص 308.

(3)مؤسس الدولة المشعشعية، ص 55.

العناية اللازمة واتخذ من المساجد مكاناً لتدريس المعارف، فأسس في كل محلة من الحويزة مسجداً وعين فيه قارئاً للقرآن وواعظاً يعظ الناس ويؤمهم في الصلاة وجعل التعليم فيها إجباريًّا([1])، وعين المعلمين للقيام بهذه المهمة([2]).

وكان السلطان محسن محباً للعلماء والفضلاء وأهل الكمال والأدب حتى أن كثيراً من العلماء جعلوا مؤلفاتهم باسمه وأرسلوها إليه ومن هؤلاء شمس الدين محمد الاسترابادي كتب حاشية على رسالة إثبات الواجب وقدمها إليه ووسمها باسمه([3])، وكان يتخذ له ندماء من أهل الفكر ويقربهم إلى بلاطه ويأمرهم بملازمة مجلسه حيث كانت تجري المناظرات وقراءة الكتب في مختلف صنوف المعرفة([4])، فجمع بين السيف والقلم والخصال الحميدة([5]).

وفي عهد السلطان مبارك عبد المطلب شهدت المنطقة نهضة علمية واسعة وافتتح عدداً من المدارس وطلب جماعة من أهل العلم الشريف منهم العالم عبد اللطيف الجامعي العاملي([6])، والسيد راشد بن سالم([7])وكان أبوه عبد المطلب بن بدران واسع الاطلاع كثير التتبع يزين مجلسه بعدد من علماء عصره وطلاب المعرفة([8]).

---

(1)تاريخ المشعشعيين، ص 15، 76، وإمارة المشعشعيين، ص 244.

(2)أعيان الشيعة، ج 42، ص 16.

(3)تاريخ المشعشعيين، ص 247.

(4)إمارة المشعشعين، ص 247.

(5)أعيان الشيعة، ج 43/ص 201.

(6)تحفة الأزهار، ج 3/ص 121.

(7)تاريخ المشعشعيين، ص 117.

(8)آثار الشيعة الإمامية، ج3/ص 170.

من علماء البيت المشعشعي السيد خلف بن عبد المطلب الذي كان عالماً فاضلاً محققاً جليل القدر وشاعراً أديبًا له مؤلفات عدة([1])سنتحدث عنها في دراسته لأنه من الكتاب الذين يعنينا نتاجهم الأدبي، والسيد علي ابن خلف (الذي حاز الحظ الأوفر من العبادة والزهادة والتبحر في فنون العلوم ونظم الأشعار والقصائد الرائقة وقد أكثر من التصانيف العالية في أنواع العلوم)([2])والسيد عبدالله بن فرج المشعشعي (يحفظ دواوين المتقدمين ويأتي بالسحر الحلال المبين)([3]).

ولم ينحصر هذا الاهتمام بالعلم عند الأمراء والحكام بل تجاوزهم إلى العلماء والمفكرين الذين أسهموا في حركة النهوض الثقافي للإقليم من هؤلاء العلامة نعمة الله بن عبدالله الجزائري ت 1112هـ/1700م، وأولاده، وأحفاده الذين جاءوا من بعده، والعلامة عبد اللطيف آل أبي جامع وأولاده وأحفاده فقد أسسوا العديد من المدارس والمكتبات العامة إضافة إلى قيامهم بعملية التدريس في هذه المدارس([4]).

فإذا كان هذا حال الأمراء المشعشعين في اهتمامهم بالثقافة والعلم فإن حكام الأقاليم العرب الآخرين الذين عاصروا المشعشعيين أو بعد عصرهم بذلوا جهوداً لا يمكن التقليل من شأنها، ففي عهد الإمارة الأفراسيابية التي تأسست في ولاية البصرة عام 1005-1078هـ/1596-1667م التي امتد نفوذها ليشمل الأجزاء الجنوبية والغربية للأحواز، ازدهرت الثقافة العربية، وكانت أيام علي باشا أفراسياب شبيهة بأيام

(1)أمل الآمل، ج 111/2.

(2)الأنوار النعمانية، ج 338/3.

(3)حديقة الزوراء في سيرة الوزراء، ج 1/ص 72، وتاريخ المشعشعين، ص 174 الحالي والعاطل، ص 48، مصفى المقال / ص 233.

(4)أعيان الشيعة، ج 43، ص 165، ج 38، ص 88.

هارون الرشيد في الرفاهية وطلب العلم والآداب، وقد شجع العلماء والمفكرين على التأليف وكان يمتلك خزانة كتب كبيرة([1]). «ووجد المعلمون ملجأ وملاذاً عنده كما أدى الاقتصاد الحكيم والعدل المصون إلى سكينة لم يكن يتوقعها إلاّ القليل من الناس وكان أديب ذلك الزمان والمكان الشاعر الشهير الشيخ عبد علي بن رحمة الحويزي([2]).

وقد ورث الكعبيون آل أفراسياب في الحكم والنفوذ في ربوع الإقليم تلك، فأقاموا إمارة كعب في الفلاحية أولاً ثم في المحمرة فأولوا التراث الثقافي والعلمي الذي ورثوه كل عناية وتقدير واتجه عدد منهم إلى التحلي بالعلم والمعرفة فظهر بينهم أفراد نالوا حظًّا من الفضيلة([3]).

وأسسوا العديد من المدارس والمكاتب، وكان مجلس الحاج جابر ابن مرداو مجلس علم وأدب وينفق علي قاصديه من العلماء والمشايخ ورجال الدين أموالاً كثيرة([4])، واستقدم عدداً من شيوخ النجف لتعليم أولاده وأبناء إمارته([5]) أما الشيخ خزعل بن جابر وهو آخر حكام الأحواز من العرب فقد رعى العلم والثقافة رعاية منقطعة النظير وفتح المكاتب والمدارس التي تدرس العلوم العصرية وعلى كثرتها في البلاد كان ينفق عليها من ماله الخاص، وأرسل أولاده إلى إحدى المدارس الأجنبية في البصرة لتلقي الدروس الحديثة فيها([6])

---

(1)السيرة المرضية في شرح الفرضية ورقة 3، زاد المسافر 18، 24.

(2)أربعة قرون من تاريخ العراق، ص 104، تاريخ العراق بين احتلالين، ج 5، ص 44.

(3)ديوان هاشم الكعبي، ص 55.

(4)عنوان المجد، ص 179، ومعارف الرجال، 1، ص 341.

(5)الدرر الحسان، ص 28، والتاريخ السياسي لإمارة عربستان، ص 91.

(6)الدرر الحسان، ص 48، والتاريخ السياسي لإمارة عربستان، ص 121.

ومن العلماء الذين أسهموا في رفد الحركة العلمية والثقافية الشيخ أحمد الدورقي المتوفى سنة 1247هـ/1831([1]) والشيخ سلمان بن محمد الفلاحي المتوفى 1341هـ/1922م([2])، وغيرهم من العلماء في عصر الكعبيين فقد أسسوا المدارس والمكتبات التي تضم نفائس الكتب. إن هذه الجهود المبرورة والتوجهات المخلصة من لدن حكام الإقليم وعلمائه أعطت أفضل الثمار في مقدمتها المحافظة على الثقافة القومية وسلامة العقيدة الدينية، واستمر أبناء المنطقة يقرأون ويكتبون ويدونون في لغتهم العربية الفصيحة حتى عام 1344هـ/1925م حينما غزا الإقليم واستعمره رضا شاه بهلوي ومن ثم اعتمد سياسة التفريس ومحاربة اللُّغة والثقافة العربية.

- مظاهر المدارس الثقافية:

1 -المدارس:

اتخذت المساجد والزوايا أماكن للتعليم أول الأمر، ثم أنشئت بنايات خاصة يطلق عليها أسماء مدارس حقيقية، وإلى جانبها البيوت والمحلات التي تسمى «مكاتب»([3])ويوجد نوعان من أنواع المدارس زيادة على التدريس الخاص، وهما:

أ : المدارس التي ينشئها الأمراء والحكام ويتولون رعايتها في كل احتياجاتها ويمكن أن يطلق عليها (المدارس الرسمية)، فقد أسس الأمير عبد المطلب بن بدران وابناه السلطان

(1)معارف الرجال، ج 1، ص 65.

(2)معارف الرجال، ج 1/ص 341.

(3)الأنوار النعمانية، ج 4/ص 302، إمارة المشعشعين، ص 224، مؤسس الدولة المشعشعية، ص 131.

مبارك والعلامة خلف عدداً من المدارس في الدورق والحويزة وخلف آباد وتستر كما هو حال الحكام العرب الآخرين في الإقليم([1]).

ب : المدارس التي ينشئها الأفراد من العلماء والوجهاء وأصحاب الفضيلة وهي كثيرة منتشرة في القرى والمدن منها المدارس التي أنشأها العلامة عبد اللطيف آل جامع وأولاده وأحفاده في تستر والحويزة وخلف آباد([2])، ومدرسة الشيخ سعد في الحويزة([3]) وغيرها من المدارس.

وأهم المراكز الثقافية التي انتشرت فيها هذه المدارس بنوعيها:

1 - الحويزة: تحولت الحويزة إلى مركز من مراكز العلم والثقافة منذ اتخاذها عاصمة للمشعشعيين في منتصف القرن التاسع الهجري واستمرت حتى بداية القرن الرابع عشر الهجري، وكانت محطة يقصدها العلماء والمشايخ لإلقاء محاضراتهم والطلاب لتلقي مختلف الدروس، واقترن اسم عدد كبير من الأساتذة والشعراء والمفكرين بهذه المدينة لوفرة المدارس ودور العلم فيها، ومن هذه المدارس مدرسة الشيخ عبدالله الجامعي ومدرسة الشيخ علي آل بوصوف، ومدرسة عباس، ومدرسة شيخ الإسلام ومدرسة الشيخ يعقوب ومدرسة عبد علي العروضي([4]).

---

(1)الدرر الحسان، ص 48، وإمارة المشعشعيين، ص 244.

الدرر الحسان، ص 48، 438، وإمارة المشعشعين، ص 244.

(2)الحالي والعاطل، ص 48، 58، 75.

(3)إمارة المشعشعين، ص 245.

(4)أعيان الشيعة، ج 39، ص 32، معارف الرجال، ج 1، ص 335، إمارة المشعشعيين، ص 245.

وقد أشار السيد نعمة الـلـه الجزائري إلى المكانة العلمية التي احتلتها الحويزة فقال: «رأينا أن الغالب على أهلها العبـادة والزهـادة ومطالعـة العلـوم وكتابـة الكتـب وأهلها في غاية الذكاء»([1]).

2- الدورق : أنشئت فيهـا مـدارس عـدة أيـام الأمـير عبـد المطلـب بـن حيـدر بإشراف الشيخ عبد اللطيف آل أبي جامع، واستمرت الحركـة العلميـة فيهـا أثنـاء حكـم الأفراسيابيين، ومن ثـم الكعبيـين، وفي عهـدهم سـميت بالفلاحيـة، واقـترن اسـم بعـض المدرسين بمدارسها مثل الشـيخ عبدالـلــه بـن نـاصر الحـويزي الهمـيلي([2]) وسـلمان بـن محمد ابن حسن الفلاحي([3]).

3- القبان : وهو موطن قبائل كعب بعد عبورهم إلى ضفة شط العرب اليسرى واسـتقرارهم في الأحـواز بدايـة القـرن السـابع عشر المـيلادي، فقـد بلـغ عـدد المسـاجد والمدارس فيها التسعين ونبغ فيها عدد من العلماء والشعراء([4]).

4 -تستر : وهي مدينة عريقـة في مدارسـها، وقـد تـولى الإشراف عـلى مدارسـها والتدريس فيها عدد كبير من الأساتذة والعلماء أمثال علي بن الحسين بن محيي الـدين العاملي وعبدالـلـه الجزائري صاحب الإجازة الكبيرة([5]).

5- المحمـرة : احتلـت مدينـة المحمـرة في عصر آل مـرداو مكانـة مرموقة بين مدن الأحواز، فإلى جانب مكانتها السياسية والاقتصادية أصبحت

(1)الأنوار النعمانية، ج 3، ص 338.

(2)أعيان الشيعة، ج 39، ص 94.

(3)معارف الرجال، ج 1، ص 341.

(4)زاد المسافر، ص 3، عنوان المجد، ص 179.

(5)أعيان الشيعة، ج 6، ص 156، ج 39، ص 94، والحالي والعاطل، ص 48.

مركزاً من مراكز العلم والثقافة وقبلة القاصدين من العلـماء والمفكـرين والطلبـة، وقـد بلغ عدد المدارس والكتاتيـب في مدينـة المحمـرة وحـدها عشرة كتاتيـب كانـت تـدرس القرآن الكريم واللُّغة العربية بعلومها مع الحساب والجغرافية والتاريخ الإسلامي واللُّغة الإنكليزية، وكان في نية الشيخ خزعل تأسيس مدرسة عالية([1]).

إن هذا العدد الكبير مـن المؤسسـات العلميـة والمـدارس والمكاتـب إلى جانـب المدرسين والعلماء والطلاب تمخض عنه نـوع مـن الـنظم والأسـاليب التربويـة، منهـا مـا يتعلق بالطالب ومنها ما يتعلق بالمعلم والشيخ ومنها ما يتعلق بمراحل الدراسة وطـرق التدريس، وموضوعات البحث والمعرفة وقد استطاع مفكرو الأحواز وعلماؤها أن يضعوا أسساً لمسيرة التعليم في إقليمهم لا تختلف كثيراً عن الأساليب المعاصرة فالعمر الـدراسي للتلميذ هو السنة الخامسة ولا يعني ذلك حرمان من هو أكبر هذه السن([2]). ويشـترط في أعمار تلاميذ (المكتب) أن تكون متقاربة ولا يوضع الصبيان والبنات في مكتب واحد.

أما المعلم فهو العفيـف صـاحب الـدين المـرضي والأخـلاق الحميـدة وذلـك أن المعلم يكسب الصبي دينه وأخلاقه([3]).

وقد عقد العلامة نعمة اللـه الجزائري في أحوال العـالم والمـتعلم فصـلاً واسـعاً ضمنه الأسس والقواعد التربوية التي يجـب أن يلتـزم بهـا الطالـب والمعلـم في مختلـف المراحل الدراسية([4]).

---

(1)الدرر الحسان، ص 438.

(2)الأنوار النعمانية، ج 4، ص 302، الدرر الحسان، ص 28، تاريخ المشعشعيين، ص 233.

(3)الأنوار النعمانية، ج 2، ص 199، 205.

(4)الأنوار النعمانية، ج 3، ص 340-362.

أما أسلوب الدراسة في مدارس الأحواز في تلك العصور فيبدو أنه متأثر جدًّا بأسلوب مدارس النجف بطرق التدريس وبمراحل الدراسة ولعل السبب في ذلك هو أن معظم مدرسي هذه المدارس والمكاتب وشيوخها إما أحوازي استكمل دراسته في النجف وإما نجفي ألقى رحاله هناك وقام بمهمة التدريس، وقلما نجد عالماً أو مفكراً أو أديباً منهم لم يمض بضعة أشهر أو بضع سنين في معاهد النجف، وكانت طرق التدريس تتلخص في نقطتين أساسيتين هما:

أولاً- طريقة التحليل: وهي أن يتناول الأستاذ الموضوع ويقسمه إلى أقسام ثم يتناول كل قسم ويحلله إلى أجزاء حتى يصل إلى أدق تلك الأقسام وحينئذ يتناولها ويبحث في الأسباب والعلاقات والمعاني والألفاظ.

ثانياً- طريقة التفسير والشرح: وهي أن يضع الباحث نص القضية فيدرسها ويأخذ بتفسيرها من جميع الوجوه الممكنة وفي الأخير يختار الوجه الذي يستنسبه والتفسير الذي يختاره([1]).

أما مراحل الدراسة فهي تقسم إلى قسمين:

أولاً: دراسة المقدمات أو السطوح: ويقصد بها الدراسة التمهيدية وهي التي تقابل في العصر الحاضر الدراسة الابتدائية والثانوية، وهي مرحلة القراءة من سطح الكتاب في ذلك العلم، يقرأ المدرس عبارة الكتاب ويفسرها، وإن كان له نظر خاص أو اعتراض شرحه وبينه، ومن كان له من الطلاب قابلية الرد عليه ومباحثته رد عليه وباحثه.

---

(1)لغة العرب، مجلد 4، سنة 926- ص 330، وتاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني، ص 103.

ثانياً: دراسة الخارج: وتقبلها في عصرنا الحاضر الدراسة في المعاهد العالية ذات، الاختصاص، ويتلقى الطلاب فيها معلوماتهم عن طريق محاضرات الأساتذة وكبار العلماء، إذ يلقي الأستاذ محاضرته ببيان الموضوع ثم يشرح لها جميع الإشكالات حوله وفي مثل هذه الدراسة يكون المجال حرًّا للمناقشة والاستفادة حتى وإن كانت المناقشة ردًّا على رأي الأستاذ المحاضر نفسه([1]).

أما كتب الدراسة فهي متنوعة تنوع الموضوعات والأبحاث وأشهرها حسب موضوعاتها:

في النحو: كانوا يدرسون الأجرومية وألفية ابن مالك وقطر الندى ومغني اللبيب وكلاهما (لابن هشام) واللمع لابن جني، والكتاب لسيبويه.

وفي اللُّغة: يدرسون صحاح الجوهري وقاموس الفيروز آبادي.

وفي المنطق: يدرسون حاشية الملا عبدالله الشارحة لمتن التفتازاني وشرح الشمسية لقطب الدين.

وفي المعاني والبيان: شرح المطول أو المختصر لسعد الدين التفتازاني.

وفي البديع: الفوائد الضيائية وشرحها للشريف المرتضى وشرح المفتاح.

وفي الأصول: كتاب الكفاية للعلامة الخراساني وكتاب الرسائل في الأدلة العقلية للأنصاري.

(1)لغة العرب، مجلد 4، سنة 926- ص 330، وتاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني، ص 105.

وفي الفقه: شرح اللمعة للشهيد العالمي، والمكاسب للأنصاري وكتاب الشرائع للمحقق وكتاب المعالم للشيخ حسن.

وفي الرجال: رجال أبي علي.

وفي الحديث والأخبار: كتاب الوسائل وكتاب البحار.

وفي علم الحساب: خلاصة الحساب للبهاء العاملي.

في الهندسة: أشكال اقليدس.

وفي الهيئة: كتاب المجسطي([1]).

2 -المكتبات ودور الكتب:

ومن مظاهر التطور الثقافي والتفوق الفكري الذي لمسناه لدى أمراء وعلماء وشعب الأحواز رعايتهم الفائقة للكتب لأنها تعدُّ عنصراً أساساً في عملية التعليم والتثقيف فأنشأوا لها الدور والخزائن ووضعوا لها النظم والتعليمات في المطالعة والاستعارة والحفظ وكل ما يتعلق باستعماله وحسن الاستفادة منه وعدوا الإعارة من المستحبات استحباباً مؤكداً لما فيه من الإعانة على العلم. ومن آداب الاستعارة عندهم عدم التصرف بالكتاب المستعار أو المستأجر بغير إذن صاحبه، وبشأن وضعها في الخزائن فإنها توضع على أساس علومها وشرفها وشرف مصنفها فيوضع الإشراف على الكل ثم يراعى التدريج فإن كان فيها المصحف الكريم جعل أعلى الكل ثم كتب الحديث الخالص ثم تفسير القرآن ثم تفسير الحديث ثم أصول الفقه ولا يوضع الكبير فوق الصغير لئلا يكثر تساقطها([2]).

وبهذا المسلك الرفيع تجاه الثقافة ازدهرت الكتب والتصانيف

---

(1)لغة العرب، مجلد 2، سنة 1912، ص 443، وأعيان الشيعة، ج 39، ص 86، وتاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني، ص 106.

(2)الأنوار النعمانية، ج 3، ص 372، أعيان الشيعة، ج 18، ص 453.

وتسابق الفضلاء على اقتنائها وجمع أكبر عدد منها، وقد بلغ من شغف أحدهم بالكتب أن يبيع رداءه الوحيد ليشتري كتاباً ليُضم إلى مكتبته الزاخرة بأصناف المؤلفات([1])، وكان اصطحاب الكتب في الأسفار عادة بعض العلماء والباحثين([2])، وأصبح إهداء الكتب بين الأمراء والعلماء أمراً مألوفاً([3])وفي ظل هذه الظروف العلمية الرحبة نشأت المكتبات في مدن الأحواز، كان من أشهرها :

1 - مكتبة الإمارة في الحويزة : ذكرها عدد من المؤلفين وكانت عامرة احتوت على مختلف المؤلفات والمصنفات في شتى المعارف والعلوم وإن كثير منها كان من تصانيف رجالهم وازدادت في عصر الأمير خلف بن عبد المطلب ثم أضاف لها ولده علي بن خلف في ولايته للدولة الشيء الكثير من الكتب النفيسة ومؤلفاته القيمة([4]).

ومن مكتبات الحويزة الأخرى مكتبة الشيخ سعد الحويزي، وكانت كثيرة العدد فيها من نفائس الكتب المخطوطة وقد كان مؤسسها من أهل الفضل والتقوى والورع والصلاح وله مجلس عامر بأهل العلم والأدب والشعر([5]).

2 - مكتبة تستر : كانت تستر من المراكز الثقافية المهمة في الإقليم وتخرج فيها جمع كثير من رجال العلم والفضل والفكر والعرفان والأدبُ الشعر([6]) فلا غرابة إذا ما وجدنا عدداً من دور الكتب

---

(1)أعيان الشيعة، ج 13، ص 333.

(2)الأنوار النعمانية، ج 4، ص 313. الإجازة الكبيرة ورقة 14.

(3)روضات الجنات، ج 3، ص 364، وتاريخ المشعشعين، ص 233.

(4)ديوان ابن معتوق، ص 225، والأنوار النعمانية، ج 3، ص 338، روضات الجنات، ج3، ص 264، وتاريخ المشعشعين، ص 14.

(5)معارف الرجال، ج 1، ص 335.

(6)إحقاق الحق، ج 1، ص 113

الخطيرة التي من بينها دار كتب السيد نعمة اللـه بن عبداللـه الجزائـري، وقـد نالـت أهمية خاصة من ورثته بعده وصارت تضم اثني عشر ألف مجلد من بينها كتب خطية محلاة بماء الذهب([1])، ودار كتب السيد أحمد التستري وتشمل على سبعة آلاف مجلـد في جلها كثير من المخطوطات القديمة والحديثة المذهبة([2]).

3- مكتبة الفلاحية : وقد كانت مكتبة كبـيرة جامعـة فيهـا الكثـير مـن الكتـب المخطوطة الجليلة، أسسها الشيخ سلمان الفلاحي المتوفى سنة 1341هـ/1922م([3]).

4- مكتبـة المحمـرة : ازدهـرت في عهـد الشـيخ خزعـل واحتـوت عـلى أنفـس المخطوطات والمطبوعات وأندرها، وكانت النجف أحد مصادر كتبها وبقيت تلك المكتبة العامرة إلى يوم اختطاف الشيخ خزعل([4]).

3 - العلماء والمفكرون:

من مظاهر حالة الإقليم الثقافيـة كـثرة العلـماء والمفكـرين الـذين أسـهموا في تكوين الحركة العلمية التي برزت معالمها واضحة في هـذا الـعصر وذاع لهـا صـيت بـين المفكرين في البلدان المختلفة وكان من نتائجهـا تعميـق روح البحـث وتطـوير مختلـف العلوم.

فقــد وردت أســماء العديــد مــن هــؤلاء العلــماء والمفكــرين في كتب والتراجم والسير مثل: أمـل الأمـل وروضـات الجنـات، وأعيـان الشـيعة

---

(1)خزائن الكتب العربية، ج 1، ص 156.

(2)أعيان الشيعة، ج 17، ص 386.

(3)معارف الرجال، ج 1، ص 241.

(4)الأحواز، ج 1، ص 147، والتاريخ السياسي لإمارة عربستان، ص 121.

وطبقات أعلام الشيعة، والحصون المنيعة ومعجم المؤلفين وغيرها من الكتب الأخرى.

وتميزت جهودهم العلمية ببعض السمات يمكن تلخيصها بما يأتي:

أ- تنوع اختصاصاتهم وتعدد مؤلفاتهم:

وهذه السمة تكاد تكون ملازمة لمعظم علماء الإقليم، فالشيخ عبد اللطيف بن علي العاملي (ت 1050هـ) كان عالماً بالفقه والحديث والمنطق واللُّغة وألف كتباً وشروحاً في هذه العلوم، إضافة لجهوده الجليلة في نشر الثقافة الدينية والأدبية بما شيد من جوامع وأنشأ من مدارس([1]).

والشيخ عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي (ت 1040هـ/1630) (كان عالماً فاضلاً فقيهًا محدثاً ثقة ورعاً شاعراً أديباً جامعاً للعلوم والفنون له كتاب نور الثقلين في تفسير القرآن وألف في الحديث والأدب والنحو والمنطق وله شرح لامية العجم)([2]).

وعبد الرشيد التستري (ت 1078هـ/1667م) كان طبيباً وله مؤلفات في الحديث والشعر والنحو والإنشاء ودراسات أخرى([3]).

والشيخ علي بن الحسين بن محيي الدين العاملي (ت 1135هـ/1722م) (كان عالماً موسوعيًّا له مشاركة جادة في كثير من العلوم الإسلامية فهو نحوي بلاغي منطقي رياضي متفلسف محدث مفسر أصولي، أديب شاعر، ومن الرجوع إلى مختلف مؤلفاته يظهر أن المؤلف كان جم النشاط متواصلاً في التأليف منذ شبابه الباكر حتى شيخوخته)([4]).

---

(1)الحالي والعاطل، ص 46.

(2)أمل الآمل، ج 2، ص 154، وروضات الجنات، 4، ص 213، أعيان الشيعة، ج 38، ص 60.

(3)أمل الآمل، 2، ص 170، أعيان الشيعة، ج 38، ص 24.

(4)الحالي والعاطل، ص 75.

والشيخ جعفر بن عبدالله بن إبراهيم الحويزي (ت 1115هـ/1703م) جليل القدر عظيم الشأن رفيع المنزلة دقيق الفطنة ثقة ثبت عين عارف الأخبار والتفسير والفقه والأصول والكلام والحكمة العربية جامع لجميع الكمالات وليس له في عصره نظير ولا قرين في جميع العلوم([1]).

والسيد أبو تراب الجزائري (ت 1200هـ/1785م) كان من علماء تستر المدرسين في العلوم العربية والأدبية والفقه والأصول([2]).

والشيخ جعفر بن محمد بن باقر التستري (ت 1335هـ/1916م) متضلعاً بالفقه وأستاذاً في العلوم الدينية والنحو والبلاغة وشاعراً له العديد من الأراجيز العلمية، ألف في الفقه والتفسير والنحو والبلاغة والإرشاد([3]).

ب- رحلتهم في طلب العلم ونشره:

كان طلبة العلم وعشاق المعرفة من أبناء الأحواز يتنقلون من قرية إلى قرية ومن مدينة إلى مدينة بل من إقليم الأحواز نفسه إلى الدول المجاورة شغفاً بالعلم والثقافة وكان العلماء مثابرين على التنقل بين المراكز العلمية في مدن الأحواز والأقاليم العربية والإسلامية المجاورة، وكان مبدأ التلميذ والعلم على السواء (تعلم العلم وعلمه وليس لطلب الجاه أو المال أو الشهرة)([4]).

فقد ذهب السيد إبراهيم المشعشعي في عنفوان شبابه من موطنه الحويزة إلى استراباد ومنها إلى هراة (بقصد تحصيل العلوم الدينية

(1)روضات الجنات، ج 2، ص 193، وأعيان الشيعة، 15، ص 478

(2)أعيان الشيعة، 6، ص 156.

(3)أعيان الشيعة، ج 18، ص 453.

(4)الأنوار النعمانية، ج 3، ص 340.

والمعارف اليقينية)([1]) وتنقل العلامة نعمة اللـه الجزائري بين خمس قرى ومـدن عـدة داخل الإقليم لغرض استكمال دراسته ثـم سـافر إلى الـبصرة وشـيراز وأصـفهان وبغـداد والنجف ومدن أخرى، وفي كل مدينة يمكث الأشهر والسنين يتعلم ويعلم ويؤلـف حتـى استكمل دراسته ورجـع إلى موطنـه مدينـة تسـتر بعـد أن أمضى أربعـين سـنة في طلـب العلم([2]).

والسيد جعفر بن عبد الصمد 1350هـ/1931م أخـذ علـوم العربيـة في مدينـة الأحواز ثم سافر إلى النجف وأقام فيها مدة وتتلمذ عـلى فحـول ذلـك الـعصر في الفقـه والأصول وعاد إلى الأحواز([3]).

وكان الشيخ عبداللـه بن ناصر الحويزي ت 1143هـ/1730 عالماً صـالحاً ورعـاً ماهراً في العلوم العربية فقيهاً محدثاً، قرأ في الحويزة وتستر وفي أصفهان والدورق([4]).

أما السيد كاظم بن محمد الجزائـري فإنـه بعـدما فـرغ مـن العلـوم العربيـة والمقدمات والسطوح توجه إلى العتبـات المقدسـة وسـكن كـربلاء وجـدَّ في الاشـتغال في العلم فقرأ على علمائها كالبهبهاني وصـاحب الريـاض في الفقـه والأصـول والحـديث ثـم توجه إلى المشهد الرضوي وأقام هناك لتحصيل الحكمـة الإلهيـة والمعـارف الحقـة فقـرأ على العالم الرباني الفيلسوف مهدي الشهيد الخراساني([5]).

والسيد محمـد حسـين بـن محمـد جعفـر ت 1350هــ/1931م كـان عالمـاً أديبـاً فقيهـاً متضـلعاً في تـاريخ الإسـلام، قـرأ في مدرسـة بلـده القـرآن

---

(1)أعيان الشيعة، ج 5، ص 406.

(2)الأنوار النعمانية، ج 4، ص 421.

(3)أعيان الشيعة، ج44، ص 108.

(4)أعيان الشيعة، ج 39، ص 94.

(5)أعيان الشيعة، ج 43، ص 96.

والآداب ودرس العلوم العربية والرياضيات والفقه والأصول، ثم هاجر إلى وطنـه وتـابع الدرس ثم هاجر إلى حيدر آبـاد الـدكن، ودرس هنـاك بعـض العلـوم الغربيـة وعـاد إلى وطنه([1]).

وهكذا نجد معظم العلماء والأدباء وطلب العلوم يتنقلون بين المدن والأقـاليم لغرض التزود بأنواع المعارف والعلوم، ثـم يعـودون إلى وطـنهم إقلـيم الأحـواز لينفعـوا شعبهم بما تعلموه أو يمارسوا التدريس في مناطق أخرى خارج إقليمهم من بلاد العـرب والمسلمين فيفيدوا أهليها بمعارفهم الغزيرة.

- إجازاتهم العلمية:

الإجازة العلميـة : تقليـد تعليمـي إسـلامي تبنـاه شـيوخ مـن حملـة الحـديث ينتمون إلى طوائف إسلامية مختلفة، فهي إذن رخصة يمنحها الشيخ لمن يبيح له الرواية عنه، ولا علاقة لها بمعهد تعليمي كما هو الحال في أنظمتنا التربويـة في العهـد الحـاضر، ومما يؤيد ذلك اقتران الإجازة باسم الشيخ المجيز دون ذكر اسم معهد معين([2]).

بدأ مفهوم الإجازة بسيطاً بالمشافهة لنقـل الحـديث الشريـف في بدايـة القـرن الثاني للهجرة ثم أخذ يتسع ويتطور تطـور الحيـاة الثقافيـة للعـرب والمسـلمين ليشـمل العلوم والدراسات كافة وأصبح من التقاليـد التعليميـة المهمـة في النظـام التربـوي عنـد المسلمين، وقد عدَّها كثير من علماء الحديث من بين الوسـائل السـليمة التـي يـتم عـن طريقها نقل مختلف العلوم وخاصة العلوم الدينية من جيل إلى جيل([3]).

---

(1)أعيان الشيعة، ج 44، ص 287.

(2)الإجازات العلمية عند المسلمين 35

(3)المصدر السابق، 47.

ومن الشروط التي يجب تحقيقها لصحة الإجازة، أن يكون المجيز عالماً بما يجيز، والمجاز له من أهل العلم، لأنها توسع وترخيص يتأهل له أهل العلم لمسيس حاجتهم إليها([1]).

وفي ضوء هذه التقاليد التربوية منح علماء الأحواز بعضهم بعضاً ومنحوا طلابهم الإجازات العلمية للدلالة على استعدادهم وقدرتهم الفكرية عن طريق التنويه بمؤهلاتهم العلمية التي تبيح لهم تصدُّر حلقات التدريس أو تولي الإفتاء والمشيخة في المنطقة وغيرها من الأمور التي تتطلب مؤهلات علمية وثقافية معززة بشهادات علماء وأساتذة أفذاذ مشهود لهم بالعلم والفضيلة.

وتوجد نماذج كثيرة من هذه الإجازات منها:

إجازة العلامة السيد عبدالله نور الدين التستري (1175هـ/1761م) المؤرخة 2/ جمادى الثانية / سنة 1168هـ لشيخين من شيوخ الحويزة محمد بن كرم الله الحويزي وإبراهيم بن عبدالله الحويزي([2]).

فقد بدأ المجيز بحمد الباري سبحانه وتعالى والثناء عليه ثم انتقل إلى الإشادة والتنويه بالمجازين بذكر محامدهما وأفضل خصائلهما وأرفع مؤهلاتهما ومكانتهما عنده وعلاقتهما العلمية به، ثم يجيزهما بقوله :

«قد أجزت للشيخين الجليلين النبيلين أدام الله علاهما وبلغهما في الدارين مناهما أن يرويا عني جميع ما يصلح إسناده إليَّ مما نطق به فمي، أو خطه قلمي مما وفقني الله سبحانه له من الكتب المبسوطة والمختصرة وهي»:

---

(1)الإجازات العلمية 39.

(2)الإجازات الكبيرة (مخطوطة) ورقة 4-54.

وجد نسخة منها بالمكتبة الشوشترية بالنجف تحت رقم 112/76.

1-رسالة مختصرة في النحو - مشتملة على كثير من المسائل التي خلت منها كافية ابن الحاجب وتهذيب البهائي ومثالهما من المتون ألفتها أوقات اشتغالي بقراءة الكافية.

2-رسالة الذخيرة الأبدية في جوابات المسائل الأحمدية وهي أربعون مسألة للمولى المقدس التقي السيد أحمد بن السيد مطلب الحويزي رحمه الله.

3-وأجزت لهما أجازة عامة رواية جميع مروياتي سماعاً وقراءة وإجازة من كتب الحديث والتفسير والتجويد والفقه والأصول وغيرها من مصنفات أصحابنا السلف الصالحين شكر الله سعيهم في الأصول والفروع والمعقول والمشروع بطرقي المتصلة إلى مصنفيها وهي طويلة يطول حصرها في هذا الموضوع، فاقتصر على المهم منها وأعمها عن والدي........ إلخ «ثم يذكر مختلف الكتب والعلوم التي تلقاها عن والده وجده وعدد من العلماء الذين أجازوه، فقد أجازهما بكل هذه العلوم والدراسات والمرويات، وأجاز لهما الرواية والإجازة لمن شاء بشرائط معلومة لديهما منها»:

1-الاحتياط في النقل.

2-أهلية المروي له لئلا يكون كتعليق الدر في أعناق الخنازير.

3-مراعاة مصلحة الوقت، فإن من الأوقات ما لا يناسبه إفشاء العلم أو بعض أنواعه فليتحفظ على ذلك لئلا يكون إثمه أكبر من نفعه([1]).

(1)أعيان الشيعة 209/46.

- الحياة الأدبية:

أ- حالة الأدب قبل عصر المشعشعيين:

يقع موضوع بحثنا ضمن الحقبة الزمنية التي اصطلح على تسميتها بـ «الفترة المظلمة» التي بدأت بسقوط بغداد عام 656هـ/1256م، وانتهاء الحكم العربي العباسي في العراق وغيره من الأقطار العربية والإسلامية على أيدي الغزاة التتر، وما تلاهم من حكومات أجنبية استمرت قرابة سبعة قرون، لاقى خلالها العراق وغيره من بلاد العرب أقسى أنواع الظلم وأبشع أساليب التخريب.

وكان تاريخ الأحواز السياسي والثقافي وثيق الصلة بما يجري في العراق بل هو جزء منه حتى تأسيس الحكم العربي في الإقليم سنة 856هـ/1453م. بقيادة محمد بن فلاح المشعشي وأولاده وأحفاده من بعده، فظهرت الأحواز دولة عربية مستقلة غير خاضعة لأي حكم أجنبي، وقد أولت الثقافة العربية والأدب رعاية خاصة نظير ما كان يحصل في عصور ازدهار الحضارة العربية.

ندرس أدب الأحواز ضمن الأدب العراقي لتلك الفترة قبل عصر المشعشعيين، وهي غالباً ما تنحصر في عصري المغول والتركمان (من منتصف القرن السابع عشر الهجري منتصف الثالث عشر الميلادي حتى بداية القرن العاشر الهجري - السادس عشر الميلادي والتي يكتنف تاريخ الإقليم الأدبي فيها كثير من الغموض، لأسباب عديدة، منها نقطتان أساسيتان):

الأولى : هيمنة الأجانب، وبعدهم عن فهم الأدب العربي، وإهمالهم لمختلف أمور المجتمع العربي.

الثانية : كثرة الكوارث، كالحروب والفيضانات والأمراض، وخاصة

الطواعين وفتكها بالناس ومنهم الأعلام([1]). وقد ذكرت آراء ودراسات عدة بهذا الشأن لتشخيص أدب تلك العصور على الرغم من كثافة الحجب التي تحول دون الاطلاع عليه اطلاعاً مناسباً.

قال الأستاذ إبراهيم الوائلي : «لقد كان من نتيجة استيلاء المغول وتعاقب الحكومات الأجنبية على العراق أن هبطت الحركة العلمية عن مستواها في العصر العباسي، وكان هذا الهبوط عاماً شاملاً في البلاد العربية، ولا غرابة في أن تضعف الحركة العلمية ويخفت صوت الشعر وينتكس النثر إلى أضعف درجاته، فقد كانت هذه العصور المتأخرة لا نرى فيها حكاماً على العراق غير الذين قذفت بهم مسارب الظلام من آفاق بعيدة فجاءوا وهم لا يعرفون غير الرطانة الأعجمية وليس في أدمغتهم خميرة من علم أو معرفة، ولا في نفوسهم أو نفوس الكثيرين منهم ميل إلى العلم والمعرفة»([2]).

أما الدكتور جواد علوش فقد قال : «انتهى عصر عشاق الأدب من أمراء وخلفاء وغيرهم ممن كانوا يطلبون العلم ويتلذذون بسماع الشعر ويطربون له، وكثيراً ما ينظمون الأشعار. وبينما كان الشاعر والأديب يشتهر بقصيدة أو حكاية واحدة أصبح سلاطين المغول اليوم يهتمون بتدوين حسابات دولتهم، وحصر الخرج والدخل، وتدريب الجند. وقد اهتموا بالطب لحفظ الأبدان، والأمزجة والنجوم لاختيار الأوقات. وكذلك كان الاهتمام بالعلوم الدينية لالتجاء الناس هرباً مما حلَّ بهم من محن وكوارث، فارتقت هذه العلوم واستطاعت أن تحافظ على مستواها - وإن لم يكن ذلك المستوى الرفيع الذي تمتعت به أيام العباسيين - إذاً فالأمر ما كان الاهتمام بالعلوم، أما الأدب فلم يكن هناك من يهتم به،

---

(1)انظر: مقدمة ديوان صالح التميمي: 3.

(2)الشعر السياسي العراقي: 16.

ولم يكن هناك من يرعى المشتغلين بـه، وكيـف يراعـي الحكـام الأدب والأدبـاء وهـم لا يعرفون العربية؟ فمعظمهـم أتـراك يتكلمـون التركيـة ويلـوون ألسـنتهم بالعربيـة فـلا يستطيعون أن يلفظوا بعض ألفاظها.

وهكذا أصاب الأدب خمول وركود وطغى على القرائح ضعف وهمود وسـيطر على الأذهان عجز وخمود، واستولى على النفوس رعب وجمـود. فلـم تعـد دولـة الأدب تلك الدولة العظيمة، ولم يعد للشعر ذلك الميدان الواسع وتلك الثـورة الكـبرى ولم نعـد نجد من الشعراء ذلك العدد الضخم الذي نعرفـه في العصـور السـابقة وإن وجـد عـدد منهم فلم تكن لهم تلك المنزلة الرفيعة التي كانوا يستطيعون بها أن يفعلوا ما يشـاؤون لأن كلمتهم مسموعة عند الخليفة نفسه. ولم تعد تجري عليهم تلك العطاءات السخية والأموال الوفيرة التي تغنيهم عـن أي عمـل للحصـول عـلى المـال، وتـوفر لهـم القـوت، وخاصة بعد أن ربطهم الخليفة النـاصر بالـديوان العزيـز فسـموا بــ (شـعراء الـديوان) ورتب لهم المرتبات الدائمة في حين أن شعراء اليوم لا يجـدون حتـى لقمـة يسـدون بهـا رمقهم إذا اتكلوا على الشعر وحده ولم يشتغلوا بعمل آخر»([1]).

وذكر المرحوم الدكتور مصطفى جـواد : «إن الأدب العراقـي العـربي اسـتمرَّ في أول العصر المغولي من حيث القوة متثاقلاً على ضعف، ألحقه به فقدانه عنصر العروبة في الدول الحاكمة وقلة الأدباء الناشـئة عـن تلـف فريـق مـنهم تحـت سـيوف المغـول. فالدولة الأيلخانية ما استعملت اللُّغة العربية إلاّ في أمـور العـراق وشيء مـن المراسـلات مع الأقطار الإسلامية كمصر والشام.

وقد حلت اللُّغة الفارسية واللُّغـة المغوليـة مكـان اللُّغـة العربيـة في أكـثر بـلاد الشرق الأوسط»([2]).

---

(1)شعر صفي الدين الحلي: 37.

(2)الأدب العراقي في العصر المغولي، مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد الثالث، الجزء الثاني لسنة 1955، ص 327.

أما المؤرخ عباس العزاوي : فقد ذكر حالة الأدب في العصر الجلائري (738-864هـ) (1337-1415م): «كان الناس قد شغلوا بأنفسهم ولم يلتفتوا إلى الأدب... وإن اللُّغة الفارسية كادت تتغلب على العراق وتستولي على شؤونه كافة ومن ضمنها الآداب.

وفي الوقت نفسه ضاق الخناق على العربية وآدابها، كما أزاحوا العرب عن السياسة ومقدرات المملكة.

أما في العهد التركماني (814-951هـ) (1411-1534م)، فقد كانت الحالة في ارتباك واضطراب، بل زاد التدهور، لا عن طريق تأثير اللُّغة الفارسية وآدابها، بل حدث أمر أكبر، وهو توالي الحروب ونزوع الأمراء إلى التوسع في الحكم والغزو للممالك. فصار كل ملك أو أمير يحاول أن يكون صاحب الأمر، ولتحقيق آماله أو أغراضه وسلب الأهلين ما عندهم، وضيق كثيراً، فأشغل الأمة بنفسها وما يجدي العلم إذا لم يستطع دفع الملمات أو درء المفاسد والفتن. وهكذا توالت المصائب من كل جانب فأصاب الشعر الخمول والخمود»([1]).

وقال الدكتور علي الزبيدي : وتميز العصر العثماني الأول بتدهور الأدب وضعفه وعجزه عن اللحاق بالعصور المتأخرة مع تخلفها وفقرها، وقد اقترن التدهور والضعف بتوسع نفوذ اللُّغة الفارسية بتأثير الصفويين واستمرار الغزو اللُّغوي التركي الذي بدأ من العصر المغولي ثم تغلغله في الميادين الإدارية والاجتماعية والأدبية بعد الاحتلال العثماني حتى أن الموجة التركية العثمانية نجحت في وقت مبكر في تخريج أجيال من الشعراء والأدباء والمؤلفين العراقيين، يقرضون الشعر ويكتبون النثر بالتركية الأذرية، فكان لهم فضل وضع أسس ودعائم الأدب التركي والتمهيد لمستقبله اللُّغوي والفني»([2]). وزيادة على ما تقدم من وجهات

---

(1)تاريخ الأدب العربي في العراق 323/1، 331.

(2)الأدب في العصر العثماني، مجلة كلية الآداب، العدد 26، لسنة 1979، ص 469.

نظر، إن حالة السقوط والـتردي الثقـافي والأدبي التـي تعـرض لهـا العـراق أثنـاء الحكـم الأجنبي لا تعني ضياع كل شيء من تراثنا الفكري والأدبي ونضـوب القـرائح واضـمحلال عناصر الخلق والإبداع من ضمير الشعب العربي، فقد دخـل في صراع خفـي وصريـح في آن واحد ضد أعدائه وحافظ على شخصـيته الحضـارية بـين أمـم الأرض كـما أنـه عمـل المستحيل للتمسك بالبقية الباقية من التراث الفكري الذي سلم من أيدي الغزاة العتاة.

فثم وجهات نظر تذكر أن الأدب العربي اسـتمر في العـراق لكـن دون مـا كـان عليه في عصور الازدهار الثقافي. فالدكتور البصير يذكر أن «الثقافة العربيـة الإسـلامية في العراق لم تنقرض بانقراض الدولة العباسية، وإنما ظلت سائرة في طريقها قائمة في أروقـة المساجد وحلقات المدارس الدينية، ولا سيما على الفرات حيث كانت الحلة مركز نهضـة ثقافية عظيمة بزغت شمسها في أوائل القرن السادس للهجرة، وما زالـت مشرقـة حتـى أوائل القرن العاشر حيث انتقلت الثقافة العربية الإسلامية إلى كربلاء، ثـم مـا لبثـت أن انتقلت إلى النجف الذي ما يزال مركزاً عظيماً من مراكز الثقافة العربية الإسلامية»([1]).

ويذكر الدكتور مصطفى جواد أن الأدب العراقي العربي استمر في هـذا الـعصر متماسكاً متثاقلاً، وأن عوامل استدامة حركته سبعة، هي :

1-إن أكثر العمال كانوا مـن العـراقيين الـذين خـدموا الدولـة العباسـية، ومـن أبنائهم، وكان ميلهم للأدب العربي طبيعيًّا.

2- الوقوف: وتسمى اليوم الأوقاف.

3-الذوق الشعبي: ويكاد يكون عامًّا في كل شعب عربي.

4- وجود بعض العائلات التي اشتهرت بحماية الآداب والعلوم والفنون.

---

(1)نهضة العراق الأدبية، ص 10.

5-حرية الأدباء في برهة الخضرمة بين الدولتين.

6-الغناء.

7-الحلة، فهذه المدينة المباركة قد احتضنت العلم والأدب والشعر منذ أسست إلى عصرنا هذا([1]).

وقد شهدت البصرة انتعاشاً أدبيًّا خلال مدة حكم آل أفراسياب، (1005-1078هـ/ 1596-1667م) شبه المستقل في البصرة في العصر العثماني الأول، وأصبحت من أكبر مراكز الأدب والثقافة العربية بفضل هذه الأسرة التي رعت الشعراء والأدباء العرب لإسناد سياستها الاستقلالية المناهضة للولاة العثمانيين في بغداد([2]).

وانتعشت الحركة الثقافية والأدبية في الموصل طيلة حكم الجليليين الذي بدأ في أواخر العصر العثماني الأول([3]).

إن هذه المراكز الثقافية (الحلة وكربلاء، والنجف، والبصرة والموصل) ضمنت لنا الاتصال والارتباط بعصور الأدب العربي أيام ازدهاره وحفظت لنا تراثنا الفكري والأدبي من الضياع وأبقت على عنصر الحياة فيه حتى عصر النهضة، فبفضلها لم ينقرض الأدب العربي ولم تنطفىء شعلته، ولكنها كانت بصيصاً ضئيلاً في وسط محيط دامس أخذت حزمة ضوئه تتسع شيئاً فشيئاً حتى اتصلت بعصر النهضة.

إن ما قدمته هذه المراكز الثقافية والأدبية كان عظيماً وباهراً، ولا يمكن تقويمه ببضعة سطور، وإن أهميته تبقى خالدة في مسيرة أدبنا العربي ومع هذه المكانة الكبيرة التي تمتعت بها هذه المراكز، فإنها ليست الوحيدة في هذا الميدان، فقد أسهمت أقاليم ومراكز عربية أخرى

(1)الأدب العراقي في العصر المغولي، ص 312-326.

(2)أربعة قرون من تاريخ العراق، ص 104، وتاريخ العراق بين احتلالين 44/5.

(3)الأدب في العصر العثماني، ص 490.

إسهاماً لا يمكن التقليل من شأنه في المحافظة على الثقافة وبعث النشاط في الأدب العربي بشكل ملحوظ، ويأتي في مقدمتها :

إقليم الأحواز العربي الذي يطل على ضفتي نهر كارون ويشرف على سواحل الخليج العربي الشمالية وتلامس مياه الرافدين أجزاءه الغربية ويرتبط مع العراق بأوثق الصلات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والجغرافية التي أصبح الحديث عنها من البديهيات التي لا تحتاج إلى برهان.

ب- النهضة الأدبية في عصري المشعشعيين والكعبيين:

انتعشت الحركة الأدبية في الإقليم وظهرت بوادر هذا الانتعاش في السنين الأول من عمر هذه الدولة التي تأسست في منتصف القرن التاسع الهجري - منتصف القرن الخامس عشر الميلادي - وسارت جنباً إلى جنب مع حركة النهوض الفكري والثقافي الذي رعته الدولة، وقد أنجبت منطقتهم عدداً من كبار الأدباء كعبد علي الحويزي 1075هـ/1664م([1])وشهاب الدين الموسوي 1087هـ/1676م وعلي بن خلف 1088هـ/1677م([2])، ونعمة الله الجزائري 1112هـ/1664م([3])، وهاشم الكعبي ت 1233هـ/1808م([4]).

إن الهوية العربية لحكام هذا الإقليم تقع في مقدمة أسباب النهوض الثقافي والأدبي، فقد انتشعت حركة الشعر والنثر والتأليف إبان عصري المشعشعيين والكعبيين([5])، وازداد عدد الشعراء والكتاب، وأصبحت لغة

(1)أعيان الشيعة 21/30، والأدب في العصر العثماني، ص 470.

(2)سلافة العصر، ص 545، أعيان الشيعة 31/30.

(3)أعيان الشيعة 23/50.

(4)المصدر السابق نفسه 57/50.

(5)إمارة المشعشعيين، ص 20 (رسالة ماجستير)، والشعر العراقي في العصر العثماني، ص 470.

الأدب متداولة في مجريات الحياة اليومية، وكان وقوف الأدباء أمام سلاطين وأمراء المنطقة لإلقاء قصائدهم وخطبهم أمراً مألوفاً، وكان الأديب الأحوازي يعيش ظروف شعبه ويشارك في مختلف مناسباته بما تجود به قريحته ويبدعه يراعه فيصورها أجمل تصوير.

فقدم صور لنا الشاعر أبو معتوق الموسوي في شعره جوانب من الحياة السياسية والاجتماعية لمجتمع الدولة المشعشعية التي عاصرها. فمدح خمسة من سلاطين وأمراء المشعشعيين، ووصف الحوادث والمعارك القبلية التي في عصرهم([1]). وكشف الأديب عبد علي بن رحمة الحويزي تفاصيل تاريخ الإمارة الأفراسيابية في جنوب العراق وغرب الأحواز في شعره ونثره بكتابه (السيرة المرضية)([2]).

وعبر الأمير الأديب علي بن خلف في شعره عن المثل العربية والتقاليد العريقة التي يعتز بها المجتمع العربي، وأجاد في التعبير عن قيم البطولة والفروسية وشهامة الفرسان في ساحات الوغى التي تناول وصفها في شعره([3]).

وبرع الكاتب والناشر العلامة نعمة الله الجزائري في نقل كثير من أوجه الحياة الأدبية والاجتماعية والاقتصادية التي كانت سائدة في إقليم الأحواز وغيره من الأقطار المجاورة بأسلوب لطيف في مؤلفاته الكثيرة([4]).

---

(1)المشعشعيون ومهديهم. مجلة لغة العرب، مجلد 9، تشرين الأول 1931، ص723.

(2)لا يزال مخطوطاً، ومنه نسخة بحوزة الشيخ محمد الخال - عضو المجمع العراقي.

(3)له ديوان شعر باسم (خير أنيس لخير جليس) منه نسخة خطية في مكتبة المتحف العراقي تحت رقم 522.

(4)كالأنوار النعمانية وزهر الربيع، وقد طبع كلاهما.

إن هذا الانبعاث الأدبي الذي شهده إقليم الأحواز وبدأ يعطي ثماره في منتصف القرن العاشر الهجري - منتصف القرن السادس عشر الميلادي - كان نتيجة حتمية للإسهام والتأييد الذي منحه حكام الإقليم العرب للأدب والأدباء قرابة خمسة قرون[1]، فقد نسب قول الشعر للسيد محمد ابن فلاح ت 866هـ/1462م أول سلاطين الدولة المشعشعية إلى جانب فضيلة العلم والثقافة الدينية واللُّغوية، ومن ذلك قوله:

أقامتنا أرض العراق بواسط   مدينة أهل العلم والفضل والبرّ[2]

....

وكان السلطان محسن بن محمد ت 905هـ/1499م، يحب العلماء الفضلاء وأهل الكمال والأدب ويجمع بين السيف والقلم[3].

والسلطان مبارك بن عبد المطلب ت 1025هـ/1616م، الذي كان يرعى رجال العلم والأدب، وقد مدحه عدد من الشعراء، منهم الشاعر نجيب الدين علي بن محمد بن مكي الشامي العاملي (كان حيًّا 1070هـ/1659م) بقوله:

يا سائلي عن أربي	في سفري ومطلبي
لي مطلب مبارك	مبارك بن مطلب
نجل علي المرتضى	سبط النبي العربي
الطيب بن الطيب	بن الطيب بن الطيب
أمان كل خائف	غياث كل مجدب

---

(1)أعيان الشيعة 20/30.

(2)تاريخ المشعشعين 18، 76. ورد هذا البيت بشكل آخر:

مدينتنا أرض العراق بواسط   مدينة أهل العلم والفضل والعمل

(3)أعيان الشيعة 200/43، وتاريخ المشعشعين 77.

منيـــــــــل كـــــــــل نعمـــــــــة مــــــن فضــــــة وذهــــــب
في عدلــــــــــــه وجــــــــــوده تســـــــمع كــــــل عجـــــب
الأســـــــــد الكـــــــــاسر لا يخشـــــاه فـــــرخ الثعلـــــب
كـــــــما الســـــــخال جملـــــــة ترعـــــــى وجـــــــود الأدوب
والفــــــــرس والـــــــترك لـــــــه دانــــــت وكــــــل العـــــرب
إذا حللـــــــــــــت أرضـــــــــــه نســــــــيتُ أمـــــــــي وأبي
وأسرتي وولــــــــــــــــــــــدي بنتًـــــا يكـــــون أو صـــــبي
ومــــــــن يكــــــن حيــــــدرة أبـــــاه والجـــــدّ النبـــــي
فكلـــــــما تصـــــــفه مــــــن دون أدنى الرتـــــــــــــب[1]

....

وعند وفاة هذا السلطان رثاه الشاعر عبد علي بن رحمة الحويزي بقوله:

سـفهًا تـوهم مـا أرقـن مـن الظبـا أيدي القيون من الأشعة جـوهرا
هــذا عمــود المــاء طــلقاً جــارياً وافاه ما صدع العلى فتــكسّرا[2]

....

ومما يدل على رواج الشعر ورقي مكانته في ظل هذا السلطان أصبح التخاطب به صفة محمودة تعني الاحترام الكبير والمنزلة الرفيعة لشخص الممدوح، فقد كلف الشريف العلوي ابن قاضي القضاة عبد الرؤوف بن حسين الموسوي شاعر البحرين أبا البحر الخطي (ت 1028هـ/1618م) أن ينظم عن لسانه قصيدة في الأمير بدر بن مبارك (وهـو آنـذاك يـلي عمـل

(1)سلافة العصر في محاسن أهل الشعر، ص 310، ونشوة السلافة 156/1، تاريخ المشعشعيين: 115.
(2)سلافة العصر، ص 554، وتاريخ المشعشعين، 15.

الدورق، وكانت بينه وبين السيد من روابط المحبة وأواصر الصحبة ما يوجب ذلك. وقد نظمها سنة 1008هـ ومنها):

إلى الملــك الوهــاب مــا في يمينــه	ولكنـــه بـــالعرض جـــد بخيـــلِ
يمـــــتُّ إذا استنســــبته بــــأبوةٍ	تمـــدُّ ببـــاع للفخـــار طويـــل
يضـــم عليًّـــا في الفخـــار وطالبـــاً	إلى جعفـــر أكـــرم بـــه وعقيـــل
فيحـــرز غايـــات العـــلى بعمومـــة	معرّقـــة في هاشـــم وخـــؤول
إذا اســتصرخوا كــانوا ليــوث وقــائع	أو استسمحوا كـانوا غيـوث محـول
أولئـــك قـــوم لا ينـــاغي وليـــدهم	عـــلى مهـــده إلاّ برجـــع صـــهيل
كــريم متــى ألقــى العصــا بفنائــه	أخــو العــدم لم يــأذن لــه بقفــول
وأن أعـــثر الـــدهر امـــرءًا فاســـتقاله	لعثرتـــه ألفـــاه خـــير مقيـــل
وأن الـــذي ســـماه بـــدراً لصـــادق	عــلى أنــه لم يكــس ثــوب أفــول
صـليب عـلى نجـم الحـوادث عـوده	جـريء عـلى الأعـداء غـير نكـول([1])

....

وكان الأمير خلف بن عبد المطلب (ت 1074هـ/1663م) عالماً فاضلاً ومتكلماً وأديباً وشاعراً ومحققاً، جليل المنزلة، تنوف مؤلفاته على العشرين، تجمع بين الحديث والتفسير والنحو والمنطق والكلام وديوان شعر ومنظومات علمية كثيرة، ومن شعره قوله:

وخريدةٍ قـد زار ليـلاً طيفـها	وإلى الخلافة صبحه يترشح
أعرضت عما دون أنس كلامها	ثم انتبهت وعفتي تترجح

....

(1)ديوان أبي البحر الخطّي، ص98، وانظر: أعيان الشيعة 375/13، وتاريخ المشعشعين 232.

وقوله في مدح الإمام علي _عليه السلام:

أبــا حســن يــا حمــى المســتجير | إذا الخطــب وافى علينــا وجــارا
لأنــــتَ أبـــرُّ الــــورى ذمـــةً | وأكـــبر قـــدراً وأمنـــع جـــارا
فـــلا فخـــر للمـــرء مـــا لم يمـــت | إليـك انتسـاباً فينمـي النجـارا([1])

....

وكانت صلته وثيقة بأدباء إقليم الأحواز والأقاليم المجاورة. وأهدى إليه الأديب عبد علي بـن رحمـة الحـويزي كتابـه العـروض (المشعشـة)([2]) اعترافـاً بفضـله في الأدب والعلم، وكان بينه وبين شاعر البحرين الكبير أبي البحـر الخطـي علاقـة متينـة يتبـادلان الزيارة والتقريظ شعراً. وحينما اعتدى عليه أخوه السلطان مبارك فسمل عينيـه طمعـاً بالملوكية (جرياً على تلك العادة السيئة التي كان يستعملها الأمراء والملـوك في أقربـائهم الذين يخافون منهم على ملكهم وفي غيرهم من الذين لا يريدون قتلهم...) كتب إلى أبي البحر يشكو إليه ما جناه عليه أخـوه ويسـتقدمه ويعاتبـه في عـدم تعزيتـه فأنشـأ أبـو البحر قصيدة مادحاً ومواسياً إياه، فأنشده إياها سنة 1016هـ ومنها:

أبـــا هاشـــم أنهـــي إليـــك تحيـــة | يحييـــك رياهـــا برائحـــة العطـــر
وأنحـــى عـــلى عـــودي فـــما زال عابثـــاً | بأوراقـــه حتـــى ألـــح عـــلى الـــقشر
أســـفت لهـــذا الشـــطر مـــنهم وأننـــي | لـــذو كمـــد بـــاق عـــلى ذلـــك الشـــطر

....

(1)المشعشعيون ومهديهم 721، أعيان الشيعة 36/30، الغدير 315/11.
(2)منها نسخة خطية في مكتبة المتحف العراقي ضمن مجموع تحت رقم (33252).

إلى أن يقول في قصديته:

وما حملت من مدحه عربية   تريك إذا ما أنشدت عمل السمر

لأنت على قرب المكان وبعده   إلى القلب أدنى من سحاب إلى البحر([1])

....

فقد رغب هذا الأمير أن يعزى ويعبر عن مأساته شعراً ليكون أبلغ في التأثير وما يدون شعراً قابلاً للخلود والانتشار، وهذا تقدير لأهمية الشعر ومكانته في التعبير عن لواعج النفوس ومعضلات الحياة، والمعاناة الفردية والاجتماعية.

وبلغ من مكانة هذا الأمير الأديب بين شعراء عصره أنهم كانوا يتغنون بذكره بعد وفاته ويرثونه بأرفع القصائد. فقال فيه الشاعر نجيب الدين علي بن محمد بن مكي الشامي العاملي:

إذا جرى ذكر ذي فضل ومكرمة   على كل ذي كرم ممن مضى خلفا([2])

....

وقد رثاه الشاعر أبو معتوق شهاب الدين الموسوي بقصيدة ترقى إلى رائية أبي تمام في محمد بن حميد الطوسي، قال في سنة 1074هـ/1663م،

مضى خلف الأبرار والسيد الطهر   فصدر العلى من قبله بعده صفرُ

وغيب منه في الثرى نير الهدى   فغارت ذكاء الدين وانكسف البدر

ومات الندى فلترثه ألسن الثنا   وليث الوغىَ فلتبكه البيض والسمر

فحق المعالي أن تشق جيوبها   عليه وتنعاه المكارم والفخرُ

هو الماجد الوهاب ما في يمينه   هو العابد الأواب والشفع والوتر

---

(1)ديوان أبي البحر الخطي، ص 59، وانظر: أعيان الشيعة 31/30، وتاريخ المشعشعين، ص 241.

(2)سلافة العصر، ص 200، نشوة السلافة 156/1.

فـلا تحسـبن الـدهر أهلـك شخصـه　　　ولكنـــه في موتـــه هلـــك الـــدهر

ومـــا دفنـــه في الأرض إلاّ لعلمنـــا　　　بـــه أنـــه كنـــز لهـــا ولنـــا ذخـــر

حوى الفضل والإيثـار والزهـد والنهـى　　　وصـــاحبه المعـــروف بـــالجود والـــبر

تعطلـــت الأحكـــام بعـــد وفاتـــه　　　وضاعت حدود اللـه والنهـي والأمـر

فغـــير ملـــومٍ جـــازعٌ لمصـــابه　　　ففي مثل هذا الخطب يستقبح الصبر

فمـــن لليتـــامى والأرامـــل بعـــده　　　وممـن نرجّـى النفـع إن مسـنا الضر

لأن غـــدرت فيـــه الليـــالي فإنهـــا　　　بكـلِّ وفيِّ العهـد شـيمتُها الغـدر([1])

....

ومن الحكام المشعشعيين الذين أولو الأدب عناية خاصة، السلطان منصور بـن مطلـــب (ت 1052هــــ/1043م)([2])، وولـــده الســـيد بركـــة بـــن منصـــور (ت 1060هـ/1650م)([3])، وقد امتازت أيام حكمهما بشـدة الصراع بـين الفـرس والعثمانيـين، وحصلت حركات عصيان قبلي متعددة صورها الشاعر شهاب الدين الموسوي في مدحـه لهما بقصائد توضـح بعـض جوانـب سـيرتهما السياسـية، ومـن قولـه في مـدح السـلطان منصور:

بزغـــت بـــالظلام شـــمس الـــدبور　　　فـــأرت بالشـــتاء وقـــت الهجـــير

وشـــهدنا الهبـــاء كـــالنقح لـــيلاً　　　حولهـــا إذا بـــدت مـــن البلـــور

طلبـــوا المجـــد بالرمـــاح ونـــالوا　　　بـــالظُّبَى هامـــة المحـــل الأثـــير

صـــبية زفهـــا الصـــباء ارتياحـــاً　　　للملاهـــي عـــلى بســـاط السرور

كـم غـزا الصـبر باللحـاظ كـما قـد　　　غـــزت الشـــوش أنصـــل المنصـــور

---

(1)ديوان أبي معتوق، ص 217-219، وانظر: أعيان الشيعة 31/30 وتاريخ المشعشعين، ص 243.

(2)أعيان الشيعة 18/48، وتاريخ المشعشين، ص 128/121.

(3)أعيان الشيعة 421/13، وتاريخ المشعشعين، ص 129-132.

يـــوم غـــارت جيـــاده آل فضـــل ... بلهـــام عـــلى الكـــماة قـــدير
كلـــما ســـار بـــالظبى والعـــوالي ... بعـــث الـــذعر قبلـــه بالصـــدور
جحفـــل يقتـــل الجنـــين إذا مـــا ... ســـار في الأرض وقعـــه في النحـــور
وأتى منهـــل الـــدويرق لـــيلاً ... وسرى مـــن معينـــه مـــن ســـحير
وأتى الطيـــب والـــدجيل نهـــاراً ... تقتفيـــه الأســـود فـــوق النســـور
وغـــدا يطـــوي القفـــار إلى أن ... نشرت خيلـــه ثـــراء الثغـــور
وانثنـــت تقلـــب الفـــلاة علـــيهم ... بمـــداري قـــوائم كالـــدبور
وغـــدت عومـــاً بدجلـــة حتـــى ... صـــار لُجِّـــيُّ مائهـــا كالأســـير
وأتـــت بالضـــحى الجزيـــرة تـــردى ... بأســـود تروعهـــا بـــالزئير
فنفـــى زعمهـــم وســـار إلـــيهم ... ورمـــاهم بجيشـــه المنصـــور
ملـــك كلـــما سرى لطـــلاب ... يحســـب الأرض كلهـــا كـــالنقير
والعظـــيم العظـــيم مثـــل الحقـــير ... هـــون البـــأس عنـــده كـــل شيء
ذلَّـــت الكائنـــات منـــك إلى أن ... صـــار منهـــا العزيـــز كالمســـتجير([1])

....

وقال يمدح السيد بركة بن منصور ويهنئه بعيد الفطر:

نبتـــت ريـــاحين العـــذار بـــورده ... فكســـا زمردهـــا عقيقـــة خـــده
وبـــدا فـــلاح لنـــا الهـــلال بتاجـــه ... وســـعى فمـــر بنـــا القضـــيب بـــبرده
بحـــر تـــدفق بالنضـــار فـــأغرق السبع ... البحـــار بلـــج زاخـــر مـــده
أســـد تشـــيعه النســـور إذا غـــزا ... حتـــى وثقنـــا أنهـــا مـــن جنـــده
لـــو رام ذو القـــرنين بعـــض ســـداده ... لم يمـــض يـــأجوج عـــداد مـــن ســـدّه
أو حـــاز قوتـــه الكلـــيم لمـــا دعـــا ... هارونـــه يومـــاً لشـــدة عضـــده

---

(1)ديوان أبي معتوق، ص 19-22.

ملـــك يريـــك نـــدى مبـــارك عمـــه   وعفـــاف والـــده وغـــيرة جـــده([1])

....

ومن الحكام الأدباء الذين شغفوا بحب الأدب والعلم، السيد عـلي ابـن خلـف المشعشعي، فقد كان عالماً فاضلاً جيد التأليف صـنَّف الكتـب الكثـيرة في شـتى الفنـون كأبيه السيد خلـف، وقـد أطـرت عليـه العلـماء في المـدح والثنـاء بمصـنفاتهم([2])، فقـال العلامة المعاصر له السيد نعمة اللـه الجزائري: «كان عالمـاً شـاعراً أديبـاً صـالحاً عفيفـاً عابداً، وكان حاكماً على بلاد العرب كالحويزة وما والاها، وقد كنا نحن (بتستر) فكان كل سنة يرسل إلينا المكاتيب والرسائل ويرغبنا ويحثنا على الوصول إلى حضرته، وقد أبطأنـا عليه بعض المرات فكتب إلينا مكتوباً، وهذه الأبيات من جملته:

يـــا أخـــا بشرنـــا تـــأخرتَ عنّـــا   قـــد أســـأنا ببعـــد عهـــدك ظنَّـــا
كـــم تمنيـــت لي صـــديقاً صـــدوقاً   فـــإذا أنـــت ذلـــك المُتَمَنَّـــى
فبغصْـــنِ الصـــبا لمـــا تَثَنَّـــى   وبعهـــد الصِّـــبى وإن بـــانَ عنّـــا
كـــن جـــوابي لـــكي تـــردَّ شـــبابي   لا تقـــل للرســـول كـــانَ وكنَّـــا

....

وقد أكثر من المصنفات في فنون العلوم، وكان يحفظ من القصائد مع كبر سـنه ما لا يعدّ، لأنه كان يحفظ أكثر الدواوين على خاطره، وله ديوان نفيس([3]).

---

(1)المصدر نفسه، ص 30-32.
(2)أمل الآمل 187/2، الطليعة في شعراء الشيعة، ج 2، ورقة 17، وأعيان الشيعة 20/41.
(3)الأنوار النعمانية 170/3، لغة العرب، مصطفى جواد، م/130/9، وزهر الربيع 210/1.

وقال السيد معتوق بن شهاب الدين الموسوي في مقدمة ديوان أبيه: «فقد نالني منه ما أكثر به عليَّ حاسدي، وأولاني ما صغر لدى برِّ والدي، ولم يقتصر على ذلك حتى أجلسني مجالس أنسه وأكرمني بملازمة حظائر قدسه وابتدأني بالخير والبشر، أمرني بتدوين ما لوالدي من الشعر ولم ير من ذلك إلاّ اعتناء بي وبقاء الذكر الجميل لأبي»([1]).

وقد مدحه عدد من شعراء عصره منهم شهاب الدين الموسوي بقصائد عدة وهي في ديوانه([2]).

ومن شعراء البيت المشعشعي، السيد عبد الوهاب بن خلف، (كان حيًّا 1071هـ/1660م)، وكان أديباً فاضلاً، أقامه أخوه السيد علي حاكم الإقليم في «يزد» حذراً منه، فمكث فيها حتى توفي، وله تأليف جيد باسم «كشكول المشعشعي»([3])جمع فيه مسموعاته وقراءاته من نوادر النظم القديم وتوسع في ذكر الرجال وتاريخ العرب، ويعد من الشعراء المجيدين، ومن شعره:

لقد جهدت نفسي من الهمِّ والهوى ... ولم تخط فيما فيه توفى همومها([4])

فيا نفسي صبراً لست والله فاعلمي ... بأول نفس أجهدتها همومها

....

وقوله:

يا قاسي القلب ضعيف الوداد ... وسالب العقل ولبِّ الفؤاد

سواك لن يخطر في خاطري ... أنت مني قلبي وأنت المراد([5])

....

(1)مقدمة ديوان أبي معتوق 5.

(2)انظر: ديوان أبي معتوق، 50، 57، 62، 66، 70، 74.

(3)منه نسخة خطّية في مكتبة كاشف الغطاء (النجف) تحت رقم 893.

(4)أعيان الشعية 188/39، تاريخ المشعشعين، ص 291.

(5)أعيان الشيعة 188/39.

وقوله يفتخر:

هـم القـوم أهـل البـأس والكـرم | أولـو النهـى سـادة البطحـاء الحـرم
دعـائم المجـد أسّ الفخـر قـد ورثـت | أبنـاؤهم عـنهم مستحسـن الشـيم
لا عيـب فـيهم سـوى أن النزيـل بهـم | يسلوعن الأهل والأوطان والحشـم([1])

....

وكان الأمير محفوظ بن جود اللـه بـن خلـف (ت 1090هـ/1679م) (عابـداً زاهداً تقيًّا نقياً محباً للعلماء والأفاضل)([2]) تربطه صلة متينة بأدباء عصره منهم صديقه الأديب فتح اللـه بن علوان الكعبي (ت 1130هـ/1717م) الذي مدحه وأولاده بقصائد عدة، ورثاه بعد مقتله بقصائد عدة منها:

وقوله يفتخر:

فتـى كملـت أخلاقـه وصـفاته | كـريم المحيّـا طيـب الاسـم والـذكر
فتـىً كـان أحيـى مـن فتـاة حبيبـة | وأشـجع مـن ليث يصـول لـه الحـذر (كـذا)
سـأبكيه لليـوم الطويـل يصـومه | مخافتـه عنـد الوقـوف لـدى الـحشر
وأبكيـه لليـل البهـيم يقومـه | لاوراده يـبكي إلى مطلـع الفجـر
فيـا سـيداً عشـنا بجـدواه برهـة | من الدهر ما ندري الخطوب متى تسري([3])

....

ومن قصيدة له في مدح أولاد الأمير محفوظ:

سـعد لي في حـيكم بعـض الأرب | قـف حَـماك اللـه مـن شر العطب
واستـمع منـي وخـذني مالكـاً | إن مـا في الصـدر تبديـه الكـتب

(1)المصدر نفسه 189/39.
(2)زاد المسافر، ص 35.
(3)زاد المسافر، ص 36.

عـــج عـــلى بيـــتٍ رفيـــعٍ ســـمكه واســـعاً أرجـــاؤه فيـــه الرغـــب

عصـــمة الخـــائف مـــألوف النـــدى منيـــة الســـفر إذا اشـــتد الشـــغب

ثـــم جـــز تلـــق ليوثـــاً خمســـة خـــير موجـــودين أبنـــاء العـــرب([1])

....

وكان الأمير عبدالـلـه بن علي (ت 1097هـ/1685م) (مكرماً للعلماء والشعراء كثير الخلط بهم ذا عدل وسياسة للملك)، وكان شجاعاً قويًّا، ورد له مدح في ديوان شهاب الدين الموسوي منه:

لله منزلهـــــا عـــــلى الروحـــــاء درَّت عليـــــه مراضـــــع الأنـــــواء

وســـقت ثـــراه عيـــون أربـــاب الهـــوى دمعـــــاً يـــــورد جنَّـــــة البطحـــــاء

واســـتخرجَت أيـــدي الربيـــع كنـــوزه فحبـــــاه بالبيضـــــاء والصـــــفراء([2])

....

ومن جيد شعر الأمير عبدالـلـه بن علي قوله:

يـــا نـــزول الكـــرخ مـــن غربيـــه بفـــؤادي مـــنكم كلـــم وجـــرح

بنـــــتمُ عنـــــا وبنَّـــــا عـــــنكم وبقـــي مـــن حـــبكم في القلـــب قـــرح

أن تســـل عـــن حالنـــا بعـــد النـــوى مـــا لحـــال المغـــرم المفتـــون شرح

فـــاعطفوا مـــنكم عليـــه باللِّقـــا فعســـاه مـــن خـــمار البـــين يصـــحو

وبجســـــمي علـــــة لم يشـــــفها غـــير إســـعافي بوصـــل لـــو يصـــحُّ

لا تســـل عـــن حالنـــا بعـــد النـــوى مـــا صـــفا عـــيش ولا للعـــيش صـــلح([3])

....

(1)المصدر نفسه، ص 8.

(2)أعيان الشيعة 21/39، وانظر: تاريخ المشعشعين، ص156. ديوان أبي معتوق، ص 179.

(3)أعيان الشيعة 21/39، وتاريخ المشعشعين، ص 156-157.

وله يمدح الإمام علي _عليه السلام:

أعيـدوا لنـائي الـدار صـبح وصـال   وزوروا جهـاراً أو بطيـف خيـالِ

هـواكم بـراني كـالهلال لبعـدكم   فـما ضركـم لـو تنظـرون لحـالي

أبـا حسـن أشـكو العـداة فـإنني   لقـد صرت فـيهم موثقـاً بحبـال

فمـن لي سـواك اليـوم أرجـوه نـاصراً   عـلى ضـيق سـجن في أشـد نكـال

وإن قـارعتني النائبـات فـإنني   إذا كنـت لي عونـاً فلسـت أبـالي(1)

....

ومن أدباء البيت المشعشعي الأمير عبدالله بن فرج الله المشعشعي الذي تولى حكم الإمارة من سنة 1114-1125هـ/1702-1713م (وقدم بغداد عام 1131هـ/1718) ملتجئاً إلى الوزير حسن باشا، فأتى بعياله ورجاله فآواه الوزير وتعهد له بتخليصه بالشفاعة له ورد الحويزة عليه. وكان هذا الأمير مهذباً كاملاً وأديبًا شاعراً يحفظ دواوين المتقدمين ويأتي منها بالسحر الحلال المبين ذا شعر مطبوع وذا علم معقول ومسموع أديب أريب كامل لبيب، ومن شعره:

ظبـي يتيـه عـلى الأسـود بفتكـه   ويريـك بـدر الـتّمِّ عنـد شروقـه

ثمـلان مـن خمـر الـدلال كأنمـا   كـأسُ الحُمَيّـا ركبـت بعروقـه

يختـال في حلـل الشـباب كأنـه   قـوس السـحاب بـدا خـلال شروقـه

لا والـذي أولاه صـعب مقـادتي   وأذاع علـم السـحر مـن منطوقـه

مـا حلـت عـن سـنن الـوداد ولم تكـن   نـفسي مهملـة لـبعض حقوقـه(2)

....

(1)أعيان الشيعة 23/39، وتاريخ المشعشعين، ص 157.

(2)تاريخ العراق بين احتلالين 197/5، حديقة الزوراء في سيرة الوزراء 72/1-73.

ومن شعره:

ولسـت ملـولاً للأخـلاّءِ جـافياً ... ولا محصـياً مـنهم ذنوبـاً أعـدُّها

سريـع إلى دعـواتهم إن هـم دعـوا ... وإن بـدت العـوراء مـنهم أسـدُّها([1])

....

وله أيضاً:

يـذكر العهـد فهـام ... وجفـا الجفـن المنـام

وفـؤاد ضـاع منـي ... بـين هاتيـك الخيـام

لسـت أنسى عهـد ظبـيٍ ... نـاعمٍ حلـوِ الكـلام

بـين لحظيـه سـقام ... وشـفاء للسـقام

فعليـه وعـلى لحظيـه ... مـا عشـتُ السـلام([2])

....

وكانت لهذا الأمير علاقة مع كثير من أدباء العراق المعاصرين له مثل عبدالـلـه السويدي (ت 1174هـ/1760م)، ونصر الـلـه الحـائري (ت 1156هــ/1743م)([3])، وقـد مدحه الأخير بقصائد عدة منها:

مـولى بـأفق سـما الرياسـة قـد بـدا ... فمـر ولكـن لم يـرع بسرار

مـولى بنـور العـدل منـه قـد انجلـت ... ظلـمات ظلـم بـث في الأقطـار

أضـحت غصـون الجـود بعـد ذبولهـا ... بنـدى يديـه جنـة الأزهـار

مـن دوحـة ناصـت ذوائبهـا السـها ... إذ قـد سـقتها الرسـل مـاء فخـار([4])

....

(1)تاريخ المشعشعين، ص 175.

(2)حديقة الزوراء في سيرة الوزراء 73/1، وتاريخ العراق بين احتلالين 198/5.

(3)تاريخ المشعشعين، ص 174-175.

(4)ديوان السيد نصر الـلـه الحائري 121، وانظر: تاريخ المشعشعين 176.

وكان وزير هذا الأمير اسمه فرج الله بن نعمة الله[1]، هو الآخر من محبّي الأدب والشعر وكانت تربطه بالشاعر نصر الله الحائري صداقة، قال يمدحه في إحدى المعارك القبلية التي انتصر فيها الوزير:

الله أكبر هذا البحر قد طفحا	أما ترى من أتاه وافداً ربحا
فلا تيمم سواه التيمم لا	يجوز كيف وماء الجود قد سفحا
هذا ابن نعمة من فيه قد التأمت	صدوع حالي ومن صدري به انشرحا
هذا الوزير الذي لا عيب فيه سوى	إعطائه من نحاه فوق ما اقترحا
إن الأيادي أياديه التي جزلت	إذا بخل كعب الأيادي مذ همت وضحا[2]

....

ومن شعراء البيت المشعشعي السيد أحمد ابن السيد مطلب بن علي ابن خلف (ت 1168هـ/1754م)، كان عالماً ورعاً أديبًا لم يتدخل في شيء من أمر أخوته ولاة الحويزة، بل كان يمتنع من أخذ جوائزهم ويكتفي بغلة زرعه[3]. وله الأسئلة الأحمدية التي أرسلها السيد عبدالله ابن نور الدين بن نعمة الله الجزائري، (ت 1173هـ)، فكتب في جوابها «الذخيرة الأبدية في جواب المسائل الأحمدية» وله ديوان شعر حسن[4]، وكتاب في العروض اسمه (الدر المنثور في معرفة موازين البحور)[5].

---

(1)أعيان الشيعة 271/42.

(2)ديوان السيد نصر الله الحائري 79.

(3)الإجازة الكبيرة، ورقة 29، أعيان الشيعة 213/10، تاريخ المشعشعين، ص 225-226.

(4)أدب الطفّ 11/6، تاريخ المشعشعين، ص 226.

(5)توجد نسخته الأصلية عند السيد جاسم شبر في مدينة النجف بخط المؤلف نفسه عام 1124هـ.

ومن شعره في رثاء الحسين _عليه السلام:

هـــي الطفـــوف فطـــف ســـبعاً بمغناهـــا فـــما لِبَكَّـــةَ معنـــىً دون معناهـــا
أرض ولكـــنما الســـبع الشـــداد لهـــا دانـــت وطأطـــأ أعلاهـــا لأدناهـــا
فيهـــا الحســـين وفتيـــان لـــه بـــذلوا في اللـــه أيّ نفـــوس كـــان زكّاهـــا
إذا القنـــا بيـــنهم كالرســـل بيـــنهم إذا القنـــا بيـــنهم كالرســـل بيـــنهم
والبـــيض تمضي مواضـــيها قضـــاياها والبـــيض تمضي مواضـــيها قضـــاياها
أنسى الحســـين وســـمر الخـــطّ تشـــجره إذا فـــما انتفعـــت نـــفسي بـــذكراها
والشـمس لـولا قضـاء اللـــه مـا طلعـت حزنـــاً عليـــك ولا كنّـــا رأيناهـــا
واهتـزت السـبع والعـرش العظـيم ولـولا اللـــه أصـــبحت العليـــاء ســـفلاها([1])

....

ومن أدباء البيت المشعشعي ومثقفيهم (السـيد عبـد عـلي بـن إسـماعيل ابـن جود اللـه، ت 1257هـ/1841م)([2]) الذي مدحه الشـاعر العراقـي صـالح التميمـي (ت 1261هـ/1845م) بقصائد عدة ونظم فيه روضته المشتملة على ثمان وعشريـن قصـيدة على عدد حروف الهجاء والبالغ عدد أبياتها سبعاً وثلاثين وخمسمائة.

تحدث في مقدمتها عن مستوى علاقته به ومنزلته الأدبية فقال:

«تهيأت من لطـف المنّـان أسـباب أوصـلتني إلى حضرة مـن هـو اليـوم لـلأدب مجمع، ولأهله مفزع، وللشرف مطلع، وللجود منبع، وللوفود مرتع، شمس فلك الرياسة ونور قمر السياسة من لم يترك للفضل فضلاً يذكر وفي المواهب من يحيى وجعفـر وهـو بقول أبي سعيد الرستمي أحق وأجدر:

فواللـه لا أرضى له الدهر خادماً ولا البحر منتاباً ولا القطر نائلا

---

(1)أدب الطف 9/6.

(2)تاريخ المشعشعين 187، تاريخ الكويت السياسي 92/3

ولا الفلك الدوار داراً ولا الورى عبيداً ولا الزهر النجوم قبائلاً

....

ولا ينتهي المدح فيه حتى ينتهي عنه، وقد غشيني من يمٍّ إكرامه وخاصٍّ بره وعامِّه، أحببت أن أقابل يده البيضاء بمثل ما قابل ابن السرايا الصفيّ الحليّ ممدوحه ابن ارتق وإلي حلب الشهباء، لما عمل فيه الروضة السائرة فنسجت روضة فائقة رائقة على ذلك المنوال ولم يكبُ - ولله الحمد - طرف فكري في ذلك الميدان والمجال، على أن ممدوحي خير من ممدوحه، وصبوحي ألذُّ من غبوق صبوحه»([1]).

قال في مطلعها:

أروضة سقيت من غيث وطفاء	فألبست نسج حمراء وصفراء
أهدى لها الطلّ من بعد الحيا منحًا	فأصبحت من أياديه بنعماء
أغنى الورى ناظراً من بات مبتهجًا	بحسن غانية أو نشر غَنَّاء
أم تلك عائدة المولى لوافدها	قد أبدلت كل ضرَّاء بسرَّاء
إن شئت ترنو العلى فانظر مواطنه	ودع مواطن كيوانٍ وجوزاء
أنست فصاحة سبحانٍ فصاحته	هيهات ما سامع الأشياء كالرائي([2])

....

وللتميمي مدائح أخر في هذا الأمير الأديب غير الروضة موجودة في ديوانه.

وفي عهد الوالي علي باشا أفراسياب الذي شاطر المشعشعيين حكم الأحواز في مطلع القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر الميلادي، وامتدّ نفوذه جنوب وغرب الإقليم، «رفع العلم وأهله وبث المعارف في

---

(1)ديوان صالح التميمي، ص 144-145.

(2)ديوان صالح التميمي، 146.

القاصي والداني وشاعت مكارمه وأحبته الرعية والقواد والعسكر وقصدته الشعراء والعلماء والأشراف ولم يجتمع بباب ملك في زمانه ما اجتمع ببابه، وحفظت في أيامه النوادر، وحسنت دولته بوجود الشيخ عبد علي بن رحمة الحويزي، وكان نادرة زمانه في جميع العلوم، وله من سرعة الخاطر ما لا يوجد لغيره إلاّ ما يحكى عن البديع الهمذاني، وله في علي باشا وابنه حسين باشا شعر مليح»([1]).

وكان حسين باشا بن علي أفراسياب هو الآخر «محبًّا للعلماء والفضلاء وأهل الأدب، والشعر له سوق في دولته، وعطاياه متصلة إليهم، والوفود متراكمون([2])على بابه تصلهم منه العطايا الجزيلة، وفي الحقيقة إنه كان أباً للأدب، فلما ذهب يتم»([3]).

وللشاعر شهاب الدين الموسوي مدائح كثيرة لحسين باشا مذكورة في ديوانه([4]).

وكان أمراء كعب ومشايخها الذين قاسموا المشعشعيين حكم الأحواز في القرن الثامن عشر الميلادي والسيطرة عليه بكاملة في القرن التاسع عشر، قد منحوا العلم والأدب عناية خاصة، وكان الأدباء والشعراء يتمتعون بكل تكريم في مجالسهم ودواوينهم من الأحوازيين وغيرهم، كما نبغ فيهم عدد كبير من الشعراء والعلماء([5]).

وفي عهد أمراء المحمرة كانت الأحواز قبلة الشعراء والمفكرين

---

(1)زاد المسافر، ص 18.

(2)متراكمون - الركم جمع الشيء فوق أخر حتى يصير ركاماً مركوماً... وارتكم الشيء وتراكم: اجتمع، القاموس المحيط: ركم.

(3)زاد المسافر، ص20.

(4)ديوان شهاب الدين الموسوي، ص 196، 200، 205.

(5)مقدمة ديوان هاشم الكعبي، ص 50-58.

وكان مجلس جابر بن مرداو الكعبي مجلس علم وأدب. والمعروف عن الشيخ خزعل رعايته للشعراء والأدباء الذين كانت تؤمه أفواجهم من كل حدب وصوب، فكانت تعقد في ديوانه ندواتهم يتغنون في مدحه فينالون هباته، وقد خصص للكثير منهم رواتب خاصة([1]).

ومن أبرز شعراء عصره الذين مدحوه ونالوا الحظوة عنده الشاعر العراقي معروف الرصافي والسيد جعفر الحلي والشيخ جواد الشبيبي والشيخ محمد رضا الشبيبي والشيخ عبد الكريم الجزائري والشيخ عبد اللطيف الجزائري، والأديب عبد المسيح الأنطاكي وغيرهم كثيرون([2]).

وقد نسب إلى الشيخ خزعل نظم الشعر وبعض التأليف، ونقل عنه هذان البيتان:

عجبت من شيخي ومن زهده　　وذكره النار وأهوالها

يعاف أن يشرب في فضة　　ويسرق الفضة إن نالها([3])

....

وقد ألف الأديب الشاعر عبد المسيح الأنطاكي كتاباً تناول فيه اهتمامات الشيخ خزعل الأدبية وموقفه من الشعر والشعراء وبعض منظوماته وبعض القصائد التي قيلت في مدحه لعدد من الشعراء أسماه «الدرر الحسان».

ومن شعر الشيخ خزعل في طيف الحبيب:

زارني طيفها فنمت عليه　　نسمات تضمنت منه طيبا

لي في وجهها الصبيح دليل　　قد هداني وما اختشيتُ رقيبا

(1)الدرر الحسان، ص 7.

(2)التاريخ السياسي لإمارة عربستان 120.

(3)أعيان الشيعة 230/29.

لهـــا في الخـــدود حبـــة خـــالٍ قـد هـداني ومـا اختشـيت رقيبـا

دب في خـــدها عقـــيرب صـــدغ بفـــؤادي وجـــدت منـــه دبيبـا

لا تلمنـــي في حبهـــا إن قلبـــي فيـــه أورت مـــن الغـــرام لهيبـا

لـــو تجلـــت في حســـنها أو تثنَّـــتْ لأرتنـــا بـــدراً وغصـــناً رطيبـــا([1])

....

وكان وكلاء خزعل وممثلوه ومساعدوه في مناطق الإقليم أيضاً يسهمون في تشجيع الحركة الثقافية والأدبية([2]).

ومن أعيان كعب الذين رفعوا شأن الأدب، الشيخ سعد بن عبدالله الكعبي الحويزي ت 1285هـ/1868م، «فقد كان جليل القدر رفيع الشأن عظيم المنزلة من أهل الفضل والتقوى والورع والصلاح، وكان له مجلس عامر بأهل العلم والأدب والشعراء والوجوه»..

وكانت الشعراء والأدباء تقصد مجلسه، وينعم على من قصده لسخائه ومروءته، وله دار ضيافة فيها مكتبة واسعة العدد فيها من نفائس الكتب المخطوطة»([3]).

وفي ظل هذا التأييد والرعاية للأدب وأهله والمشاركة في صناعته من قبل سلاطين الإقليم وامرائه ومشايخه ازدهرت الحياة الأدبية متوافقة مع الانتعاش العمراني والحضاري الذي تميز به الإقليم إبان الحكم العربي فكان بيئة صالحة لنبوغ العشرات من أبناء الأحواز في مختلف أنواع العلوم والآداب.

فعبد علي بن رحمة الحويزي ت 1075هـ/1664م «فاضل عارف

---

(1)الدرر الحسان 76.

(2)ديوان الشيخ كاظم آل نوح 7.

(3)معارف الرجال 335/1.

بالعربية والعروض وغيرها، شاعر أديب منشىء بليـغ»([1])، «وهـو مـن كبـار الشـعراء في عصره»([2])، «كان من أفراد زمانه في الأدب والشعر البديع، واتصل بحكام البصرة وولاتها فقربـوه ووصـلوه»([3]) «كـما كـان عـلى صـلة وثيقـة بـأمراء الأحـواز فمـدحهم ونـال أعطياتهم»([4]) وكان في فن الموسيقى من الأفراد، وله أغـان كثـيرة تـداولها النـاس، وهـو صاحب البيتين المشهورين:

وراقص كقضيب الـبان قــامته   تكــاد تذهب روحــي في تنقــله

لا تســـتقر له في رقصــة قـــدم   كــأنما نـــار قلبي تحت أرجله([5])

....

وكان شهاب الدين الموسوي (ت 1087هـ/1676م)، «عالماً فاضـلاً مـاهراً أديبـاً مشهوراً معروفاً له ديوان شعر جيد أكثره في مدح السادات المشعشـعية»([6])، «ويعـد في مقدمة شعراء القرن الحادي عشر الهجري - السابع عشر الميلادي -»([7])، «ومدح حسـين باشا أفراسياب والي البصرة في بعض من شعره»([8]).

وكــان ابنـــه وجــامع ديوانـــه الســـيد معتــوق (ت 1116هـــ/1704م)([9])

---

(1)أمل الآمل 154/2.

(2)الأعلام 156/4.

(3)دائرة المعارف للبستاني 608/11.

(4)تاريخ المشعشعين، ص 115.

(5)دائرة المعارف 608/11.

(6)أعيان الشيعة 134/36.

(7)دائرة المعارف 589/10.

(8)المشعشعيون ومهديهم، ص 722-730.

(9)نشوة السلافة 2/ ورقة 15.

«شاعراً كبيراً في عصره، فهو العلامة في العلوم والآداب، نظمه يزري بعقد الحسناء ويجري على طريقة العرب العرباء، لا يسيغ للتضييع مشرعاً ولا يرد من حياضه مشرعاً»([1])ومن غرر نظمه هذه القصيدة يمدح بها الشيخ العلامة محيي الدين بن حسين الجامعي، أحد أعلام أدباء الإقليم المعاصرين له:

سعد فقها ما بين عذب وريف — واقتصد في ذميلها والوجيف

ما علينا من سبة لو أرحناها — ولو عمر ساعة بالوقوف

هما كفؤها وهمي مولى — بي لطيف من آل عبد اللطيف

من سراة هم الأقلون أكفاء — كفاة وحدانهم كالألوف

درجوا كلهم وعادوا بهذا — الخلف الصالح التقيِّ العفيف([2])

....

ومن نوابغ الفكر وأساتذة التأليف العلامة الأديب السيد نعمة الله بن عبدالله الجزائري (ت 1112هـ/1700م)، فقد ألف في التفسير والحديث واللُّغة والنحو والأدب، وبلغت مؤلفاته العشرات، «وكان من مبدأ نشوئه إلى آخر عمره مولعاً بطلب العلم ونشره وترويجه، كدوداً لا يفتر عنه ولا يملّ، وكان في أسفار يصطحب ما يقدر عليه من الكتب، فإذا نزلت القافلة وضعها واشتغل بها إلى وقت الرحيل، وربما كان يطالع في الكتاب وهو راكب»([3]).

وقد كان من أولاده وأحفاده علماء ومفكرون وأصحاب فضيلة ورجال أدب في تك الديار. فابنه السيد نور الدين الجزائري (ت

(1)المصدر نفسه، ورقة 15.

(2)المصدر نفسه، ورقة 15، وأعيان الشيعة 85/48، والحالي والعاطل، ص 89.

(3)الإجازة الكبيرة، ورقة 43.

1158هـ/1745م) «كان عالماً فاضلاً عارفاً بأساليب الكلام شاعراً منشئاً أديباً خطيبـاً»([1])، ومن شعره:

هــو الــدهر لا يلفــى لديــه سرور	فتخييــل طيـب العـيش فيـه غـرور
هــو الـدهر لا يصـغي إلى ذي شـكاية	بحــق شــكا الأحــوال أو هـــو زور
وســاقي الرزايــا لم يــزل لي مجرعــاً	مـــرارات عـــيش شـــأنهنَّ مـــرور
أردد طـــــرفي رامقـــــاً لمســـــاعد	أردد طـــــرفي رامقـــــاً لمســـــاعد
أردد طـــــرفي رامقـــــاً لمســـــاعد	فيرجــع بالحرمــان وهــو حســير
ودرتُ فيــافي الأرض طــرًّا فلــم أجــد	أخــا ثقــة في الخــافقين يــدور([2])

....

وله نثر جيد سنتناوله في باب النثر.

وحفيـده السـيد عبدالـلـه بـن نـور الـدين الجزائـري (ت 1173هــ/1759م) صاحب الإجازة الكبيرة لأربعة من علماء الحويزة وغيرهـا مـن المؤلفـات والتصـانيف في مختلف العلوم إلى جانب الأدب، «وكان شاعراً لامعاً وكاتباً أديبًّا ماهراً في علوم الحديث والفقه والفنون والآداب العربية»([3]).

ومن العلماء الشعراء الشيخ عبد القاهر بـن الحـاج عبـد بـن رجـب العبـادي الحويزي كان حيًّا سنة 1100هـ/1688م، «كان فاضلاً عالماً مـتكلماً فقيهـاً مـاهراً جامعـاً جليل القدر منشئاً عابداً له تصانيف»([4]) في الكلام والأصـول والنحـو اللُغـة ولـه ديـوان شعر.

ومن شعره:

عرب بشرع الهوى قتلى بهم يجب	وكلما خطـروا في خاطري يجـب

---

(1)أعيان الشيعة 28/50.

(2)فروق اللُّغات للسيد نور الدين الجزائري، ص 309.

(3)معارف الرجال 8/2، مصفى المقال في مصنفي علم الرجال، ص 246.

(4)أمل الآمل، ص 156، هدية العارفين 608/1، وأعيان الشيعة 70/38.

حكيت يا دمع مذ أنفقت عين دمي   تلك الثغور ولكن فاتك الشنب

وفيك خدي مذ أصبحت منتشراً   من فوقه البحر لكن دره الحبب

كساني السقم ثوباً غزل مقلته   فاحبب لذيل قميص منه ينسحب([1])

....

ومن قوله:

سفرت شموس خواطر الأشواق   فسرت شموس خواطر العشاق

وتلألأت تلك العيون آهلة   فكنوزها تزكو على الانفاق([2])

....

ومن الشعراء الحكماء محمد مؤمن بن محمد قاسم الملقب بالحكيم الجزائري (ت 1130هـ/1717م)، «أديب ماهر، سيف ذهنه باتر حكيم حاذق ثاقب فهمه كاشف عن دقائق الحكمة والحقائق حاز حظاً وافراً من الكمالات وحير الأفكار بما أبدع في صناعة السرقات، فمجامعه كنوز الفوائد ومضامين رسائله فرائد»([3]).

ألف في الحكمة والطب والنحو اللُّغة والأدب.

ومن جيد شعره قوله مادحاً أمير المؤمنين علي بن أبي طالب _عليه السلام:

دع الأوطان يندبها الغريب   وخل الدمع يسكبه الكئيبُ

أمير المؤمنين أبو تراب   له يوم الوغى باعٌ رحيبُ

عليه تحيَّتي ما جنَّ ليلٌ   وحنَّ من النوى دَنِفٌ غريبُ([4])

....

(1)أمل الأمل، 157.

(2)أمل الأمل، 157.

(3)أعيان الشيعة 212/46، أدب الطف 138/5.

(4)خزانة الخيال، ص 18-19، أعيان الشيعة 213/46، أدب الطف 139/5-140.

وله أيضاً:

معـــاشرَ إخـــواني ســـلام علـــيكم	لقــد دمعــت عينــاي شــوقاً إلــيكم
ولا غـرو أن جسـمي ثـوى أرض غربـة	فروحــي وقلبــي ثاويــان لــديكم([1])

....

ومن الشعراء الأفذاذ فرج اللـه التستري (ت 1128هـ/1716م)([2])كـان «أحـد شعرائهم المفلقين، وأوحد لطفائهم الذيقين، شعره نظم الإحسان في لبه القريض، وأسمع فيه ما هو أطرف من نغم معبد والغريض».

وشعره في الصنعة برد مروي وفي العذوبة حديث للشباب مـروي([3]) ، «عـلا في البراعة شعره فعلا في سوق الأدب شـعره، وفي ديوانـه كـل معنـى مسـتبرع، ولفـظ هـو للحسن مستقرٌّ ومستودع ونظمه بالعربية محرز فضل الإجادة»([4]).

ومن شعره قوله يمدح السيد أحمد المدني والد ابن معصوم السـيد عـلي خـان المدني صاحب السلافة:

مـــا بـــين دجلـــة والفـــرات مراتـــع	هـــي للنفـــوس معـــارجٌ وســـماءُ
ومنـــازل هـــي للقلـــوب منـــازل	لا جاوزتهـــا ديمـــة هطـــلاء
لا الجـــزع يســـليني ولا وادي الغضـــا	عنهـــا ولا نجـــد ولا الـــدهناء
للنـــازلين عـــلى الفـــرات مـــواطن	لهـــم بهـــن عـــن الخيـــام غنـــاء
وبســـــوحهنَّ مراتـــــعٌ وملاعـــــب	اللَّيـــلُ فيهـــا والنهـــارُ ســـواء([5])

....

(1)خزانة الخيال، ص19.

(2)سلافة العصر، 492.

(3)نفخة الريحانة 217/3.

(4)سلافة العصر، 492.

(5)سلافة العصر، 492، ونفحة الريحانة 217/3-218.

وكان فتح الله بن علوان الكعبي القباني الدورقي (ت 1130هـ/1717م)، «عالماً أديباً موقوراً حسن التصنيف ذا باع في الأدب مديد المعارف شديد، وذهن انطبع فيه فنون المعقول والمنقول»([1])، «وله تأليف في النحو والمنطق والعروض والفقه وغيرها([2]). ومن شعره في الغزل:

يمن لصبٍّ غلب الشوق اصطباره	فلذا باح وللحب أمارهْ
لعبت في عقله أيدي الهوى	فلعذر خلع اليوم عذارهْ
خلط اللاحون في سلوته	خلطا فالحب قدم أضرم ناره
يا لقومي لأخيكم من رشا	صاده فرد فمن يطلب ثاره
حكمت في قلبه ألحاظه	حكم من ليس له طرز الإماره
لا تلوموني إذا مت به	فحياتي في هواه مستعاره([3])

....

وكان علي بن الحسين بن محيي الدين الجامعي العاملي (ت 1135هـ/1722م) من رجال العلم والتصنيف «المبرزين في سائر الفنون والمؤلف في كثير منها، فهو مفسر محدث فقيه أصولي نحوي منطقي رياضي فلكي أديب شاعر، وله عدة أراجيز في المنطق والنحو الفلك والهندسة»([4])، ومن أرجوزة له في النحو قوله:

بنعم امدحن واذمم ببئس ولم يجيء	هنا فاعل ما هو لفظ آل صفر
سوى اسم مضاف للذي عرفوا بآل	ومضمر التمييز فيه له فسر

(1)أعيان الشيعة 260/42.

(2)زاد المسافر، ص 4.

(3)زاد المسافر، ص 4.

(4)شعراء الغريّ 236/6، والخالي والعاطل 75-85.

و«ما» قيل تميز، وقد قيل فاعل — لدى نحو قولي نعم ما صنع الخضر
ومن بعد ذا المخصوص قد جاء مبتدا — أو احكم به المبتد ما له ذكر[1]

....

وأخوه الشيخ محيي الدين بن الحسين الجامعي كان حيًّا سنة 1119هـ/1707م، وكان «شاعراً كاتباً له تصانيف في علوم اللُّغة والشعر والنثر»[2] وكانت تربطه علاقة صداقة مع الأديب السيد معتوق بن شهاب الدين الموسوي، أرسل له كتاباً وصدَّره بهذين البيتين:

مالي سوى عفو يغطي على — عبد عصا مولاه محقوق
فهاك رقا لم يكن رائقاً — كم سامح بالرق معتوق[3]

....

من شعره يمدح صاحب نشوة السلافة لما ورد النجف:

قد كنت أحسب أنما — قصر الذكاء على إياس
حتى وقفت بجانب — «النجف الشريف» على أناس
تزهو على الإصباح أو — جههم وتجلو الالتباس
وحلومهم رجحت بميزان — على الشُّمِّ الرواس
فرأيت فيما بينهم — حدثاً على المعروف كاس
ذا فطنة كالنار لا — تخلي العفاة من اقتباس[4]

....

ومن شعراء الإقليم فرج الله بن محمد بن درويش الحويزي (ت سنة

---

(1)المصدر نفسه 86.
(2)أعيان الشيعة 29/48، شعراء الغري 227/11-230.
(3)الحالي والعاطل، 92.
(4)الحالي والعاطل، 90.

1141هـ/1728م)، «كان فاضلاً محققاً ماهراً شاعراً أديبًّا لـه مؤلفـات كثـيرة في النحـو والمنطق والعروض والبلاغة والتاريخ والحساب والتفسير، وله ديوان شعر كبير» ([1]).

ومن شعره قوله:

أحســـن إلى مـــن قـــد أســـاء فعالـــه	لو كنت توجس من إساءته العـــطب
أنظـــر إلى صنـــع النخيـــل فإنـــــها	ترمى الحجارة وهي ترمي بالرطب([2])

....

ومن الشعراء المشاهير في الإقليم هاشم بن حردان الكعبي الـدورقي (ت سـنة 1231هـ/1815م)، «شاعر مفلق متفنن حسن الأسلوب طويـل الـنفس، يعـدُّ في طليعـة الشعراء، نظم في مدح أهل البيت ورثاهم، فأكثر وأطـال وأبـدع، ولـه ديـوان شـعر»([3])، (ومن شعره المقصورة، وكأنه عارض بها مقصورة ابـن دريـد التـي تنيـف عـلى مـائتين وخمسين بيتاً يذكر في أولها حكماً وأمثـالاً وفي وسـطها حماسـة وفي آخرهـا مـديح أهـل البيت)([4]).

أولها:

يـــا بارقـــا لاح عـــلى أعـــلى الحمـــى	أأنــت أم أنفــاس محــروق الحشــا
أهـــدى إلى القلـــب الشـــجيِّ نـــاره	وإن ســـقى قلـــب الخليـــين الحيـــا
لـــو كنـــت تـــدري بالـــذي في قلبـــه	أغنـــاك أن تســـأله كيـــف ذوى
في قلبـــه نـــار جـــوى لـــو صـــادفت	جمر الغضـا لأحرقـت جمـر الغضـا

(1)أمل الآمل 215/2، أعيان الشيعة 286/42، ماضي النجف وحاضرها 184/2. أما ديوان شعره فمنه نسخة خطية في مكتبة الحكيم العامة في النجف الأشرف تحت رقم 633.

(2)أمل الآمل 215/2.

(3)أعيان الشيعة 557/50-570، أدب الطفّ 118/6.

(4)أدب الطفّ 118/6.

(5)ديوان هاشم الكعبي، قسم المراثي، ص 133.

والحــــازم الــــرأي الــــذي إن غالـــه	غـــول الرزايـــا لا بـــكى ولا شـــكا
مـــن اكتفـــى باللـــه كـــان حســـبه	واللـه حسـب كـل مـن بـه اكتفـى
مـــا لا يشـــاء اللـــه لم يكـــن ومـــا	يشـــاء فهـــو كـــائن كـــما يشـــا
لا تـــرجُ إلاّ اللـــه واســـخ بالـــذي	أولاكـه مـن بـذل جـود وعطـا[5]

....

ومـن شـعراء إمـارة كعـب الشـيخ مـوسى بـن حسـن أحمـد الفلاحـي (ت 1289هـ/1872)، «من العلماء الأعلام باعه في علم العربية والمعاني والبيان طويل، وكـان أديباً شاعراً مؤلفاً، لـه مراسـلات شـعرية مـع أصـحابه علـماء النجـف وأدبائهـا، ومـدح الوجوه العلمية والأعيان، ومدح آل الرسول الأعظم (صلى اللـه عليه وسلم) ورثاهم.

وكان والده الشيخ حسن (ت 1272هـ) من العلماء الأجلاء والأدبـاء الشـهيرين والمحلقين»[1].

ومن شعر الشيخ موسى في الحماسة:

وانمـــى ولا فخـــر لخـــير أرومـــة	نماهـــا نـــزار ذو المعـــالي ويعـــربُ
وآبـــاء صـــدق صرح مجـــد علاهـــم	يمـــزق هـــام الفرقـــدين مطنـــب
كواكـــب علـــم كلـــما غـــاب كوكـــب	بـدا لهـم في مفـرق العلـم كوكـب[2]

....

ومن شعراء كعب في الفلاحية الشيخ سلمان بن محمد بن حسن الفلاحـي (ت 1341هـ/1922م)، «نشأ في مدينة الفلاحية وقـرأ مقدماتـه العلميـة هنـاك مثـل النحـو والمنطق والصرف وقرأ اللمعة حتى برع في الفقه.

(1)معارف الرجال 3/41-44.

(2)المصدر نفسه 3/43.

وكان محترماً عند القبائل والوجوه، خاصة الأمير خزعل. هاجر إلى دار العلم والمجتهدين في النجف الأشرف وأقام فيها، وجدَّ في تحصيله حتى صار عالماً مجتهداً فقيهاً محققاً، وكان حافظة زمانه لسير الأدباء والشعراء والأعلام، إضافة إلى ذلك أدبه العالي وشاعريته اللامعة، ويمتلك مكتبة كبيرة فيها الكثير من الكتب المخطوطة الجليلة»([1]).

ومن شعره:

إلا أيهـذا الناهـب البيـد مغـنماً	بهوجـاء مـن آل الجـديل ولاحـق
تـنشر مشـبوه الـذراعين أغلـب	وازحـف خفـاق الجوانـب بـارق
تمـر ممـر الأمعـز الصـلد قـد هفـا	بـه النيـق مـن أعـلى شـمارخ حـالق
معاجـاً لأعقـاد الرمـال بـذي طـوى	وعقـلاً عـلى تلـك الـربى والحـدائق
إلى اللـه أشـكو كـل يـوم وليلـة	نوافـذ هـم كالسـهام المـوارق
عسى اللـه أن يرتـاح لي بارتحالـة	إلى سـعة عـن عسر تلـك المضـايق([2])

....

ومن الشعراء النوابغ الشاعر عدنان ابن السيد شبر الموسوي الغريفي المحمري (ت 1341هـ/1922م)، «عالم محقق فقيه كاتب منحه اللـه الفطنة والذكاء حتى عرف عنه أنه إذا قرئت عليه القصيدة مرة واحدة حفظها وإن طالت، وكان سريع البديهة، بديع الغور في الأدب والكمالات. هاجر إلى النجف وهو شاب وقرأ المقدمات فيها وأتقنها حتى صار يحضر بحث الأساتذة الأعلام بجد واجتهاد، ورغبة ملحة في التحصيل، وقد أجازه عدد من كبار العلماء»([3]).

---

(1)معارف الرجال 340/1.

(2)انظر: حاشية ناشر كتاب معارف الرجال رقم (1)، ج 341/1-342.

(3)معارف الرجال 82/2.

«ولم يتكلف في شعره ببيت واحد، وقد يستطيع أن يستبدل كلام يوم بكامله بالشعر ويعرب في خلاله عن الخواطر والأحداث والأغراض التي تمر به بالشعر الرصين العالي، وكان يتحرى شعره بقدر الإمكان فيعدمه إلاّ قسم (منه) أقره في حياته بخطه، وكان في معظم شعره يصور لنا حياته ومحيطه وما يمر على مشاعره من الصور الفكرية بنقد المجتمع»([1]).

وله من قصيدة بعث بها من المحمرة إلى الشيخ عبد الكريم الجزائري بالنجف:

على الجزع حيث الجزع بالنص مونق	مراح بأطراف الرماح مسردق
معان لظمياء الوشاحين لم تزل	حذاراً إذا مرت بها الريح تخفق
تعان بعين الشهب حصباء أرضه	ويفضح طوق البدر بدر مطوق
فكم غاضت الكف الخضيب خضيبه	وكم دق قاب القوس قوس مفرق
بأهل الوفا عبد الكريم فإنه	صديق صدوق لا صديق مصدق
تأوب للمعروف إذ حال بيننا	بوخد المهارى القود بيداء سملق([2])

....

وله من قصيدة قالها في الشيخ مزعل الكعبي تسمى القصيدة المزعلية:

عن بانة تختال أم عن سوسنه	وبفترة الجفنين ترنو أم سنة
قد قلت للشعراء ساعة زعزعوا	فبها القريض أرقته أو أمنته
تربت أكفكم بأي طماعة	خففتم في الفاس راجحة الزنه
ذهب الكرام من الرجال فما لكم	ترجون جوداً في النساء المحصنه

(1)شعراء الغري 184/6.

(2)النابغة البحراني - للدكتور حسين علي محفوظ - مجلة كلية الآداب، العدد الثاني عشر، حزيران 1969، ص 51-52.

طوفــوا المــدائن والــذين غنــوا بهــا وجميـــع أهـــل القفـــر والمتمدنـــه
ولكـــــم تحكمكـــــم إذا كـــــذبتم مــا قلتــه بســوى معــز الســلطنه(1)

....

نستخلص مـما تقـدم نهضـة ثقافيـة وأدبيـة قامـت في إقلـيم الأحـواز ظهـرت بوادرها في القرن العاشر الهجري، السادس عشر الميلادي ثم تطـورت وازدهـرت وبـدأت تعطي ثمارها في القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر الميلادي، فأنجب الإقليم عدداً كبيراً من الأدباء والشعراء والمفكرين نتيجة لوجود البيئة الصالحة التـي نمـت المواهـب وفتقت القدرات وأنزلت الأديب المكان الذي يستحقه فتخرجـت أجيـال تقـرض الشـعر وتكتب النثر وتؤلف في شتى صنوف المعرفة حتى الربع الأول من القرن العشرين عندما بدأت سياسية التفريس تفرض على أبناء الإقليم.

إن مرتكـزات الثقافـة الأحوازيـة في الحقبـة التـي تتحـدث عنهـا كانـت متينـة وصلبة لأنها اعتمدت على التراث العربي الإسلامي في أيام ازدهاره وعصـور تفوقـه، فقـد انكبَّ أبناء الإقليم عـلى دراسـة كتـب المتقـدمين ومصـنفاتهم في مختلـف فنـون العلـم والأدب والمعرفـة فاسـتوعبوها وتـأثروا بهـا وتمكنـوا منهـا، فربطـوا حـاضرهم المشرق بماضيهم الزاهي، وانبروا يؤلفون على منوالها ويقتفون آثارهـا، فكانـت مظـاهر الإبـداع تتجلى في نتاجاتهم العلمي والأدبية على السواء وكأنهم عاشـوا عصـور الازدهـار الثقـافي العربي في القرنين الثالث والرابـع الهجـري، فأحسـنوا الصـنعة وأتقنـوا التقليـد وابتـدعوا فنوناً وألواناً جديدة في الأدب، في وقت جمدت فيه الثقافة وانـدثر العلـم واسـتحكمت العجمة واضمحلَّ الأدب وتضاءل الشعر في أصقاع العروبة الأخرى.

(1)المصدر السابق، 47-48.

والنهضة الأدبية والثقافية التي شهدها هذا الإقليم لم يكن نفعها حكراً على الأحوازيين وحدهم بل انتقلت آثارها الإيجابية إلى الأقطار المجاورة وعلى وجه الخصوص إلى العراق والخليج العربي بحكم الصلة الصميمة بين أبناء الشعب العربي الواحد في هذه الأقطار، والرجوع إلى سيرة عدد من الأدباء والعلماء الأحوازيين والعراقيين والخليجيين مثل عبد علي الحويزي وشهاب الدين الموسوي وهاشم الكعبي وأبي البحر الخطي وعدنان الغريفي ونعمة الله الجزائري، ونصر الله الحائري وصالح التميمي وعبد الكريم الجزائري وشبر بن ثنوان الحويزي... وعشرات غيرهم توضح قوة العلاقة والتأثير المتبادل في مجالات الفكر والأدب والأمور الأخرى بين أبناء الشعب العربي في هذه الأقطار، وهو أمر محتم دون أدنى شك.

ويبدو لي أن النهضة الأدبية التي ظهرت في العراق في نهاية القرن الثامن عشر الميلادي كانت متأثرة إلى حدٍّ ما بالازدهار الأدبي الذي شهدته الأحواز في ظل الحكم العربي، ومما يؤكد هذا التصور، هو أن فن (البند) الذي كان أول ظهوره في الأحواز نجد صداه في العراق بعد ذلك، وأن الأسر العربية الحاكمة في إقليم الأحواز كانت ترعى الأدباء العرب من الأحواز ومن العراق، على السواء، إذا ما أرادوا أن يوثقوا صلتهم بهم، زيادة على ذلك أن الأدباء والمفكرين الأحوازيين كانوا يرون إقليمهم امتداداً طبيعيًّا للعراق فيتجهون نحو العراق يجوبون مدنه وقراه كلما عنَّ لهم ذلك، أو ضاقت الأحواز بأحلامهم، فيجدون في العراق متنفساً رحباً لرفد أخيلتهم وعرض بضاعتهم، فتوثقت صلتهم بالعراق وأسهموا في نهضته الأدبية.

الفصل الثاني

أغراض الشعر

....

أغراض شعر الإقليم في العصور التي ندرسها، هي الأغراض والأهداف المعروفة في الشعر العربي على مرِّ العصور ومختلف الأقاليم، إلاّ أن هناك بعض الفنون قد توسعت وازدهرت، وكثر النظم فيها، وزاد الاهتمام به لملاءمتها لأوضاع الإقليم الاجتماعية والسياسية، بينما اضمحلَّت فنون أخرى، وقد لا يرد لها ذكر عند طائفة من الشعراء، زيادة على ذلك نجد عدداً من الشعراء نبغ وأجاد في غرض أو غرضين أكثر من الأغراض الأخر، بينما آخرون في مختلف الأغراض بصورة متوازنة دون تغليب غرض على آخر.

وفي ضوء دراستي لمظانِّ الشعر المتيسرة، وجدت أن الشعر العربي في الأحواز في هذه العصور يتوزع على الأغراض الآتية، مرتبة حسب سعتها وهي: المديح والفخر والحماسة، والرثاء، والشكوى، والغزل، والإخوانيات، والوصف، والحكمة، والمنظومات العلمية.

- المديح:

وهو أكثر الأغراض اتساعاً، ونظم به شعراء الإقليم كافة، وطابعه هو الطابع العربي الإسلامي، فاتّخذ من المثل العربية والإسلامية الرفيعة أساساً للإطراء والثناء، وبقدر ما كان الشاعر يسمو نحو الشمائل السامية،

ويتمسك بالنزعة الإنسانية، فيكبر الأعمال الفذَّة، ويثني على الإنجازات الصالحة، كان ينحدر إلى درك التقرب والزلفى للحصول على المنافع الذاتية والمصالح الفردية الضيقة، فيلقي بالكلام جزافاً، طمعاً في مال أو جاه أو منصب، وفي أثناء تقصي جوانب هذا الفن، وجدته ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

1 -المديح الديني:

تبلور هذا النوع من الشعر مع مولد الرسالة الإسلامية السمحاء، وكان في عصر الرسول (صلى الله عليه وسلم) وصدر الإسلام شعراً عقائديًّا سياسيًّا، ولَّدته ظروف قيام الإسلام نظاماً إلهيًّا، يصارع الأعراف الجاهلية المقيتة، فكان الإسلام بحاجة إلى مدافعين بالسيف واللسان، لأهمية الكلمة وسحر البيان عند العرب، فانبرى عدد من الشعراء المسلمين ينافحون عن العقيدة الإسلامية ومثلها العليا، وينالون من الشرك وأهله، وكانت شخصية الرسول القائد (صلى الله عليه وسلم) المفعمة بالخلال النادرة في السلم والحرب، بحراً زاخراً يغترف منه الشعراء أفكار البطولة والفروسية والصبر والخلق الرفيع والتضحية، وقد استمر المديح في هذا النطاق حتى ترسخ الإسلام وانتشر شرقاً وغرباً.

وفي العصور التالية، اتجه الشعر الديني إلى تمجيد الباري سبحانه وتعالى والثناء عليه بما هو أهله، وطلب العفو والمغفرة وخير الدنيا وحسن ثواب الآخرة، وذكر نعمه التي لا تحصى. أما الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم)، فقد ذهب الشعر إلى إطراء شمائله وفضائله ومزاياه، ونسبه وكرمه، وشجاعته وفصاحته، وبلاغته، ودقائق سلوكه، ومعجزاته وشفاعته، ومقامه عند ربه. ويأتي بعد الرسول (صلى الله عليه وسلم) مدح أهل بيته، فيثني على مناقبهم وفضائلهم، وكثيراً ما يكون ممزوجاً بنزعة سياسية تؤكد حقهم في الخلافة والحكم. ثم يأتي مدح صحابة الرسول (صلى الله عليه وسلم) الأخيار.

كل ذلك رجاء الشفاعة عند اللـه سبحانه وتعالى.

وقد أسهم عدد من شعراء الإقليم في هذا الغرض وأبدع، ومن ذلـك قـول عـلي بن خلف مناجياً ومتوسلاً إلى الباري سبحانه وتعالى بسعة عطفه وكثرة عطائه، وقدرتـه على دفع عظائم المصائب والنوازل:

إلهــي يــا ذا المجــد والجــود والعــلى ... ويا صاحب الإحسان والفضل والعطا

ويــا راحــم الشــيخ الكبــير لضــعفه ... ويـا رازق الطفـل الصـغير وقـد بـكى

ويــا عالمــاً بــالسر والجهــر والخفــا ... ويـا سـامعاً همـس المنـاجي إذا دعـا

أقلنــي أقلنــي عــثرتي وامــحُ زلتــي ... إلهـي وخلصـني مـن الهـم والأذى

إلهــي لــئن قصرت في شــكر نعمــة ... فعفـوك أرجـى مـا يـدل بـه الفتـى

إلهــي كــم مــن مــذنب جــاء تائبــاً ... فقابلتــه بــالعفو والصــفح والرضــا

إلهــي لــئن أبعــدتني لخطيئتــي ... فصفحك يـدنيني وحلمـك يرتجـى(1)

....

وله أيضاً مناجياً ومتوسلاً إلى اللـه تعالى:

يـــا خـــيرَ مـــن رفعـــت لـــه ... الأيـــدي وحركـــت الأنامـــل

يـــا خـــيرَ مـــدعوٍّ ومرجـــوٍّ ... لـــدفع أذًى ونائـــل

إن كنـــت لا ترجـــى لكشـــف ... عظيمـــة ولـــدفع هائـــل

مـــن ذا يُرَجَّـــى للعظـــائم ... والشـــدائد والنـــوازل

أدعـــوك بـــالمبعوث في ... خـــير الأمـــاكن والقبائـــل

خـــير النبيـــين المحـــلَّى ... بالمكـــارم والفضـــائل(2)

....

(1)ديوان علي بن خلف، ورقة 91، 92، 93.

(2)ديوان علي بن خلف، ورقة 120، 121.

وقال فرج الـلـه الحويزي يثني على فضل الـلـه تعالى ويعدد نعمه:

قلـت عـن الجـد في نيـل المنـى حـيلي فاسـدد إلهـي بمـا عـودتني خلـلي

يـا مـن عوائـده الإحسـان عـد كرمـاً عـليَّ بـالعفو لي يـا منتهـى أمـلي

وحـق جـودك يـا رب الأنـام فـما جعلـت إلاّ عـلى جـدواك مـتَّكلي

فحسـن ظنـي بـربي والوثـوق بـه أزالنـي عـن مقـام الخـوف والوجـل

ونعمـة اللـه جلـت أن يعـددها كـل الأنـام عـلى التفصيل والجمـل([1])

....

وقال شهاب الدين الموسوي مادحاً الرسول (صلى الـلـه عليـه وسـلم) مسـتهلًّا قصيدته بذكر الديار الحجازية وحبه لها وتعلُّقه بها، وتنـاول شخصـية الرسـول الأعظـم (صلى الـلـه عليه وسلم) فذكر أنه خير النبيين، وهو ما نطقت به كتب السـماء، التـوراة والإنجيل، وأنه ملجأ الناس، وغيث المستصرخ، وأمان الخائف، وسرّ حكمة الـلـه ولطفه، وبه ظهر التوحيد وانقرض الشرك، وأن الشريعة نسخت جميع مـا جـاءت بـه الشرائـع السابقة فهي شريعة متكاملة:

هـذا العقيـقُ وتلـك شـمٌّ رعانـه فـامزج لجـين الـدمع مـن عقيانـهِ([2])

وأشـمم عبـير ترابـه والْـثُمْ حَصًى في سـفحه انتـثرت عقـود جمانـهِ

لم ألـق قبـل العشـق نـاراً أحرقـت بشراً وحـب المصـطفى بجنانـه

خـير النبيـين الـذي نطقـت بـه التـوراة والإنجيـل قبـل أوانـه

كهـف الـورى غيـث الصريـخ معـاذه وكفيـل نجدتـه وحصـن أمانـه

المُنطـق الصـخر الأصـم بكفـه والمخـرس البلغـاء في تبيانـه

لطـف الإلـه وسرّ حكمتـه الـذي قـد ضـاق صـدر الغيـث عـن كتمانـه

(1)ديوان فرج الـلـه الحويزي، ورقة 4.

(2)رعان: الجبل الطويل، (القاموس) رعن.

قــرن بــه التوحيــد أصــبح ضــاحكاً والشرك منتحيــــاً عــــلى أوثانــــه
نســخت شرائــع دينــه الصــحف الألي في محكــم الآيــات مــن فرقانــه([1])

....

ثم يتناول شجاعته في الحرب وهيبته في القتـال، وقدرتـه عـلى إلحـاق الهزيمـة بجيش الشرك، وقد كان الملائكة المقربون مـن أعوانـه وأنصـاره، وشـهدت سـور القـرآن الكريم بفضله، فقال:

تــبكي الجــراح النجــل فيــه والــردى متبســـم والبـــيض مـــن أســـنانه
فتكـــت عواملـــه وهـــنَّ ثعالـــب بجـــوارح الآســـاد مـــن فرســـانه
جبريـــل مـــن أعوانـــه ميكـــال مـــن أخدانـــه عزريـــل مـــن أعوانـــه
نـــور بـــدا فأبـــان عـــن فلـــق الهـــدى وجـــلا الضـــلالة في سَـــنَى برهانـــه
شـــهدت حـــواميم الكتـــاب بفضـــله وكفـــى بـــه فخـــراً عـــلى أقرانـــه
ســـل عنـــه ياســـينًا وطـــه والضُّـــحَى إن كنــت لم تعلــم حقيقــة شــانه([2])

....

ثم يستمرّ في ذكر عدد من مناقبه ومعجزاته وخلقه الـذي أثنـى عليـه البـاري سبحانه وتعالى.

وللشاعر المذكور قصيدة طويلة وبديعة أخرى في مدح الرسول (صـلى اللـه عليه وسلم) وأهل بيته ذكر فيهـا أن الرسـول هـو الهـادي الـذي لـولاه بقيـت سـائر الأمم بالضلالة، وهو مبارك ميمون، آثار خيره في كل مكان، وهو تاج الرسل وخاتمهم وزينتهم وهو نور انجلت به الظلم عن القلوب والدهور، ثم عرج على أهـل الرسـول (صلى اللـه عليـه وسـلم) ومكـانتهم وأنهـم زادوا بـه شرفـاً، فرسـول اللـه واسـطة

(1)ديوان شهاب الدين الموسوي، ص 6، 8، ط مصر 1885م.
(2)ديوانه، ص 8-9.

لعقدهم وسراج في بيوتهم. بعد ذلـك عـدَّد خصـائلهم في الـدين والـدنيا ووقـوفهم مـع الحق ودفاعهم عن العدل وكثرة عبادتهم، فهم سيوف حق لله قد نصرهم، منها:

لا بـر في الحـب يـا أهـل الهـوى قسـمي ... ولا وفـت للعـلى إن خنـتكم ذممـي

غـر عـن الـدر لم يفضـل مباسـمهم ... إلاّ سـجايا رسـول اللـه ذي الكـرم

محمـد أحمـد الهـادي البشـير ومـن ... لـولاه في الغـيَّ ضـلَّت سـائر الأمـم

مبـارك الاسـم ميمـون مـآثره ... عمـت فآثارهـا بـالغور والأكـم

طـوق الرسـالة تـاج الرسـل خـاتمهم ... بـل زينـة لعبـاد اللـه كلهـم

أصـول مجـد في الـنصر قـد ضـمنوا ... وصـولهم للأعـادي في نصـولهم

مـن مـثلهم ورسـول اللـه واسـطة ... لعقـدهم وسراج في بيـوتهم

أكـارم كرمـت أخلاقهـم فبـدت ... مثـل النجـوم بمـاء في صـفائهم([1])

....

وكان الشاعر علي بن خلف المشعشعي قـد مـدح الرسـول (صـلى اللـه عليـه وسلم) وأهل بيته بـعشرات القصـائد والمقطوعـات الشـعرية، وشـغل هـذا النـوع مـن المديح حيزاً كبيراً من ديوانه، وكان يسـتهل مدائحـه بـذكر الأحبـة والـديار، أو بشـكوى الزمان، أو ببعض الحكم والتصورات عن الطبيعة والحياة، ثم يتوجه إلى الباري سـبحانه وتعالى وإلى الرسول (صلى اللـه عليه وسـلم) وأهـل بيتـه لـيجعلهم مـلاذاً ومهربـاً مـن معضلات الدنيا، أو وسيلة لتذليلها، وفي هذا المجال قال قصيدة، منها:

مـاذا تريـد مـن الكـئيب الوالـه ... عـذل الـعذول يـزيد في بلبـاله

إن كنـت ناصـحه فسـاعده عـلى ... مـا يبتغـي أو لا فدعـه بحالـه

---

(1)ديوانه، ص 10، 12، 13.

وأشـــد مـــن هجـــر الحبيـــب وصـــده	ولقـــاء شـــوس الحـــرب مـــن أقيالـــه
حـــرب الزمـــان وحادثـــات خطوبـــه	ومكابـــدي للصـــعب مـــن أهوالـــه
أبـــداً ينـــازلني بنـــازل خطبـــه	مـــا حيلتـــي بنزولـــه ونزالـــه
فـــاقرع إلى رب الزمـــان ولـــذ بـــه	وارجـــع إلى مـــدح النبـــي وآلـــه
فهـــو المعـــدُّ لـــدفع كـــلِّ ملمَّـــة	ونجاتنـــا في الـــحشر مـــن أهوالـــه
الشـــمس دون جمالـــه والليـــث	دون صـــياله والغيـــث دون نوالـــه
وبنـــوه أعـــلام الهـــدى ســـفن النجـــا	مـــن هـــول يومئـــذ ومـــن أغلالـــه
البيـــت يشـــهد والمقـــام بفضـــلهم	ولهـــم محبـــة أرضـــه وحيالـــه(1)

....

فالشاعر يرى أن الباري سبحانه، هو المفزع والملاذ، والنبي (صلى اللـه عليه وسلم) هو المعدُّ لدفع كل ملمة، فقد فاق الشمس بجماله والليث بشجاعته والغيث بكرمه، وأما أولاده وأحفاده فهم أعلام الهدى وسفن النجاة من أهوال يوم القيامة، وقد شهد بفضلهم وعلو قدرهم بيت اللـه الحرام والمقام.

ومن قصيدة أخرى، وبعد النسيب التقليدي، وذكر الديار وشكوى الزمان، توجه إلى شخصية الرسول الأعظم (صلى اللـه عليه وسلم) وأهل بيته بالثناء والتبجيل، فبين أن قبيلة قريش ذات الشرف الرفيع ازدادت به مجداً وفخراً بين القبائل، وأن (طيبة) زادت به طيباً، وأن الأرض التي ولد عليها فاخرت الشهب المعلقة في الفضاء، وهكذا يتسلسل بهذه الفضائل التي اختص بها الرسول (صلى اللـه عليه وسلم) ثم ينتقل لمدح أهل بيته، وبعد ذكره لكراماتهم يتوصل بهم إلى الشفاعة عند اللـه سبحانه وتعالى، فقال:

ســـلـــوها لمـــاذا غيَّرتـــها العـــواذل	فهل غـير أن قالوا سلا وهـو بـــاطل
وكيف سلوّ الأرض عن صيِّب الحيا	إذا ما تمـــادى ريُّها وهـــي ماحـــل

(1)ديوان علي بن خلف، ورقة 110، 111.

نبـــيٌّ علـــت عليـــا قـــريش بفضـــله   ودانـــت لـــه يـــوم الفخـــار القبائـــل
وزادت بـــه طيبـــاً عـــلى المســـك طيبـــة   وفـاخرت الشـهب الـحصى والجنـادل
بـــه بشر الإنجيـــل مـــن قبـــل بعثـــه   وسرت بـــه قبـــل القـــرون الأوائـــل
نبـــيٌّ عـــلا أعـــلى الســـماوات صـــاعداً   فبـــورك منـــه بـــالغ الحـــد واصـــل
وعلَّمـــه مـــن عِلْمِـــهِ خـــالق الـــورى   فهـــا هـــو عـــما قالـــه اللـــه قائـــل
وأبنـــــاؤه الأطهـــــار والســـــادة الألى   أقـــر لهـــم بالفضـــل حـــافٍ وناعـــل
ميـــامين يســـتهدي الأنـــام بنـــورهم   كـــــأنهم للحـــــائرين مشـــــاعل
بهاليـــل بسّـــامون واليـــومُ كـــالحٌ   بحـور نـدى والجـدب للنـاس شـامل
فيـــا صـــفوة الـــرحمن والســـادة التـــي   ينـــال بهـــم كـــل المسرات آمـــل
دعـــوتكم والـــدهر صـــارت خطوبـــه   وهـن القـواضي الفاتكـات الفواعـل([1])

....

وإلى جانب مديح الرسول (صلى اللـه عليه وسلم) الـذي عمـرت بـه دواويـن شعراء الأحواز، كان هناك مديح خاص بأهل بيته الكرام، تغلب عليه النزعـة السياسـية، يرى لهم الحق في حكم العرب والمسلمين، وقد وهبهم الباري سبحانه وتعـالى الـدرجات الرفيعة، والمقـام المحمـود، ومـنحهم الشـفاعة. تنـاول الشـاعر الأحـوازي هـذه الأفكـار وصورها بخيالـه الرحـب، وزينهـا بذهنـه الرائـق، فـأنتج شـعراً صـادق العاطفـة رقيـق الأسلوب قويَّ التعبير، ولكنه شديد المبالغة يتجاوز أحياناً حدود العقل والـذوق، وقلـما نجد شاعراً إلاّ وله إسهامة في هذا الباب، ومن ذلك قول الشاعر شهاب الـدين الموسـوي في الإمام علي _عليه السلام:

غربـــت مـــنكمُ شـــموس الـــتلاقي   فبـدت بعـــدها نجـــوم المـآقي

---

(1)ديوان علي بن خلف، ورقة 119، 120.

جُـــنَّ ليــلُ النَّــوى عـــليَّ فأمســـت	في جفـــــــوني منـــــــيرة الإشراق
فاقــت الــدهر زينــة مثــل مــا قــد	فـــاز قـــد الـــوصيَّ بالآفـــاق
ســـيد الأوصـــياء مـــولى البرايـــا	عـــروة الـــدين صـــفوة الخـــلاق
مهبط الـوحي معـدن العلـم والأفضـال	لا بـــــــــل مقـــــــــدِّر الأرزاق
بـــدر أفــق الكــمال شـــمس المعـــالي	غيــث سـحب النـوال ليـث الـتلاق[1]

....

تناول الشاعر بعد مقدمته الغزلية شخصية الإمام علي _عليه السلام، فخاطبـه بسيد الأوصياء ومولى البرايا وعروة الدين وصفوة الخلائـق ومهـبط العلـم وغيرهـا مـن الفضائل التي يتصف بها الإمام علي _عليه السلام.

وينتقل بعد ذلك إلى شمائل الإمام علي _عليه السلام الأخرى كالكرم والشجاعة وقوة الجنان، والعدل، ومكارم الأخلاق، وبطولته في مقارعة أبطال الشرك واليهود، وفتح القلاع والحصون، وغيرها مما اشتهر به وعرف عنه، فقال:

ضـارب الشـوس بـالظُّبى ضربـه النجـل	بمـــــــاضي مكـــــــارم الأخـــــــلاق
حكمـــــــة العـــــــدل في القضـــــــايا	جـــائر في نفـــوس أهـــل الشـــقاق
مـــن ســـقى مرحـــب المنـــون عمـــراً	وأذاق القـــرون طعـــم الزعـــاق
مـــــن أتى بالوليـــــد بـــــالروع قسراً	بعــد عــزّ العــلى بــذلِّ الوثــاق[2]

....

ومن الشعراء الذين اختصوا بمديح أهل البيت فرج اللـه بـن محمـد الحويزي فقد وجدت المتوفر مـن شـعره مختصـاً بمـدحهم، وكانـت طريقتـه في هذه المـدائح تعتمـد عـلى ذكـر فضـلهم ومنـاقبهم، ثـم سـيرتهم في عمـل

(1)ديوان شهاب الدين الموسوي، 16، 17.

(2)ديوان شهاب الدين الموسوي، ص 17.

الخير والعبادة، وقد يتناول موقف أعدائهم منهم وما حاكوه ضدهم من دسائس وافتراء، وشجاعتهم في مواجهة تلك الظروف الصعبة، بعد ذلك يتوجه بهم إلى الله سبحانه وتعالى على سبيل الزلفى لطلب العفو، ومن ذلك قوله في مدح الإمام علي _عليه السلام:

قد أفلح المؤمنون القائلون بما ... أقامه الله في أرض له وسما
الله ألهمهم خير الدليل إلى ... نهج السبيل فكانوا قدوة العلما
لله من نور قدس قد تجسم في ... خير الهياكل والأجسام وانتظما
لولاه لم يخلق الأفلاك خالقها ... ولا أعد لها لوحاً ولا قلما
ولا أضاءت لنا شمس ولا قمر ... ولا اهتدى أحد من حيرة وعما
الله أذهب عنه الرجس إذ طهرت ... نفس له ربها زكى وقد عصما
ويوم خيبر من هد الحصون وقد ... أردى القروم كمن قد خاب وانهزما
ومن بأحد وقى الهادي بمهجته ... طوعاً كمن فرَّ لا استحيا ولا احتشما([1])

....

ومدح السيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بقصيدة ذكر منزلتها وصلتها بالرسول (صلى الله عليه وسلم) وصفاتها وأخلاقها وعبادتها، وزوجها وذريتها وكراماتها منها:

ست النسا درة العقد التي ظهرت ... من ظهر خير البرايا سيد الرسل
من اسمها فوق ساق العرش أحرفه ... مكتوبة بيد التعظيم في الأزل
فهي المضيئة في الأفلاك صورتها ... تزري بشمس الضحى في دارة الحمل
الله شرَّفها قدراً وفضلها ... بعصمة من جميع الإثم والزلل
وأذهب الرجس عنها ثم طهرها ... في محكم الذكر تطهيراً بلا جدل

(1)ديوان فرج الله الحويزي، ورقة 2

ثـــم اصـــطفاها وصـــفّاها وزوّجهـــا سـبحانه بـأمير المـؤمنين عـلي([1])

....

ويرى الشاعر عبدالـلـه بن علي بن خلف، أن مدح الإمام عـلي _عليـه السـلام مناسبة لطلب النصرة والعون لمواجهة الملمات التي تعرض لها فقال:

ومـــن لي بعـــد الـلـــه أرجـــوه نـــاصراً سـوى حيـــدر الكـــرار أشرف آل

عـــليٍّ أمـــير المـــؤمنين الـــذي محـــا جيـوش العـدى والشرك يـوم قتـال

أبـــا حســـن أشـــكو العـــداة فـــإنني لقـد صرت فـيهم موثقـاً بحبـال

فمـــن لي ســـواك اليـــوم أرجـــوه نـــاصراً عـلى ضـيق سـجن في أشـد نكـال

وإن قـــارعتني النائبـــات فـــإنني إذا كنـت لي عونـاً فلسـت أبـالي([2])

....

وكان يرى أن زيارة الإمام الرضا _عليه السلام وسيلة لتحقيـق الأهـداف ودفـع نائبات الزمان لمقامه الرفيع عند الـلـه ورسوله، فقال في مدحه:

أتينـــاك نقطـــع شـــم الجبـــال ومـــا ذاك إلاّ لنيـــل الرُّتَـــبْ

وخلَّفـــتُ في مـــوطني جـــيرةً بقلبـي علـيهم لهيـب العطـب

وقـــالوا إلى أيـــن تبغـــي المســـير وتتركنـــا في عظـــيم اللَّغَـــبْ([3])

فقلـــتُ إلى نـــور عـــين الرســـول وأزكى قـــريش وخـــير العـــربْ

عـــليٍّ بـــن مـــوسى وصيِّ الرســـول ســليل المعــاني رفيــع الحســبْ

إمـــام الـــورى أشرف العـــالمين حميـد السـجايا شريـف النسـبْ

فأنـــت الإمـــام ونجـــل الإمـــام وأنـــت المرجَّـــى لـــدفع الكُـــرَبْ

---

(1)ديوان فرج الـلـه الحويزي، ورقة 4.

(2)تاريخ المشعشعين، ص 157.

(3)اللغب = الضعف والأعيان (القاموس) لغب.

أجِـــرنيَ مـــن نائبـــاتِ الزَّمـــان ومثلـــك مـــن يرتجـــى للنُّـــوَبْ([1])

....

ومن الشعراء المشهورين في مديح أهل البيت هاشم بن حردان الكعبـي، كـان معظم شعره يغلب عليه الولاء والحب لهم، ويتناول فيـه سـيرتهم وفضـلهم ومـا رافـق حياتهم من نضال وإصرار على الحق والمبادىء السامية ومن ذلك قوله في داليته البالغة مائة وخمسين بيتاً وصف فيها الإمام عليًّا بالمصباح المنير والصـباح المشرق ويمـين البـذل والعطاء وتاج الإمارة المعقود ويتناول مآثره البطولية في ساحات الوغى وحلبات النضال:

أرايـــت يومـــاً تحملتـــك القـــودا([2]) مـــن كـــان منـــا المثقـــل المجهـــودا

حملتهـــا الغصـــن الرطيـــب وورده وحملـــت فيـــك الهـــمَّ والتســـهيدا

أخـــــذوا بمسروب السراب وجـــــانبوا عـــذباً يمـــير([3]) الوافـــدين بـــروداً

مصـــباح ليلتهـــا صـــباح نهارهـــا يمنـــى نـــداها تاجهـــا المعقـــودا

مطعانهـــا مطعامهـــا مصـــدامها مقـــدامها ضرغامهـــا المعهـــودا

بشر أقـــــلُّ صـــــفاته أن عـــــاينوا مـــنهنَّ مـــا ظنّـــوا بـــه المعبـــودا([4])

....

ثم ينتقل إلى صور أخر من حياته المفعمة بالحوادث والمناسبات فيقول:

يـــا صـــاحب المجـــد الـــذي لجلالـــه عنـــت البرايـــا مبغضـــاً وعنيـــدا

لـــك غـــرٌّ أفعـــال إذا اســـتقريتُها أخـــذت عـــليَّ مغـــاوراً ونجـــودا

---

(1)تاريخ المشعشعين، ص 158.

(2)القود = جمع أقود الخيل تقاد بمقاودها (القاموس) قود.

(3)يمير = يكفيهم بالمؤونة، يسيل.

(4)ديوان هاشم الكعبي، ص 51.

وصـفات فضـل أشـكلت معنًـى فـلا   إطـــــلاق يكشـــــفها ولا تقييـــــدا
ومراتــــــب قلـــــدتها بمناقـــــب   كالعقــد تلبســه الحســان الخــودا([1])
مـا مـرَّ يومـك أبيضًـا عنـد النـدى   إلاّ أنثـــى بـــدم العـــدا خنديـــدا([2])
أحســـبته بأبيـــك وجــــه خريـــدة   فكســـوت أبـــيض خـــدها التوريـــدا
أنَّى يشـــقُّ غبـــار شـــأوك مـــعشر   كنت الوجـود لهـم وكنـت الجـودا([3])

....

ثم يصور الشاعر مبيت الإمام علي _عليه السلام في فراش الرسول (صلى اللـه عليه وسلم) ليلة هجرته من مكة إلى المدينة، وهو مثلوج الفؤاد راسخ الجنان غـير آبـه بما يكيده المشركون:

ومواقـــف لـــك دون أحمـــد جـــاوزت   بمقامـــك التعريـــف والتحديـــدا
فعـلى الفــراش مبيـــت ليلـــك والعـــدا   تهـــدى إليـــك بوارقـــاً ورعـــوداً
فرقـــدت مثلـــوج الفـــؤاد كأنمـــا   يهـدي القـــراع لســـمعك التغريـــدا
فكفيـــت ليلتـــه وكنـــت معرِّضـــاً   بـــالنفس لا فشـــلاً ولا رعديـــدا
واستصـــبحوا فـــرأوا دويـــن مـــرادهم   جـــبلاً أشـــمَّ وفارســـاً صـــنديدا([4])

....

ثم يتطرق إلى موقعة بدر التي قتل فيها عـدداً مـن مشركي مكـة، حيـنما كـان يشد عليهم كالليث الهزبر، وجولاته وصولاته في حروب الأحزاب وخيبر وحنـين وفي كـل مشهد من هذه المشاهد كان هو البطل المغوار والفارس الصـنديد الـذي لا يلـوي عـلى أحد إلاّ ألحق به الهزيمة، وولى جمعه الدبر:

---

(1)الخود = المرأة الشابة.
(2)خنديداً = سخيًّا.
(3)ديوان هاشم الكعبي، ص 52.
(4)ديوان هاشم الكعبي، ص 53-54.

وغـــداة بـــدر وهـــي أمٌّ وقـــائع كـبرت ومـــا زالــت لهــن ولـــودا
قـــابلتهنَّ فلـــم تـــدع لعقودهـــا نظـــماً ولا لنظـــامهنَّ عقيـــدا
ســـجدت رؤوســـهم لـــديك وإنمـــا كـان الـذي ضربـت عليـه سـجودا
فشـددت كالليـث الهزبـر فلـم تـدع ركنـــاً لجـــيش ضـــلالةٍ مشـــدودا
وكشـفتهم عـــن وجـــه أبـيض ماجـــد لم يعـــرف الإدبـــار والتعريـــدا
وعشـــية الأحـــزاب لمـــا أقبلـــت كالســيل مفعمـــة تقـــود القـــودا
عـدلت عـــن الـنهج القـويم وأقبلـت خلـــف الضـــلال كتائبـــاً وجنـــودا
فأبحـــت حرمتهـــا وعـــدت بكبشـــها في القـــاع تطعمـــه الســـباع حنيـــدا
وبنـــي قريظـــة والنضـــير وســـلعم والـــواديين وخـــثعم وزبيـــدا
وعـــلى حنـــين أيـــن يـــذهب جاحـــد لمـــا ثبـــت بـــه وراح شريـــدا
ولخيـــبر خـــبر يصـــمّ حديثـــه سـمع العـدوى ويفجـر الجلمـودا([1])

....

ومـن الشـعراء الـذين مـدحوا أهـل البيـت السـيد عـدنان بـن شـبر الغريفـي المحمري، ومن قصيدة له في مدح الإمام علي _عليه السلام:

إمـــام الهـــدى وغيـــاث النـــدى وحاكمهـــا الســـيد المقســـط
إمـــام بـــه هلـــك المبغضـــون وفي حبـــه هلـــك المفـــرط
كـــلا الجـــانبن عـــدوٌّ لـــه وشـــيعته الـــنمط الأوســـط([2])

2 -مديح الحكام الأمراء:

تنــاول فيــه شــعراء الإقلــيم الثنــاء والإطــراء عــلى نســب الحــاكم أو

(1)المصدر السابق، 54، 55-56، 57.
(2)شعراء الغري 206/6.

الأمير وسيرته الذاتية وسجاياه الاجتماعية وسياسته في الحكم، ومعالجـة شـؤون الدولـة والمجتمع، وحروبه وغزواته، والمعارك التي خاضها في داخـل الإقليـم أو خارجـه، وتـذكر هذه الأمور مجتمعة في قصيدة واحدة أو في قصائد عدة، ومن الشعراء المبرزين في هذا الفن عبد علي بن رحمة الحويزي الـذي اخـتص بمـدح آل أفراسـياب، والشـاعر شـهاب الدين الموسوي الذي اختص بمدح آل المشعشع، وكان مكثراً في شعر المديح.

فإن كان الممدوح علويًّا فهو نجل الكرام الغرّ الميامين محمد وآله، ويكفيه هذا فخراً عما سواه، فقد سما وساد أجداده على العرب الأوائل والأواخـر، ومـن ذلـك قـول شهاب الدين الموسوي يمدح السلطان منصور المشعشعي:

مــن القــوم الــذين ســموا وســادوا   عـــــلى العـــــرب الأواخـــــر والأوال

ملـــــوك كالملائـــــك في التلاقـــــي   عفاريـــــت جيـــــادهم الســـــعالي([1])

....

فالحاكم العلوي المشعشعي تحدر من الأصلاب الزكيـة وخلاصـة أبنـاء الكـرام فقد حكم البلاد للفضل الذي ورثه عن الرسـول (صـلى اللـه عليـه وسـلم) وعـن عـلي _عليه السلام ورث الشجاعة والحكمة والتعقل والعلم، من تلك السـدرة الباسـقة التـي جذرها الرسول (صلى اللـه عليه وسلم)، وفروعها أهـل بيتـه، ومـن ذلـك قـول شـهاب الدين الموسوي في مدح علي بن خلف المشعشعي:

فهــو ابــن مــن ســاد الأنــام بفضــله   خلـــف الكـــرام الغـــر مـــن أبنائـــه

مـــن آل حيـــدرة الأُلى ورثـــوا العـــلا   مـــن هاشـــم والضرب في هيجائـــه

آل الرســـــول ورهطـــــه أســـــباطه   أرحامـــه الأدنـــون أهـــل عبائـــه

---

(1)ديوان شهاب الدين الموسوي، 43.

نسـب إذا مـا خـط خلـت مـداده		مـاء الحيـاة يفـيض في ظلمائـه([1])

....

وله في مدح السيد حيدر بن علي المشعشعي:

خلاصـــة أبنـــاء الكـــرام مطهـــراً		خلاصـــة أبنـــاء الكـــرام مطهـــراً

ســـلالة آبـــاء مظهـــرة غـــرٍّ		حليف الندى والبأس والحلم والنُّهى

حليـف النـدى والبـأس والحلـم والنُّهـى		أخو العدل والإحسان والعفـو والـبرِّ([2])

....

وإن كان الممدوح غير علويٍّ، فهو من العرب الفرسـان الـذين أذابـوا الراسـيات بعزمهم، وتقدموا على الدنيا كلها بمكرماتهم، ليوث في النـزال، بحـار زواخـر في العطـاء، يسوسون الناس بالحنكة والدهاء، يترفعون عـن الـذلّ، ويجاهـدون العـدوان، محـاطون بالأنفة والكبرياء، ومن ذلك قول ابن رحمة الحويزي:

شـوسٌ غطـاريف صـيد لـو يـروم بهـم		نسـف الشـوامخ لم يشـكل ولم ينـبِ

مــن كــل أروع قــد نيطــت حمائلــه		في جيـد وردٍ إلى الهيجـاء منتسـبِ([3])

....

وله أيضاً في مدح علي باشا أفراسياب:

وهزبـــــر يصــــــدم المـــــوت إذا		مــا تنــادت أســد الحــرب الصــداما

ربَّ ســـيبٍ فـــاض مـــن أنملـــه		فكفـــى رزق أيـــامى ويتامـــا

وعنيــــــد كسرت صــــــوبته		وحـــمام قـــد أذاقتـــه حمامـــا

ومكـــر كســـفت شـــمس الضـــحى		فيــه وانصــاع ســنا الأفــق ظلامــا

---

(1)المصدر السابق، 65.

(2)المصدر السابق، 132.

(3)تاريخ الإمارة الأفراسيابية، 38.

طلعـــت فيـــه نجـــوم مـــن ظبـــا وتـــردَّت عـــوض الليـــل قتامـــا

موقـــف لا يـــبصر الطـــرف بـــه إن رنـــا إلاّ حســـاماً أو همامـــا

أنعـــل الخيـــل بأجســـاد العـــدا بعـد مـا تـوَّج السُّـمَر(1) اللــهاما(2)

....

وقال شهاب الدين الموسويّ يمدح حسين باشا أفراسياب:

قريـب مـن المعـروف تـدعوه شـيمة بهـــا عرفـــت آبـــاؤه وجـــدودُ

سـحاب بـه تحمـى النفـوس إذا همـى وينبـــت في روض الحديـــد جلـــود

هـــمام إذا لاقـــى العـــدا وهـــو وحـــده يصـيد أسـود الجـيش وهـو عديـد

من الطعن يحمي العرض عن جنة الندى وللـــمال في ســـيف النـــوال يبيـــد(3)

....

وتناول الشاعر الأحوازي سيرة الحاكم الذاتية وصفاته وحسـن أياديـه وعلاقتـه بالمجتمع وعلمه وثقافته، من ذلك قول شهاب الدين الموسوي في مدح السلطان منصور بن عبد المطلب المشعشعي.

رفيـــع يعـــلا إلى هـــام الثريـــا يرقـــى بســـلالم الهمـــم العـــوالي

مـــوقي العـــرض في ســـنن الســـجايا مبيـــد المـــال في ســـبق النـــوال

شـــجاع فيـــه تتســـع المنايـــا إذا مـــا كـــرَّ في ضـــيق المجـــال

هـــو العـــدل الـــذي بالوصـــف يعنـــو لـــه العلـــم المعـــرَّف بـــالجلال(4)

....

ويقول في كرم السلطان بركة بن منصور المشعشعي:

جـــواد كـــل عضـــو منـــه غيـــث يجـــود وكـــل جارحـــة لهـــام

---

(1)اللــهام = جمع لهوم، الجيش العظيم (القاموس) (لهم).

(2)سلافة العصر، 549.

(3)ديوان شهاب الدين الموسوي، 198.

(4)المصدر السابق، 42.

أخـو المعـروف نجـل المجـد حـرٌّ   نمتـه السـادة العُـزُّ العظـام
يفـوق المـزن إن هـي سـاجلته   وينفنـي اليمَّ مـورده الجـمام
كـريم في أنامـل راحتيـه   حسـاة الخلـق والمـوت الـزؤام[1]

وقال ابن رحمة الحويزي يثني على سيرة الأمير علي أفراسياب:

ربَّ وفـرٍ منهـا يصـيب فتـى الــ   مجـد عـلى العـرش مـرآة السراة
فهـو في سرِّه المنـزه سرى   ولـئن لم يهـم بجـوز الفـلاة
حـاد عـن مـذهب التقشـف وانحـاز   إلى مـذهب الحـماة الكـماة
وتـردَّى بـرد البـواطن والأصـل   خلـوص الأعـمال بالنيـات
فهـو في السِّرِّ خـادم الفقـر عـاف   وهو في الجهـر ضيغم الملـك عـات
ولـه في مراتـب الفضـل ذهـن   هـو مفتـاح مقفـل المشـكلات[2]

....

وقـال شـاهب الـدين الموسـوي يصـف علـم وثقافـة الأمـير عـلي بـن خلـف المشعشعي:

جـواد في ميـادين العطايـا   ومضـمار الفصـاحة لا يجـارى
فصـيح نطقـه نظـماً ونـثراً   يرصِّـع لفظُـه الـدرر الكبـارا
تـود مـداده الأيـام تمسي   بأعينهـا إذا كتـب احـورارا
فكـم مـن خطـه مـن بنـت فكـر   لهـا نسـجت محـابره خـمارا
ذكـاء مـن سـناها كـاد يحـكي   ظـلام مـداده الشـفق احمـرارا
لـه القلـم الـذي في كـل سـطر   تـرى في خطـه فكـلاً مـدارا[3]

....

(1)المصدر السابق، 46.

(2)نفحة الريحانة 145/3.

(3)ديوان شهاب الدين، 176-177.

وله فيه أيضاً:

فطـــنٌ لـــه ذهـــنٌ إذا حققتـــه ... أبصرت نـــور اللـــه في مشـــكاته
لله كـــم في علمـــه مـــن درّة ... مخزونـــة كمنـــت بلـــجٍّ فراتـــه
لـــو أن أصـــداف الـــلآلي أوتيـــت ... ســـمعا عليًّـــا آثـــرت كلماتـــه
أو للنجـــوم يبـــاع حســـن بيانـــه ... أعطـــت دراريهـــا بـــدور بناتـــه
يـــوحي الكـــلام إلى جـــماد يراعـــه ... سرًّا فيفصـــح عـــن بـــديع لغاتـــه
فالـــدر يـــدري أن أكـــرم رهطـــه الـــ ... منثـــور والمنظـــوم مـــن لفظاتـــه([1])

....

وله يمدح ثقافة حسين باشا أفراسياب:

تكهـــل في علـــم العـــلا وهـــو يـــافع ... وجـــاز بلـــوغ الحلـــم وهـــو وليـــد
وأفصـــح عـــن فصـــل الخطـــاب بمنطـــق ... لديـــــه لبيـــــد ضـــــارع وبليـــــد
لـــــه بصر يرنـــــو بـــــه عـــــن بصـــيرةٍ ... يجـــوز حـــدود الغيـــب وهـــو حديـــد([2])

....

أما سياسية الحاكم أو الأمير، فقـد تناولهـا شـعراء الإقلـيم، ودونـوا في شـعرهم صفات الحاكم العادل الذي يقضي بأحكام الشريعة، ويصون الدين ويحمي الذمار ومن ذلك قول شهاب الدين في مدح الأمير بركة ابن منصور المشعشعي:

قـــاضٍ بأحكـــام الشريعـــة عـــالمٌ ... بقواعـــد الإرشـــاد والتبيـــين
عـــدل تحكـــم في الـــبلاد فقـــام في ... مفـــروض ديـــن اللـــه والمســـنون([3])

....

(1)المصدر السابق، 97.

(2)المصدر السابق، 199.

(3)المصدر السابق، 35.

وله أيضاً في علي بن خلف المشعشعي يصف أيام حكمه بأنها بيض فيقول:

وليالِيًــا بيضــاً كــأن وجوهها   مــن فوقهـا سـمت أكـفّ عطائـه

العــدل والــرأي المســدد والتقــى   والبــأس والمعــروف مــن قرنائــه

ذاتٌ مجــردة عــلى كــلِّ الــورى   صـدقت كصدق الكلِّ في أجزائـه([1])

....

ويثني الشاعر شهاب الدين على سياسة السلطان علي بن خلف الزراعية والعمرانية بقوله:

لــولا ورودك للجزيــرة مــا زهــت   وجنــات جنــات لهــا بــورود

كــلاّ ولا ســحبت عــلى ســاحاتها   أغصــان قامــات ذيــول بــرود

فارقتهــا فخشــيت بعــدك أنهــا   تضحي كما أضحت ديار ثمود

كانــت بطوفــان المهالــك فاغتــدت   لما رجعت على نجاة الجودي([2])

....

وكان كثيراً ما يخاطب الحاكم العربي المشعشعي بلفظة الملك من قبل شعراء الإقليم، وهو دليل على سعة مملكته وقوة سلطانه، ومن ذلك قول شهاب الدين يخاطب علي بن خلف:

ملــك جلالتــه كفتــه وشــأنه   عن زينة الألقاب أو حلي الكنى

ســمح إذا أثنــى النبـات عـلى الحيـا   قصد المجاز بلفظه وله عنى([3])

....

وله فيه أيضاً:

مــن الملــوك الأولى لــولا حلــومهم   تزلزل المجد واندكّت رواسيه

---

(1)شهاب الدين، 64، 65.

(2)المصدر السابق، 110.

(3)المصدر السابق، 76.

الحيــدري الــذي دان الزمــان لــه حتى استكان وخافته دواهيـه([1])

....

وفطن شعراء الإقليم إلى نشاطات الحكام العسكرية فمدحوا قيادتهم للجيش وبطـولتهم وشـجاعتهم في مواجهـة منـاورات الأعـداء، وصـبرهم وجلـدهم في معالجـة الخارجين بالرأي السديد والحكمة والـتروّي، ومعاملـة الأسرى بالحسـنى، ووصـفوا عـدة الجيش ونوع السلاح، وبسالة المقاتلين، وبطشـهم بالخصـم، وإلحـاق الهزيمـة بصـفوفه، ونقلوا صور البطولة من جو المعارك التي يتحلى بها المقاتـل العـربي في سـاحات النـزال. من ذلك قول ابن رحمة الحويزي يصف شجاعة الأمير راشد:

هــمامٌ رَسَــتْ للمجـد في جنـب عزمـه	جبــال جبــال الأرض في جنبهــا ســهلُ
وليـــث هيـــاج مـــا عـــرين جفونـــه	مــن الكحــل إلاّ والعجــاج لهــا كحــل
يقـوم مقـام الجـيش إن غـاب جيشـه	ويخلـف حـد النصـل أن غمـد النصـل
زكـــــت شرفـــــاً أعراقـــــه وفروعـــــه	وطابــت لنــا منــه الفضــائل والفعــل
إذا لم يكـــن فعـــل الكـــريم كأصـــله	كريمــاً فــما تغنــي المناســب والأصــل
مـــن النَّفَـــر الغُـــرِّ الـــذين تحـــالفوا	مــدى الــدهر لا يــأتي ديــارهم البخــل
كــــرام إذا رامــــو فطــــام وليــــدهم	عن الثدي حطوا البخل فانفطم البخـلُ
ليـــوث إذا صـــالوا غيـــوث إذا همـــوا	بحـــور إذا جـــادوا ســـيوف إذا ســـلُّوا
وإن خطبـــوا مجـــداً فـــإنَّ ســـيوفهم	مهـــور وأطـــراف القنـــا لهـــم رســـل
إذا قفلـــوا تنـــأى العـــلى حيـــثما نـــأوا	وإن نزلـوا حـلَّ النـدى أيـنما حلُّـوا([2])

....

وله أيضاً يصف شجاعة علي أفراسياب:

(1)المصدر السابق، 81.

(2)نفحة الريحانة 153، وخلاصة الأثر، 430.

أســـد في ملاحـــم الحـــرب غيـــث ... في النـــدى خضرم بعلـــم اللُّغـــات

كفُّـــه مقلـــة العـــدو فـــلا ينفـــك ... كـــل عـــن شـــيمه المرســـلات

وكـــذا خليـــه وأفئـــدة الأعـــداء ... ســـيان في وَحَـــى[1]العاديـــات

وكـــذا مالـــه وأرواح مـــن عـــاداه ... في كـــــونهن في النازعـــــات

وهمامـــاً تعـــوَّد الحلـــم والجـــور ... وهاتـــان أكـــرم العـــادات[2]

....

وقال شهاب الـدين الموسـوي في معركـة خاضـها الأمـير عـلي بـن خلـف ضـد الخارجين عليه من القبائل:

أخـو همـم يسـتغرق الـدرع جسـمه ... ومـن عجـب أن يغـرق البحـر بـالكرِّ

تكـاد الرمـاح السـمر وهـي ذوابـل ... براحتـــه تهتـــز بـــالورق الـــخضر

فكـم مـن بيـوت قـد رماهـا بخطبـة ... فأضحت ومنها النظم كالخطب النـثر

فَلِلَّـه يـوم الكـرخ موقفـه ضـحى ... وقد سالت الأعـراب بالجحفـل المجـر

أتـــوه يمـــدون الرقـــاب تطـــاولاً ... فأضـحوا ومـنهم ذلـك المـد للجـزر

رمـــوه بحـــرب كلـــما قـــام ســـاقها ... ركضن المنايا في القلوب من الـذعر[3]

....

ثم يتحدث عن شجاعة الأمير وصلابة جيشه ومعالجتهم لخصومهم والخسـائر التي ألحقوها بهم فيقول:

ســـطوا وســـطا كالليـــث يقـــدم ... يـرون عـوان الحـرب في صـورة البكـر

فرسـان مـوت يقـدمون إلى الـوغى ... إذا جمحـت أسـد النـزال عـن الكـر

---

(1)وحى = الوحى: العجلة والإسراع (القاموس) (وحي).

(2)سلافة العصر، ص 551.

(3)ديوان شهاب الدين، ص 52.

وخــيلاً لهــا ســوق النعــام كأنهــا　　تطــير إذا هبــت بأجنحــة الكــدري
فــزوج ذكــران الظبــى في نفوســهم　　وانقــدهم ضرب الحديــد عــن المهــر
وأضـحت وحـوش الـبرّ مـما أراقـه　　مــن الــدم كالحيتــان في لجــة البحــر
بنــى بيعًــا مــن هــامهم وصــوامعاً　　تبــوّأ منهــا مســجداً راهــب الــنسر
لقـــوه كأمثـــال البـــزاة جوارحـــاً　　وولــوا كــما تمضي البــزاة عــن الصــقر
فمن واقـع في الأرض في شـبك الـردى　　ومـــن طـــائر عنـــه بأجنحـــة الغـــرِّ
وأنَّى لهـــم جنـــد تلاقـــي جنـــوده　　وأين رماح الخطِّ من خشب السِّدْرِ([1])

....

وقال فرج اللـه الشوشتري (التستري) في شجاعة والد ابن معصوم صاحب السلافة:

إمــام لــدى الهيجــا لــدى الحجــى　　مشـــير مجـــير هـــازم للكتائـــبِ
مصيب بضرب السيف والطعن بالقنا　　قـــويٌّ قـــديرٌ عـــارفٌ بالمضـــاربِ
شـــجاع كمـــيٌّ لـــوذعيٌّ غشمشـــمٌ　　يد السيف ظهر الرمح قلب المواكبِ([2])

....

3 -المديح العام:

إلى جانب المديح الديني ومديح الحكام وجدت أنواعاً أخرى من المـديح، يمكـن أن يطلق عليها المديح العام، وهذا النوع مـن المـديح عـادة يحصـل بـين الولـد والوالـد إذا كـان أحدهما شاعراً، أو بين شاعر وشاعر، أو بين شاعر وعالم أو بين شاعر وأصـدقائه ومهـما كانـت الجهة التي يوجه إليها مديح الشاعر، فإنه تحميد للفضائل وتكريم للشمائل النبيلة التي تهـز

---

(1)المصدر السابق، 53.

(2)سلافة العصر، 496.

عوطف الشاعر وتأخذ بلبِّه فيثني عليها بما تجود به قريحته، وقد يكون صادقاً في تعبيره أو متصنعاً تبعاً لنوع العلاقة وقوة التأثير بين المادح والممدوح. والأمثلة كثيرة في هذا الباب لشعراء الإقليم أذكر منها قول فرج الله الشوشتري (التستري) يمدح والد صاحب السلافة (ابن معصوم):

الأحمد المحمود كل فعاله	ما شاءه وقضى به فقضاء
وما للعقول فوق ساحة وصفه	قد ضلت الأفهام والآراء
فله يد وله أنامل فعلها	الإنعام والإحسان والإعطاء
لا كالبحار تظل تجمع ماءها	بل كالجبال يسيل عنها الماء
دار المعاني والبحار كليهما	يوم العطاء لدى يديه هباء([1])

....

لم يتمالك الشاعر نفسه أمام هيبة ممدوحه ومكانته العلمية حتى وقف يمجد الخصائل السامية التي تصاغرت لجلالة صاحبها الكبراء فيقول:

أنت العليُّ ومن سواك أسافل	أنت الإمام وما وراك وراء
فعليك إلقاء الكلام على النهى	وعلى العقول السمع والإصغاء
يا أيها الشهم المؤمَّل بابُه	يا من له الأحكام كيف يشاء
كنا نضاء بكل ضوء فاختفت	لما بدوت لضوئك الأضواء([2])

....

وله فيه أيضاً قصيدة أخرى عده فيها قمة في الدين والدنيا والعلم والرأي الحكيم مناقبه نادرة، ومركزه عزيز لما يمتلكه من مواهب العلم والقيادة والشجاعة والكرم ومعالجة أمور الناس وحل معضلاتهم وغيرها

---

(1)سلافة العصر، 493.

(2)المصدر السابق، 494.

من الصفات الرفيعة، منها:

نظـام الـورى دينـاً ودنيـا وحشـمة   وعلـماً ورأيـاً مرغبـاً للنواصـب
مناقبـــه بـــين المناقـــب مثلـــه   ومثل اسمه فخر الكنـى والمناقـب
تراحمـــت الآمـــال طـــرًّا ببابـــه   فـما النـاس إلاّ بـين جـاء وذاهـب
بصـــير بـــأعماق الأمـــور مجـــرب   كأن جرب الدنيا بكل التجـارب[1]

....

ومن ذلك قول الشاعر عـدنان بـن شـبر الغريفـي المحمـري في الفقيـه الشـيخ خلف آل عصفور أحد علماء المحمرة:

مـا عنـد قلبـك يـوم البـينِ إذ صـدفوا   عنه وما كفكفوا العـين التـي طرفـوا
أتبعــــتهم مقــــل حــــرًّا مولهــــةً   تجاذب الدمع فيها الشوق والشرف
وقـد سـبرتُ جميـع النـاس ممتحنـاً   أمــورهم فــإذا حبــي لهــم سرف
وقـد تخـيرتُ مـنهم واحـداً جمعـت   فيــه مــآثر آبــاء لــه ســلفوا
لأظلــم الكــون لــولا أنــه قمــر   وماتـت النـاس لـولا أنـه (خلـف)
الأســـمر اللـــون لا تنـــأد صـــعدته   والرمح يـأطر مـن طعـن وينقصـف
العـــارض الهطـــل الهتـــان صـــيبه   والسـحب تهطـل أحيانـاً وتنكشـف
بـــدر الكـــمال مـــدى الأيـــام منبلجًـــا   والبـــدر يمحـــق أحيانـــاً وينخســـف
ويـــا مـــزين (عبـــادان) لي فلكـــاً   ذكرتهـا وقـد اسـتهوتني النجـف[2]

....

وله قصيدة أخرى في مدح الشيخ حمزة قفطان منها:

يـــا حمـــزة إنـــك بـــالكلام مســـدَّدٌ   فطـنٌ لـداعي القـوم غـير فهيـه

---

(1)المصدر السابق، 396.

(2)شعراء الغري 207/6، 208.

قـد نوهـت بـك مدحـة، مـن سـيد عـــار عـــن الإطـــراء والتنويـــه
طلـــق المحيـــا باســـم في موقـــف يرمـــي وجـــوه الصـــيد بالتشريـــه
توجيـــــه عـــــلام ورأي مجـــــرب وخطـاب مقتـدر وحكـم فقيـه([1])

....

ومن مديح الولد للوالد قصيدة علي بن خلف يمدح والده الأمير خلف بن عبد المطلب التي استهلها بذكر الديار وفراق الأحبة ثم الفخـر بنسـبه العريـق الـذي يتصـل بأهل البيت، ثم يتناول شخص الممدوح وهو والده فيعدد سجاياه ومحاسنه وفضـله في العلم والكرم ورعايته للأقارب وشجاعته في الحب. منها:

تحمَّـــل أعبـــاء الخطـــوب وإنهـــا تميـد لهـا صـم الشـداد الشـواهقِ
وإن احتمال الخطـب في كـل حـادث طرائـــق آبـــائي الأُلَي وطرائقـــي
فما عـذر مـن عـادت جـراثيم أصـله إلى كـاظم للغـيظ مـن بعـد صـادق
وهــذا أبي الـداني الـذي سـار ذكـره مســير ذكـــا في غربهـــا والمشـــارق
أجـلُّ بنـي الـدنيا وأعـلى ذوي العـلى أقـــرَّ لـــه بالفضـــل كـــل الخلائـــق
إذا جـــاد عـــمَّ الأبعـــدين بســـيبه ونـال العـدا بالنيـل بعـد الأصـادق
وإن صـال يـوم الـروع كـان حسـامه يمـــزق أشـــلاء الكـــماة بمـــازق
يـرى أن طـول السـلم جهـد مـنغص وراحتـــه أن يمتطـــي ظهـــر ســـابق
وأن سروج الســـــابحات بغـــــارة ألـــذ جلوســـاً مـــن وطـــيِّ الـــنمارق
وإن قـال كـان الحـق مضـمون قولـه ولـــو زاره قـــسٌّ غـــدا غـــير نـــاطق([2])

....

(1)المصدر السابق 222/6.

(2)ديوان علي بن خلف، ورقة 8.

ومن قصيدة للشيخ موسى بن حسن الفلاحي يمدح بها والده:

فـما كعـبُ بـنُ مامـةَ وابـنَ سـعدى بـأكرمَ منـه في الـزمن الشـديدِ
مـن البـيض الوجـوه بنـي عـليٍّ أولي المجـد الطريـف مـع التليـدِ
هـم حلُّـواً مـن الشرف المعـلَّى ومـن حسـب العشـيرة والنجـودِ
إذا مـا رايـة رفعـت لمجـد تلقَّوْهـا وهـم حلـف المهـودِ([1])

....

ومن شعره قصيدة يمدح بها العالم الواعظ الشيخ جعفر التستري:

لأهـل الـدنا يـوم الجـدا حـاتم النـدى وفي العلـم في تبيانـه علـم الهـدى
فـدم للـدجى يثنـي عليـك ظلامـه تقـوم بـه لله مثنـى وموحـدا
ولليـوم تقضـيه بشـيراً ومنـذراً وتحيـي كعـيسى ميـت القلـب بالهـدى
وتـدعو إلى نهـج الهدايـة مرشـدا وتـبرىء الأعمـى ومـن كـان مقعـدا
وقمـت بإحيـاء الشرائـع جاهـداً فأضـحى دروس العلـم منـك مجـددا
فلـولاك لم يسـق الـبلاد غمامهـا ولا أنبـت الوسـميُّ ربعـاً ومعهـدا
فلا زلت زين الـدين للـدين قـرة صـدا ([2]) وللعلـم والأفضـال صرحـاً مشـيَّدا

....

- الفخر والحماسة:

هذا الفـن عريـق في الشـعر العـربي، وجـد فيـه منـذ الـعصر الجـاهلي ، ثم تطور واتسع تبعاً للتطور الحضاري والاجتماعي والسـياسي والثقـافي الـذي

---

(1)معارف الرجال 43/3.
(2)معارف الرجال 42/2.

رافق حياة العرب في عصر صدر الإسلام والعصور التي تلته.

وكانت الحرب بتقاليدها وأدواتها أوسع الميادين التي ينتزع منها هذا الفن أفكاره، فقد افتخر الشاعر الجاهلي بالشجاعة والفروسية ومقارعة الأعداء والقدرة على التصرف بآلة الحرب، والإطاحة بالأبطال، والحصول على الغنائم وتغنى بالمثل العربية، كالمروءة والآباء، والجرأة والإقدام، والبذل والعطاء، والمآثر القبلية، وتعدد الوقائع والأيام، وذكر الأمجاد، وخاطب السيف والرمح والفرس والناقة والرعد والبرق، وكل ما يدل على الجلد والصبر والقوة والصمود، وفيه معنى الأنفة والكبرياء.

وفي عصر صدر الإسلام انفتح الشاعر العربي على الفكر الجديد وتعصب للإسلام وتحمس للدفاع عن مثله، كالجهاد والشهادة والتضحية في سبيل عقيدة التوحيد، وعناصر الإيمان الأخرى التي جاء بها الإسلام وقبلها العرب.

وفي العصور التالية، حصل تحول عظيم في ذهنية الشاعر العربي، وتغيرت نظرته إلى الحياة، وأصبح ولاؤه للأمة العربية التي حملت راية الإسلام إلى البشرية، فانتقل من الفخر الذاتي والحماسي القبلي إلى روح وقيم الإسلام التي لا تتناقض مع مكارم الأخلاق العربية الأصيلة، ولكنها أفرغت من محتواها القبلي والفردي لتصبح مبادىء للأمة العربية جمعاء.

ومن المؤكد أن العرب استمروا في خوض صراع ضد أعدائهم ابتداء بعصر التحرير والفتوح والعصور التي تلته محافظين على كرامتهم ووجودهم والرسالة الإنسانية التي حملوها إلى شعوب الأرض.

وقد برع الشاعر العربي وأجاد في تناول عناصر البطولة في تلك المعارك فأحسن وصفها وحلق في إبرازها. ولا يمكن تجاهل ما أفرزته الحضارة العربية الإسلامية من أفكار ومثل جديدة صار الانتماء إليها والتعلق بها مبعث فخر واعتزاز تثير حماسة الشاعر وتهز عواطفه الملتهبة.

لقد استوعب الشاعر الأحوازي التجارب الشعرية السابقة لعصره فكان على صلة متينة بهذا الموروث الثقافي العريق، وعلى اطلاع عميق بالمكونات الأساسية لكلِّ فن من الفنون الشعرية، التي بينها شعر الفخر والحماسة. ومما ساعده على إنضاج هذه الخميرة الثقافية بيئة الشاعر الأحوازي والتي كانت تعج بالحركة والنشاط الحضاري، واشتداد الصراع بين أهل الإقليم وأعدائهم في تلك الحقبة.

لقد كان شعب الأحواز العربي يتطلع بتصميم وثقة نحو المستقبل لبناء مجده القومي الزاهر على فترة من الضياع والتأخر والاستعباد الاجنبي، فأقام كيانه وسط صراعات دولية خارجية، ونزاعات قبلية محلية، ثم توجه نحو البناء الحضاري، وفي غمرة هذه التوجهات الإنسانية السليمة نحو الازدهار والتطور، وفي بداية القرن السادس عشر الميلادي برزت قوتان سياسيتان كبيرتان على حدود الإقليم الشرقية والغربية وكل منهما تريد بسط نفوذها والاستيلاء على شعب وأرض الإقليم بالقوة، هاتان القوتان هما الدولة الصفوية الفارسية على حدود الإقليم الشرقية، والدولة العثمانية - التي بسطت نفوذها على العراق - على حدوده من الغرب.

وقد اتخذ التدخل الأجنبي في شؤون الإقليم أشكالاً عديدة، يأتي في مقدمتها الغزو العسكري، والاستيلاء على الأراضي بالقوة أو اختلاق الفتن القبلية والطائفية، أو تغيير الأمراء والحكام، أو دفع الأتاوات. إن هذا الصراع بين أهل الأحواز والقوى الأجنبية خلف أثراً كبيراً في نفوس شعراء الإقليم، انعكس ذلك في نتاجاتهم الشعرية، فصوروا الحرب وأهوالها ومستلزماتها وثبات المقاتل العربي وحرصه على الاستبسال دفاعاً عن الشرف العربي والعزة القومية، وكشف لنا الشاعر الأحوازي الحالة النفسية العالية التي يحملها الفارس العربي في سُوح الوغى بثباته وحسن استخدامه لسلاحه، وترفعه عن الدنايا وتعامله مع الأسرى بالحسنى، وزهده بالغنائم، وشغفه بالمثل العربية السامية.

لقد افتخر الأحوازي بكل ما يصح الافتخار به من المآثر الرفيعة والخصال السامية التي وجدها من صميم تقاليد وقيم مجتمعه الذي عاش فيه. افتخر بنفسه وآبائه ومآثر قومه بالكرم والبذل والشجاعة والوفاء وإقراء الضيف والحلم والعقل والعفو عند المقدرة، وصيانة حق الجار- والعرض والأمانة والصلابة في الحق، وعراقة النسب وطهارة المنبت، وحسن الخلق.

وافتخر بالعلم والثقافة والتأليف واقتناء الكتب، وجودة الشعر والإنشاء وعبر في حماسته عن الشموخ العربي في أعز أيامه، وتغنى بالبطولات العربية على مر العصور والحقب، فأنتج شعراً يحمل معاني الصرامة والبأس والكبرياء والبسالة والبطش والعنف بألفاظ فخمة بليغة، ومعانٍ عميقة، أو أسلوب رصين متماسك.

جاء شعر الحماسة والفخر الأحوازي قصائد خاصة بهذا الفن، أو أبياتاً متناثرة في شعر المديح أو الرثاء أو الغزل أو الشكوى.

ومن أشهر الذين تفوقوا في هذا الفن الشاعر والأديب علي بن خلف ابن مطلب المشعشعي ملك الأحواز وقائد فرسانها، الذي تولى حكم الدولة المشعشعية من عام 1060-1088هـ([1]).

وقد شغل شعر الحماسة معظم ديوانه، ومما قاله يفتخر بنفسه وقومه داليَّته التي تحدث فيها عن قوة عزمه وشدة تصميمه على بلوغ الأهداف، وابتدأها بمخاطبة الإبل، رمزاً للدلالة على جلده وصبره في تجشم الصعاب، فقد عود هذه الإبل على أطيب المراعي وأعذب المياه التي لم يطأها أحد قبله، وكانت تمتنع عن تناول ما يصادفها من عشب أو ماء في أثناء المسير على الرغم من شدة احتياجها إليه حتى تبلغ قائدها إلى المحل

(1)سلافة العصر 445، وأعيان الشيعة 238/41، وتاريخ المشعشعين، 133.

الذي يريده، وقد التصق على ظهورها رجاله الذين توسدوا القتب وقد أضرَّ بهم طول السفر يحسبهم الناظر سكارى فقال:

وفيت لعيسى بالذي كنت واعداً إذا أنا جشمت المطي الفدافدا
إذا ما رحلت العيس تحسب أنني أروم لها شعب السماء مواردا
جعلت لها عزمي عن الذل ذائداً يصد عن المرعى الحسيس وقائدا
تحيد عن الماء النمير كأنما ترى دونه من أسد خفان ذائدا
وتعزب عن غض الخزامى وقد ترى عليها من الجوع المبرِّح شاهدا
أبى أصلها أن لا تمرَّ بمرتعٍ ولا مشربٍ ما لم تنلني المقاصدا
أضرَّ بها طول السُّرَى وبركبها ترى راكعاً منها ومنهم ساجدا
تخالهم كالشرب من خمرة السُّرَى وقد جعلوا قتب المطيِّ مساندا([1])

....

ثم ينبري ليؤكد إرادته الصلبة فهو لا يبالي حتى لو بقي وحده في هذا الطريق، فحسبه من الخلان رمحه ولأمة حربه، فنعم الرفيق والمواسي، إذ كثير ما يتنصل الأصحاب حينما يرونه ينهج نحو العلى:

وحسبي بها والأعوجي مساعداً إذا لم أجد لي في الرفاق مساعدا
أقلِّب طرفي لا أرى غير صاحب إذا سرت في نهج العلى شط حائدا
إذا لم أجد في الأرض خلًّا مواخياً علوت فنادمت السها والفراقدا([2])

....

ثم يبعث صرخة يدعو فيها قومه للالتفاف حوله للخروج بهم من المآسي التي يعانون منها، فهو المؤهل للقيادة، ورث المجد عن آبائه

---

(1)ديوان علي بن خلف، ورقة 6.

(2)المصدر السابق، ورقة 6.

وأجداده الحيدريين وبني المهدي الذين لم يرهبوا الكفاح أو يملوا الجلاد، لأنهم أسود فرسان، أذلوا المعاند وهرموا المكابر، عبيرهم غبار الحرب، وزهورهم رؤوس الرماح:

أما للمعالي من مغيث وذي العلى ... معين إذا ما قام كان معاضدا
يعز على العلياء أنّي خامل ... ويثني زماني للئيم الوسائدا
محلي الثريا والحضيض محلُّه قضى ... المجد ذا أن أصبح الدهر ناقدا
متى ظنَّ أن الحيدريين ترهب الـ ... كفاح وتخشى في الهياج المجالدا
وأن بني المهدي لا عدمتهم ... ظهور السبايا([1]) قد أذلوا المعاندا
إذا شد منهم فارس هزم العدا ... كذا الضأن لا تلقى من الأسد واحدا
يرون مثار النقع نشر عبيرهم ... ولدن القنا حين الكفاح الخرائد
ورنة بيض الهند عيدان أنسهم ... وداعي الوغى الشادي إذا قام ناشدا
ولولا أب ساد الأنام بحمله ... وعادتنا لا يخلف الابن والدا
لعاف احتساء الضيم مني ماجداً ... أبى العيش إن لم يضح للخلق سائدا

....

وله يفخر بنفسه وثباته رغم مكائد الزمان:

ما زلت حرباً للزمان وأهله ... ما زلت في طلب الكمال مشمرًّاً
وإذا الفتى صحب المكارم والثنا ... عاد الزمان وأهله من ذا الورى
فاشمخ بأنفك للثريّا رفعة ... ما في الثريا خير من فوق الثرى
أي المفاخر ما احتواها سؤددي ... لو رمت فخراً لم تجد لك مفخرا
وكما علمت شمائلي ومناقبي ... لو قستها بالشمس كانت أظهرا

---

(1)كذا في الأصل، واعتقد أن كلمة (المطايا) تعطي معنى أفضل من كلمة (السبايا).

فخـــر القـــريض بـــأنني لهـــجٌ بـــه وبـــه افتخـــار سراقـــة والشـــنفرى
وإذا نطقـــت فـــإن لفظـــي مخـــرس قسَّ بن ساعدة الخطيـب وعنـترا[1]

....

وله يفخر بنسبه ومكانة أسرته بين الناس وفضلهم على الآخرين:

ورثنـــا العـــلا مـــن دوحـــة علويَّـــةٍ تفرع منها البأس والفضـل والرفـد
ميـــامين يســـتهدي الأنـــام بنـــورهم بهم عرف المعروف والخير والرشد
أجـــل بنـــي الـــدنيا فكـــلُّ مســـوَّدٍ ســـيادته في أنـــه لهـــم عبـــد
وهـــذا أبي الأدنى الـــذي لـــو نظرتـــه لرفعته انحاك عن ذي الورى زهـد
لقـــد شـــاع بـــين الخـــافقين جميلـــه تظــن بــه ورقــاء أنــدلس تشــدو
وترعـــد منـــه الأســـد إن شـــدَّ خيفـــة كـأن بهـا بـرداً ولـيس بهـا بـرد[2]

....

وله أيضاً يفتخر بأبيه:

ومـــن كـــان مثـــل الموســـويِّ لـــه أب تسنَّمَ ظهر الخطب سـيراً إلى الحمـدِ
أبي خـــير مـــن يـــدعى لـــدفع ملمَّـــةٍ وجرد المذاكي في وطيس الوغى تردي
هو القاتـل الأبطـال في حومـة الـردى هو الباذل الأمـوال في السـلم للوفـد
تحمَّـــل أعبـــاء العشـــيرة قـــد غـــدوا ســواء لديــه في الطريــف وفي التلــد
يـــرى أحـــرم الأشـــياء حرمـــان ســـائل وأن يلتقـــي طالـــب الرفـــد بـــالرَّدِّ
يلاقـــي عظـــيم الهـــائلات بعزمـــه أشد على الأعداء مـن حجـرٍ صَـلْدِ[3]

....

(1)المصدر السابق، ورقة 10.
(2)المصدر السابق، ورقة 16.
(3)المصدر السابق، 12.

ومن شعراء الحماسة والفخر، شهاب الدين الموسوي، الذي تفوق في وصف المعارك الحربية التي خاضها سلاطين زمانه ضد معارضيهم فوصفها وصفاً يرقى إلى وصف فحول الشعراء للمعارك كأبي تمام وأبي فراس والمتنبي، ومن ذلك قوله يصف وصول الملك علي بن خلف إلى كرسي الحكم والذي ناله بالكفاح والجهاد ولم يمنحه له أحد، فربط مجده بمجد آبائه وأجداده الملوك الذين تولوا حكم الدولة بشجاعتهم وحنكتهم:

خطب المجد بالأسلِ العوالي	ففزت بوصل أبكار المعالي
وحاولت العلى فلذذت منها	بشهد دونه لسع النبال
وجزت إلى الثنا لجج المنايا	فخضت اليَمَّ في طلب للآلي
وقارعت الخطوب السود حتى	أرضت جوامح النُّوَب العضال
وأرعشت القنا حتى ظَنَنَّا	نفخت بهنَّ أرواح الصّلالِ[1]

....

ثم يتناول فروسيته وجدارته في القتال، وقدرته على التصرف بالسلاح فبلغ المجد وهو لم يزل شابًّا:

حويت المجد أجمعه صبيًّا	تحنُّ هوًى إلى الحرب السِّجالِ
فكم أقرحت أكبادَ الأعادى	وكم أرمدتَ أجفان النصال
وكم صبحت بالغارات حيًّا	فأصبح ميِّتَ الإطلال بالي
وأمسى والديار معطلات	من الفتيان والبيض الحوالي[2]

....

(1) ديوان شهاب الدين الموسوي، ص148.

(2)المصدر السابق، ص 148.

وبعد ذلك يعدد مواقعه وانتصاراته، والقبائل التي انتصر عليها وفرق جمعها:

وكـــم بـــالحويزة يـــوم حـــرب ... تشـــيبُ لهولـــه لِمَـــمُ اللَّيـــالي

ويـــوم مثـــل يـــوم الـــحشر فيـــه ... تميـــد الراســـياتُ مـــن الجبـــالِ

بـــــه الأعـــــلام كـــــالآرام تسري ... فتشتبه الرعـان[1] مـع الرعـال[2]

مهـــول فيـــه نـــار الحقـــد تغـــلي ... مراجلهـــــا بأفئـــــدة الرجـــــال

ولاذوا بالحصـــون فـــما اســـتفادوا ... نجـــاةً بالجـــدارِ ولا الجـــدالِ[3]

....

وله أيضاً يصـف إحـدى الوقـائع الحربيـة التـي خاضـها جـيش أفرسـياب أمـير البصرة، تناول فيها حالة الحـرب بالعـدة والعـدد وهيبـة الجـيش التـي أرعبـت الأسـود وأقلقت الصناديد منها:

يـــوم بـــه أعـــين الأعـــداءِ باكيـــةٌ ... والسـيف يبسـمُ مخضـوباً بعزَّتـهِ

والحتـف يـترع كاسـات النجيـع بـه ... والـرمح يهتـزُّ نشـواناً بخمرتـه

والـــذئب أصـــبح مسروراً ومبتهجـــاً ... واللَّيـثُ ينـدب مفجوعـاً بإخوتـه

جيش إذا سار يكسـو الجـو عثـيره[4] ... فتعثر الشمس في أذيال هبوتـه[5]

دروعـه الحـزم مـن تسـديد سَـيِّده ... وبـــيض راياتـــه آراء حكمتـــه

تـــرى بـــه كـــل مقـــداد بكـــل وَغَـــىَ ... يـــرى حصـــول الأمـــاني في منيتـــه

---

(1)الرعان = الجبال العالية.

(2)الرعال = النعام جمع رعلة. والقطيعة من الخيل كالرعيل أو مقدمتها (القاموس) رعل.

(3)ديوان شهاب الدين، ص 149.

(4)العثير= الغبار.

(5)الهبوة = الغبرة.

شهم إذا ما غــدير الدرع جلــّله   منـه تــوهمت ثعبــاناً بحيلته([1])

....

ثم يصور لنا بعض المواقف وتأثيرها على الأعداء، حواراً مع الخارجين من قبائل بني خالد فيشبههم ببني إسرائيل الذين خانوا موسى باتخاذهم العجل إلهًا:

سل الهفوف عـن الأعـراب كـم تركـوا   مــن الكنــوز وجنــات ببقعتــه
وسائل الجيش عنهم كم بهـم نسـغت   عواصف النصر طوقاً عند سـطوته
يضـيق رحـب الفضـا في عـين هـاربهم   خوفـاً وأضـيق منهـا درع حيلتـه
يــا خالــديون خنــتم عهــد ســيدكم   هلا وفيـتم وخفـتم بـأس صـولته
عارضـــتموه بســـحر مـــن تخـــيُّلكم   فكان مـوسى ويحيـى مثـل حيّتـه
أضـــلكم عـــن هـــداكم ســـامريَّكم   حتى اتخذتم إلهاً عجـل ضـلته([2])

....

ويبالغ الشاعر نفسه فيشـبه فـتح حصـن عموريـة، والأمـير حسـين أفراسـياب بالمعتصم العباسي، فيقول:

إن كــان مــن فــتح عموريــة بقيــت   ذريـــة مـــن بنيـــه أو عشـــيرته
فـــإن فتحـــك هـــذا فـــذ توأمـــه   وأن نصرك هـــذا صـــنو نخلتـــه
لـو كـان يـدري لـه في القـبر معتصـم   لقــام حيًّــا وعــادت روح غيرتــه([3])

....

ولــه أيضــاً يفتخــر بقومــه الــذين ديــدنهم عمــل الخــير باليــد واللســان،

(1)ديوان شهاب الدين، ص 202.

(2)المصدر السابق، ص 203.

(3)المصدر السابق، 303.

وسطوتهم تعلو على الفرسان الشجعان، ولا يحول بينهم وبين غاياتهم شيء مهما عظم:

وأني مــن القــوم الــذين بنــانهم وألســــنهم للســــائلين تفيــــد
نسود الأسود الضاريات وأن غـدا لنــا الظبيــات الكابســات تســود
وتضرعنا بيض الظبـا وهـي أعـين ونحطمها بالهـام وهـي حديـد(1)

....

وقال الشاعر عبد علي بن رحمة الحويزي يفتخر بنفسه:

شــهودي عــلى أنِّي لأذن العــلى قــرط لبــاس التقــى والعلــم والشــعر والخـطُ
فــإن قبلــت منــي الشــهادة أثبتــت مــــرادي وإلاّ فالصــــوارم والخــــط
حويت ملاك المجد من قبل أن يرى لمسك عذاري في صـفا عـارضي خـط(2)

....

ومن شعر الحماسة ما قاله فتح اللـه بـن علـوان الكعبـي في قـوة الإرادة يـرد عذاله، ويبين أن سبب نحوله وشدة حزنه، وكل ما حصل له من ألم لم يكن نتيجـة حـب عميـق أو لهـو فـارغ، لكنـه مـن معضلات الحيـاة التـي تقـف عقبـة في طريـق روحـه الطموحة التي تعودت الكبرياء والمجد بـين قـوم أعـزاء، والـروح الطموحـة لا تستسـلم للركود والاستقرار حتى تبلغ الهدف أو تموت دونه:

دعــاني أطيــل البَــثَّ قــد عظــم الأمــرَ ألا واتركــا لــومي فقــد ضرَّبي الصــبرُ
ألم تريــا جســـمي تبـــدى نحولـــه وخالطــه مـــما أقــاسي جــوًى، ضرُّ
أرى نفثــة المصــدور مــا بــين أضـلعي حواها لغـام البـثِّ فـانجرح الصـدرُ
ولا حـــزن غـــيلان وقـــيس وعـــروة عـــراني ولا مـــا قـــد أصــيبَ بـــه بشرُ

---

(1)المصدر السابق، 197.

(2)سلافة العصر، 553.

ولكـــن أفكـــاري تصـــاعد تـــارة فيبـدو لهـا لـيس ينفعهـا الفكـرُ
تـــــروم ولا كفـــــران لله إنهــــا عزيـزة أقـوام لهـا النهـي والأمـرُ
وتضـــمر عزمـــاتِ المعـــالي وكلَّـــما تصـوره الآراء متممهـا الـدهرُ([1])

....

ومن شعر الحماسة الذي ينضح بمعاني الأنفة والكبرياء، ويجسم صـور البطولـة النادرة ما تفوه به الشاعر هاشم بن حـردان الكعبـي، يصـف بهـا شـجاعة بنـي هاشـم وتسابقهم على التضحية، ومعالجتهم لخصومهم في ساحات النضال:

فـوارس مـن عليـا قـريش تسـنَّموا من المجد صعباً ظهـره لـيس يركـبُ
أتوا في العلا ما ليس يـدري فأغربـت معاني الثنا في مجدهم حيث أغربـوا
أسـود لهـا الأسـد الضراغـم مطعـمٌ ومـا سـفك البـيض الصـوارم مشربُ
ترى الطـير في آثـارهم طالـب القـرى متى ضمهم في حومة الطعن موكبُ
تـراع الـوغى مـنهم بكـلِّ شـمردل([2]) نـديماه فيهـا سـمهريٌّ([3])ومقضـبُ
بكـلِّ فتًـى للطعـن في حـرِّ وجهـه مراحٌ وللضرب المرعبـل([4])ملعـبُ([5])

....

وله يفتخر بنسبهم وطهارة شجرتهم:

في البيت من هاشم العلياء نسـبتهم والنعت من أحمد المبعوث للاسـم

---

(1)زاد المسافر، 6.

(2)السمهري = الرمح الصلب.

(3)ديوان هاشم الكعبي، ص 4.

(4)شمردل = الفتى السريع، الحسن الخلق.

(5)المرعبل = الممزق، رعبل = مزق.

قــوم إذا فخــر الأقــوام كــان لهــم	أنــف الصـفا وأعــالي البيــت والحـرم
شــمّ المراعــف ولاّجــون مــزدحم الـــ	ـــهيجاء بــالنفس فراجــون للغمــم
أهـــل الحفيظـــة لا يلقـــى جـــوارهم	يشـقى بـه الجـار حفـاظون للـذمم
أبيـــــاتهم حـــــرم للنـــــازلين بهـــــا	تؤوى المخـوف ولا يـخشى مـن العـدم
عـــف المـــآزر لا عيـــب يدنســـهم	ولا يخـــاف علـــيهم زلـــة القـــدم
تلقـــى جفـــونهم تُــغضي حيًــا وتــرى	أسماعهم عن هجين القول في صمم([1])

....

إن ما ذكرناه مـن نمـاذج شـعرية حماسـية تشـير إلى بـروز الجانـب الـذاتي، وطغيان النزعة القبلية لدى هؤلاء الشعراء، فقد افتخروا بأنفسهم وأسرهم وقبـائلهم وحكامهم وجيوشهم، وكأنهم لم يذهبوا أكثر من ذلك... إن هـذه المسـحة الذاتيـة في واقع الحال لا تغطي إلاّ قسماً من شعر الحماسة لهذا الإقليم في العصر المبحوث عنه فهناك شعر حماسي ينبض بالحس العربي ويترنم بالأمجاد القومية ويتنـاول معضـلات العرب، ويدعوهم للوحـدة والانتفـاض عـلى القـوى الأجنبيـة، ويـذكرهم بمفـاخرهم وبطولاتهم وفضلهم على الأمم الأخرى، إن مسوغات ظهـور هـذا اللـون مـن الشـعر الحماسي القومي أصبحت معروفة، ويقع في مقدمتها تعـرض حيـاة العـرب للامتهـان والضياع، وتصارع القوى الاستعمارية وتنافسها على احتلال وطنهم، فقـد أتـيح لأهـل الأحواز أن يؤسسوا حكماً عربيًّـا مسـتقلاً، لكـنهم لم يسـلموا مـن العـدوان الأجنبـي، واستجابة لهذا الواقع المؤلم الذي عـانى منـه الشـعب العـربي، وقـف شـعراء الأحـواز ينفثون شعراً قوميًّا ملتهباً يثير العواطف، ويؤجج الأحاسيس، يـدعو إلى ثـورة قوميـة عارمة لصد العدوان، والحفاظ على السيادة العربية، وكان الشاعر علي بـن خلـف في

---

(1)ديوان هاشم الكعبي، 109.

مقدمة هؤلاء الشعراء يتدفق حماسة وثورة، ويتألم لحالة الركود والخدر التي بدت على أهل الإقليم، وكأنهم نسوا أمجادهم العريقة، وبطولاتهم الفذة فكان بين الفينة والفينة يطلق صرخة مدوية يدونها شعراً لبعث الهمم وتحريك المشاعر للوقوف بوجه الغزو الأجنبي.

هذه الثورة التي يتصورها الشاعر علي بن خلف في بائيته، رجالها فرسان أشاوس، تحملهم خيول مجربة، وأسلحتهم سيوف مواضٍ، يتقدمهم قائد مغوار مهاب، لا يكل ولا ينكل كأنه أسد مستفرس محنَّك حليم غير متغطرس، ذو أنفة وإباء، يترفع عن كل رديء، ليس له طمع في مال أو دنيا، وإن هدفه الرئيس هو إماطة الهوان عن الأمة، فقال:

أما آن جريُ السَّابحات السلاهبِ	أما آن سَلُّ الباترات القواضب
ألا ماجد يهتز للمجد هزة	فيجمع فيها شاردات المناقب
قليلُ رقادِ العينِ في طلب العلا	كثير دؤوبِ العيس جمّ المطالب
إذا ما تمطَّى بالحمائل خلته	هِزَبْرًا له الأسياف أمضى مخالب
شديد حصاة الحلم لاذو سفاهة	ولا مزده جهلاً بأسنا المكاسب
به أنف عن كلِّ شيء يشينه	يرى الكفر أن يدنو دنيء المعايب
بغيض إليه المال مغرًى ببذله	غدا ماله وقفًا على كلِّ طالب
يميط جلابيب الهوان بفتيةٍ	نماهم إلى العليا لؤيٌّ بنُ غالبِ([1])

....

رجاله من أعظم الرجال نماهم النسب الرفيع والأصالة العربية غايتهم العليا الحفاظ على الشرف العربي بالكفاح، مغاوير ينالون مجدهم بسلاحهم غير مخاتلين ولا مترددين، نيرانهم تسرج لتنير الليل الدامس ليهتدي بها السارون والضيوف:

---

(1)ديوان علي بن خلف، ورقة 17.

مناجيـب مـا ضـاهاهم غـير خـيلهم أعـــارب أصـــل فـــوق خيـــل أعـــاربِ
غنـوا بـالعلى مـن أن يمتّـوا بأصـلهم وجهــد غبــي القــوم عــدّ المناســب
مغــاوير نــالوا مجــدهم بســيوفهم ومـــا رغبـــوا إلاّ ببـــذل الرغائـــب
فنـــيرانهم واللَّيـــل مـــرخٍ ســـتوره ترحـب بالسـارين مـن كـل جانـب([1])

....

ثم يعرج على نفسه فيتحدث عن شجاعته وطموحـه، وحبـه للكفـاح ومقتـه للحيـاة الناعمـة الوادعـة في ظـل الـذل والهـون، والتـي لا تنسـجم مـع خطـه النضـالي التحرري، لبناء مجتمع حر كريم، وتحرير أرض الحويزة والكـرختين وغيرهـا مـن مرابـع الوطن العزيز على نفسه الذي تشده له ذكريات غالية:

لقد طال شكوى أينقـي مـن إقـامتي إلى كـــم تشـــكَّاني إليَّ ركـــائبي
فـما الـذلُّ إلاّ بـالجلوس عـلى الأذى ومـــا العـــزُّ إلاّ باقتعـــاد الغـــواربِ([2])
ولطم وجـوه الأرض إن ضـاق ذرعهـا بأيـــدي المطايـــا والـــدراع السباســـب
إذا أعـــوزتني في المشـــارق رفعـــة تنقلـــت عنهـــا راغبـــاً بالمغـــارب
ولي نفس حـرٍّ يصـغر الـدهر عنـدها وتحسب طامي البحـر بعـض المـذانب
وإن ألسُّــــها أدنى مقــــام لماجــــد يؤمـــل مـــن دنيـــاه أعـــلى المراتـــب
أفارق مـن أهـوى ومـا ذاك عـن قًّلا وأجفـــو لأجـــل العـــزِّ أدنى أقـــاربي
ولـولا العـلى مـا كنـت أجفـو أحبتـي ولم أُبْـــدِ للخـــلاّن تعبـــيسَ قاطـــب
يحـــنُّ إلى أرض الحـــويزة نـــازح يؤمـــل مـــن دنيـــاه أوبـــة غائـــب
إذا مـــا ذكرنـــا الكـــرختين وأهلهـــا عرفت هوانا مـن صـهيل السـلاهب([3])

....

(1)المصدر السابق، ورقة 18.

(2)الغوارب = جمع غارب ما بين السنام والعنق.

(3)ديوان علي بن خلف، ورقة 18، 19.

والشاعر علي بن خلف بروحه التوّاقة إلى التحرر والطموحة إلى الاستبسال يتناول في قصيدة أخرى طبيعة نضاله، وخصائص رجاله، وشغفه بالسجايا الثورية، وإقدام قومه في ساحات الوغى، وتأصلهم بالشجاعة في كل أرض عربية حيث يقول:

فما عذر عيني إن دنت من رباضها	ولم يغن عن وكف الغوادي همولها
وإني ليشفيني النسيم إذا سرى	وجاز على تلك الرياض بليلها
على أن بي شوقاً إلى المجد لو غدا	بأم فيصلٍ ما شجاها فصيلها
فأحيي الليالي بالهموم وإنما	يطول على قدر الهموم طويلها
وإني من القوم الذين إذا دعا	بهم طالب العلياء ثار رعيلها
تجيش إلى شرب الدماء أسودها	وتهدر إن قالوا نَزال فحولها
إذا ذكر التطعان مالت رماحها	وإن جالت الفرسان حَنَّتْ خيولها
إذا نازلت أقرب عدها سيوفها	وأن نزلت نال النوال نزيلها
وأن نطقت أعيا المصاقع نطقها	وخط على وجه الزمان مقولها
لقد أحرز المعروف والفضل والتقى	وبذل اللُّهى شُبَّانها وكهولها
إذا افتخرت زان النجار(1) افتخارها	إذا انتسبت زان الفخار أصولها(2)

....

الملاحظ أن الشاعر يطرح هذه الأفكار الحماسية في إطار قومي شامل وليس في نطاق عائلي ضيق، ولسان حاله يقول: إن أناساً تلك بطولاتهم بلغوا الذرى في مجدهم لا بد أن ينهضوا ويؤسسوا حضارتهم من جديد.

---

(1) النجار = الأخلاق.

(2)ديوان علي بن خلف، ورقة 129.

وفي هذا الإطار القومي تجد الشاعر نفسه يفتخر بالمآثر العربية الأصيلة والخلق العربي الكريم، وكأنه استلهم ما جاء بلامية السموأل بن عاديا، فقال:

فإنـــا أنـــاس إن دعينـــا لحـــادث | ترى الشهب تهوى في دجى النقع رجما
ونطعـم مـن يبغـي قرانـا لحومنـا | إذا لم نجـد للضـيف في المحـل مطعـما
ونحلـم مـا لم يعقـبِ الحلـم ذلـة | ومـــا الحُـــرُّ إلاّ أن يغـــيض ويحلـــما
ونـغضي عـن الجـارات صـوتاً وعفـة | ومـــا المـــرء إلاّ أن يعـــفَّ ويكرمـــا
ويشركنـا في المـال مـن كـان جارنـا | يـــرى حقـــه في ذاك إرثـــاً مقسَّـــما
تحـامى الرزايـا داخـلاً في ذمامنـا | تظـــــن أداه النائيـــــات محرَّمـــــا
فلـــو أن بـــدر الأفـــق لاذ بكهفنـــا | لمـــا نالـــه نقـــص وفينـــا تـــذمما
ولم نتحمـــل مِنَّـــةً مـــن مُسَـــوَّدٍ | ولم نـــرضَ إلاّ خـــالق الخلـــق مـــنعما
شـأونا السُّـهَى في مجـدنا ونجارنـا | فلم نرض جديًا([1]) في السُّمِّو([2]) مرزما([3])

....

إن شواهد الفخر القومي كثيرة في شعر علي بن خلف وغيره من شعراء الإقليم فالشاعر شهاب الدين الموسوي ينبض شعره الحماسي بالروح القومية والأمجاد والبطولات التاريخية، يُجَسِّمُ صُوَرَ الفروسية، ويتفاعل مع أحداث الحرب، وقد تعود أن يزين مناظر الوغى المرعبة بألفاظ النسيب العذبة ليزيد في روعة الموقف، ويهز مشاعر السامع، ومن قصيدة له وقف فيها منذهلاً أمام إقدام الفرسان العرب الذين لا يلقون سلاحهم حتى يرتوي بدم الأعداء، يواجهون الشدائد العظام

(1)جدي = من النجوم الدائرة مع بينات نعش.

(2)مرزم = نجم مع الشعرى.

(3)ديوان علي بن خلف، ورقة 113.

بقلوب صابرة لبسوا عليها الدروع، ووجوه باسمة لا يعرفون الاضطراب أو الوجل دفاعاً عن كرامة وشرف أمتهم فقدموا كل عزيز ونفيس وهو أمر غير مستغرب لمـن يعـرفهم، لأنهم عرب عنوان الشموخ الخالد والرفعة الإباء، فيقول:

لله أُسْـــدُ عَــــرينٍ مــــن عشــــيرتها تَـرْضَى الصَّـوارمُ عـنهم كلَّـما غضـبوا

غــرٌّ إذا انكشــفت عــنهم تــرائكهم تحت الدُّجُنَّـةِ مـن أقمارهـا حسـبوا

تطلُّـبُ الـدُّرُّ معنـى مـن مباسـمهم فــأدرك الــنظم لمــا فاتــه الشــنب

ســيوفهم في مضــاها مثــل أعيــنهم سـود الجفـون ولكـن فاتهـا الهـدب

قــاموا لــديها وبــاتوا حولهــا حرســاً إذا أحسُّــوا بطيــفٍ طــارقٍ وثبــوا

عزَّت لـديهم فحـازت كـلَّ مـا ملكـوا حتى لها النوم من أجفـانهم وهبـوا

قـد صـيَّروا بالـدم المخطـوب سـنتهم خـدّ المهـاة وكـف الليـث يختضـب

لحــــاظهم هنــــدويات ذوائــــبهم زنجيَّـــةُ اللَّـــوْنِ إلاّ أنهـــم عـــربُ

لم يحسـنوا الخـطّ إن رامـوا مكاتبـة فوق الصـدور بـأطراف القنـا كتبـوا

سلوا الـبروق مـن الأجفـان وابتسـموا عنهـا وحـادوا فقلنـا إنهـم سُـحُبُ

إذا المنيــــة عـــــن أنيابهــــا كشرت عَضُّوا عليها بذيل النقع وانتقبـوا([1])

....

وكان لشغف الشاعر شهاب الدين الموسوي في عظمة أمتـه وانغماسـه بمآثرهـا جعله يشمخ بفخره، ويأتي بكل ما هو رفيع وسامٍ من سجايا أمته العربية، فيـدافع عـن عزها وكيانها ومن ذلك قوله:

وبمهجتــــي العـــرب الألى لـــولاهم لم تعــرب الأجفــان سرًّا معجــما

عــرب إذا مــا الـبرق ضـاحك بيـنهم خجــلاً بأذيــال الســحاب تلــثما

---

(1)ديوان شهاب الدين الموسوي، 114-115.

غــرٌّ تغــانوا بالقــدود عــن القنــا وكفــاهم حــور العيــون الاســهما
لبســت أســودهم الحديــد مسرّداً وظبــاؤهم وشيَ الحريــر مُسَــهَّما
مــن كــلِّ ضرغــام بظهــر نعامــة للطعن يمسك في الأنامل أرقـما([1])

....

ومن قصيدة له يعدد مناقب قومه البطولية، ويفتخر فيها بالمجد العربي، ويبين مظاهر شجاعة الفرسان واستبسالهم للدفاع عن شرف أمتهم:

أفــــديهم مــــن سراة في جواشــــنهم وفي البراقــع مــنهم تلتظــي شــعل
فرســـان طعـــن وضرب غـــير أنهـــم أمضى ســـلاحهم القامـــات والمقـــل
شوس على الشوس بالبيض الرقاق سطوا وبـالجفون عـلى أهـل الهـوى حملـوا
في غمــد كــل هِزَبْــرٍ مــن ضَراغمهــم وعـــين كـــل مهـــاة كـــامن أجـــل
يــروق في أســدهم نظــم القــريض وفي غــزلانهم يحســن التشــبيب والغــزل
تمسي القلـــوب ضـــيوفاً في منـــازلهم ولا لهـــن ســـوى نـــيرانهم نـــزل
هــــم الأكــــارم إلاّ أنهــــم عــــرب عند الكرائم مـنهم يحسـن البخـل([2])

....

نستخلص مـما سـلف أن شـعراء الأحـواز افتخـروا بالنسـب والعشـيرة والقـيم القبلية كالشجاعة والكرم والوفـاء والمـروءة، وكـذلك القـيم الحضـارية، كـالعلم والـدين والأدب وجودة الحديث والعدل وحسن الملبس والمأكل وغيرها، وافتخروا بالانتساب إلى العرب ومجد العروبة وتاريخها الناصع بالبطولات، وجـدارة العـربي بالفروسـية والقتـال واستخدامه للسلاح، ودفاعه المستميت عن الشرف والعرض والمال والوطن والكرامة.

(1)المصدر السابق، 127.
(2)ديوان شهاب الدين الموسوي، 135.

- الرثاء:

فن أصيل في أدبنا العربي، ذكرت له تعاريف عديدة، من أهمها: هو بكاء الميت وتعداد حسناته بالشعر أو النثر([1]).

واقتران اسم الرثاء بألفاظ الندب، والتأبين، والنعي، والعزاء التي تعطي معنى الرثاء أو جزءاً من معناه، ومهما كانت درجة استيعابها لهذه المعاني، فإنها «كلها تقال في ظروف الحزن والبكاء عند فقدان أي شخص عزيز يبكيه الراثي ويعدد حسناته كما يرثي لنفسه لكونه فقد إنساناً له هذه الأخلاق والفضائل النفسية الرائعة»([2]).

وللأستاذ شوقي ضيف رأي في هذا الموضوع، فهو يرى أن لشعر الرثاء ألواناً ثلاثة هي: الندب والتأبين والعزاء، أما الندب فبكاء الأهل والأقارب حين يعصف بهم الموت... والشاعر لا يندب نفسه وأهله فحسب، بل يندب أيضاً من ينزل منه منزلة النفس والأهل ممن يحبهم ويؤثرهم، ومراثي الشيعة من خير الأمثلة التي تصور ذلك.

والتأبين: هو أدنى إلى الثناء منه إلى الحزن الخالص.

والعزاء: مرتبة عقلية فوق مرتبة التأبين، إذ نرى الشاعر ينفذ من حادثة الموت الفردية التي هو بصددها إلى التفكير في حقيقة الموت والحياة، وقد ينتهي به هذا إلى معانٍ فلسفيَّةٍ عميقة([3]).

ورثاء الأحوازيين في واقع الحال لا يخرج عن مضامين هذه الألوان والمعاني. وفي أثناء بحثي عن هذا الفن وجدته ينقسم إلى قسمين رئيسيين هما:

---

(1)الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام، 20.

(2)المصدر السابق، 29.

(3)الرثاء، 5.

1 -رثاء أهل البيت:

وهو ليس بالشيء الجديد في شعر الرثاء، فقد بكى الشعراء الإمام عليًّا _عليه السلام وأولاده، وتفجعوا عليهم، صوروا استشهادهم وأشادوا بمكانتهم الدينية والدنيوية، وفضلهم في الدين والعلم والفروسية... إلخ.

ويأتي الشاعران أبو الأسود الدؤلي والكميت بن زيد الأسدي في مقدمة شعراء هذا الغرض في العصر الأموي، أما في العصر العباسي، فقد برز فيه السيد الحميري ودعبل الخزاعي والشريف الرضي، وعشرات من الشعراء استهواهم حب آل الرسول في مختلف الأقاليم وعلى مرِّ العصور.

أكثر مراثي أهل البيت كانت تصطبغ بالصبغة السياسية، وتنطوي على أمور عقائدية تعتمد على الحجاج والمناقشة والاستفهام لإبراز حقهم ومكانتهم.

وكانت مشاركة شعراء الأحواز في رثاء أهل البيت كبيرة، إذا قلَّما نجد شاعراً منهم ليس له رثاء فيهم، فقد بهرهم استبسال الحسين وأصحابه وما جَسَّدوه من قيم البطولة والإباء والإصرار على الحق والاستشهاد في سبيله دون خضوع أو مساومة، وصوروا تلك المواقف السامية لهؤلاء الفرسان، ومن ذلك قصيدة شهاب الدين الموسوي التي استهلَّها بذكر شهر محرم الذي استشهد في اليوم العاشر منه الحسين وأصحابه، فكانت ثماره الآلام والأحزان وجفاء المضاجع لهول الكارثة التي بكت لها السماء دماً عبيطاً، وانهدم لها ركن الإسلام ولبست عليها مكة أثواب الحداد، ونشج لها الحرم الشريف والجمرات، وتكدر عليها الحطيم والصفا والمشاعر، إنه المصاب الجلل، ذلك هو استشهاد الحسين:

هَلَّ المحرَّم فاستهلَّ مكبِّرًا ... وانثر بهِ دُرَرَ الدموع على الثَّرى

وانظرْ بغرَّته الهلالَ إذا انجلى ... مسترجعاً متفجعاً متفكرا

واقطف ثمار الحزن من عرجونه ... وأنحر بخنجره بمقلتكَ الكَرَى

لله أيّ مصـــــيبة نزلـــــت بـــــهِ بكـتِ السَّـماء لهـا نجيعـاً أحمـرا

خَطْـبٌ وهًــى الإسـلام عنـد وقوعـه لبسـتْ عليـه حـدادها أمُّ القُـرَى

أو ما ترى الحرم الشريـف تكـاد مـن زفراتِــه الجمــراتُ أن تتســعَّرا

وأبــا قُبــيسٍ في حشــاه تصــاعدت قبسـات وجـدٍ حرهـا يصـلي حِـرَا

علــم الحطــيم بــه فحطَّمــه الأسى ودرى الصَّــفا مصــابه فتكــدَّرا

واستشــعرت منــه المشــاعر بــالبلا وعفــا محمّرهــا جــوًى وتــحسّرا

قُتِـلَ الحسـينُ فيـا لهـا مـن نكبـةٍ أضحى لها الإسلام منهدمَ الـذُّرَا([1])

....

بعد ذلـك ينقـل انطباعاتـه وأحاسيسـه باللَّوعـة والأسى، وهـو يتخيـل أجسـاد الشهداء حولها النساء صارخات مستغيثات، فيبدي توجعه الشديد لـذبيح مهـاب بقـي ملقًّى عارياً ثلاثة أيام غير موارًى، ذلك هو الحسين:

حـــزني عليـــه دائـــم لا يـــنقضي وتصــبّري منِّــي عــليّ تعــذَّرا

وراحمتـــــاه لصـــــارخات حولـــــه تــبكي لــه ولوجههــا لــن تسـترا

مــا زال بــالرمح الطويــل مــدافعاً عنهــا ويكفلهــا بــأبيضَ أبــترا

ويصــونها صــون الكــريم لعرضــه حتــى لــه الأجـل المتـاح تقـدرا

لهفــي عــلي ذاك الـذبيح مـن القفـا ظلــمًا وظــلَّ ثلاثــةً لَــنْ يُقْــبَرا

ملقًّــى عــلى وجــه الــتراب تظنُّــه داود في المحــراب حــين تســوَّرا

لهفــي عــلى العـاري السـليب ثيابـه فكأنــه ذو النــون ينبــذ بــالعَرا

لهفــي عــلى الهـاوي الصريـع كأنـه قمــرٌ هَــوَى مــن أوْجِـهِ فتكـوَّرا

لهفــي عــلى تلـك البنـان تقطعـت لو أنهـا اتصلت لكانـت أبْحُـرا([2])

....

(1)ديوان شهاب الدين الموسوي، 213-214.

(2) المصدر نفسه، ص 214.

وللشاعر علي بن خلف مراث كثيرة في أهل البيت، وخصوصاً الإمام الحسين _عليه السلام ومن ذلك قصيدته التي بدأها منوهاً بفضائل آل الرسول الذين تألّق نجمهم، ولم تحجب إشراقة شمسهم أو يضمحل مدرار مزنهم:

يا نجوماً لم ترض أفق السماء	كيف أضحت لقى على البوغاء([1])
وشموساً لم تنبعث لغروب	وكساها الكسوف في كربلاء
وسحابا يعمر نائلها الدنيا	إذا ظن واكف الأنواء([2])

....

ثم يندب الحسين أصحابه، ويتحسر للطريقة التي عوملت بها نساؤه وأطفاله، ومسير عياله سبايا حرب، وما رافق ذلك من مناظر مؤلمة:

لا ولا كالحسين حين يرمى في	كربلاء بالمصيبة الشنعاء
ذبحوه ذبح الأضاحي ومثل	الذبح قتل الأصحاب والأبناء
ثم لم يكفهم إلى أن أحاطوا	بخبا المصطفى لسلب النساء
فبنفسي ملطومة تندب المقتول	يا ثاوياً على الرمضاء
يا ثمالي يا عصمتي من زماني	إن دها يا خليفة الآباء
من لثكلاء قد أبيح حماها	وأصيبت بأسهم البغضاء([3])

....

ولعلي بن خلف قصيدة أخرى يندب فيها صرعى الطف، ويبكي الحسين، منها:

يا خليلي وأين مني خليلي	ساعد الصب بالبكا والعويل

---

(1)البوغاء: التربة الرخوة. القاموس المحيط (بوغ).

(2)ديوان علي بن خلف، ورقة 103.

(3)ديوان علي بن خلف، ورقة 103.

مـــا بكـــائي عـــلى رســـوم تعفـــت بـين سـقط اللـوى وبـين الـدخول

بـــل بكـــائي عـــلى الألىء صرعـــوا بـالطف خـير الأنـام آل الرسـول

أهـــل بيـــت النبـــي خـــزان وحـــي اللـــــه أهـــل القـــرآن والتنزيـــل

بـــين ملقـــى عـــلى الـــتراب صريـــع وســـــليب مصـــــفد بـــــالكبول

ليس صـبري الجميـل في يـوم عاشـورا إذا مــــا ذكـــــرتهم بجميـــــل

وقليـــــل هـــــلاك نفـــــس ولـــــولاهم لمـــا كـــان هلكهـــا بقليـــل([1])

....

ثم يعقب على نتجية هذه التضحية وما أعده اللـه لهؤلاء الفدائيين من مقـام رفيع في مقعد صدق عند مليك مقتد، إذ سرعان ما ينقل هؤلاء الصرعى إلى جنة الخلـد التي أعدها اللـه لعباده الصالحين:

بـــين ذل القتيـــل والعـــز مـــنهم قـد مـا خـر عـن سروج الخيـول

فينـــالون رفعـــة القـــدر في طـــوبى فطـــوبى لهـــم وخـــير نـــزول

يـــا شموســـاً كـــانوا هـــداة البرايـــا كيـــف خصـــت في كـــربلا بـــافولِ

مـــا كفـــاهم قتـــل الرجـــال إلى أن سلبوا الحجـل مـن ذوات الحجـول

كـــاد يـــقضي عـــليَّ مهـــما تـــذكرت مصــاب الشــهيد فــرط غليــل([2])

....

بعد ذلك يجري موازنة بين القاتل والمقتول، ويعدد كرامات الحسين وما أحدثه قتله من أثر شيء وجرح عميق لا يندمل:

ذا يزيـــد اللعـــين هـــذا الحســـين الطهر فأعجـب مـن قاتـل وقتيـل

نـــور عـــين الرســـول إنســـان عـــين المـــرتضي عـــزة وقلـــت البتـــول

(1)المصدر السابق، ورقة 115، 116.

(2)ديوان علي بن خلف، ورقة 116.

مــن تهــاوت لــه الكواكــب حزنــاً وبكتــه الســماء بــدمع همــول
يــا قتــيلاً بقتلــه ضــحك الشرك وآب الهــدى بطــرف كليــل
وتســامى الضــلال بعــد انخفــاض وعــلا القــدر منــه بعــد خمــول
قتلــوه مــع علمهــم أنــه خــامس أهــل الكســاء في التبجيــل([1])

....

وله أيضاً يندب الحسين ويعدد مآثره:

أمــرر عــلى جــدث الحســين وشــم أعظمــه الزكيــه
وألــثم ثــراه فلثمــه ينفــي المــآثم والبليــه
إنــا رزئنــا بالحســين وأن مصرعــه الرزيــه
يــا مصرعــاً بكــت الســماء لــه وضعضــعت البنيــه
وأهتــز عــرش اللــه وأهتــزت لــه الســبع العليــه([2])

....

وكان الشاعر هاشم بن حردان الكعبي من المبرزين في فن الرثاء، وأكثر رثائه في أهل البيت وخاصة شهداء، واقعة الطف، فقد أبدع في وصف هذه الواقعة، وصوّرَ بمنتهى البراعة مصرع الحسين وأصحابه، واستبسالهم وتسابقهم على التضحية والفداء في ساحة الشرف، ومن قصيدة له في هذا المعنى تفجع فيها للشهداء، وأشاد ببطولتهم ومروءتهم وآبائهم، فقال:

هنــا الربــع لا بــين الــدخول فحومــل فعطفا علينا يا ابنة القــوم وانــزلي
صــحبتك فاستصــحبك عــذلك جــاهلاً كــأني لم أصــحبك إلاّ لتعــذلي

---

(1)ديوان علي بن خلف، ورقة 116.

(2)المصدر السابق، ورقة 142.

دعينـــي وأشـــجاني أكابـــد حملهـــا فـإن الـذي بي فـوق رضـوى ويـذبل

وكيف أدخار الـدمع عـن خـير منـزل تضـمن مـن خـير الـورى خـير نـزل

مـن البـيض بسـامون في كـل معـرك من البيض مشغول الفراغين ممـتلي

بنـو الـوحي يـتلى والمناقـب تجـتلي وغـــر المســـاعي أولاً بعـــد أول

لهـم كـل مجـد شـامل كـل رفعـة لهـم كـل حمـد شـاغل كـل محفـل

بنو المصطفى الهادي وحسـبك نسـبة تفـرع عـن أسـمى نبـي ومرسـل([1])

....

ثم يطل على جـو المعركـة فيصـفها وكأنـه عـاش سـاعاتها واشـترك في أهوالهـا، فيسـتعرض المواقـف المشرفـة والبطوليـة للحسـين وأصـحابه وحركـة الخيـل، واخـتلاف السيوف والأسنة:

غداة التقى الجمعان في طف كـربلاء ومـا كـربلا عـن يـوم بـدر بمعـزل

وقـد سـادت الآفـاق بـالنقع والـوغى فلـم تـر إلاّ جحفـلاً تحـت قسـطل

وقـد زعـزت ريـح الجـلاد فهيجـت ركـــام ســـحاب بالمنيـــة مســـبل

وقامـت رجـال اللـــه مـن دون آلـه نشب لظى الحرب العوان وتصـطلي

بكل خفيف الحـاذ مـن فـوق سـابق تخال به الفتخاء مـن تحـت أجـدل

فكـم مـارق بـالرمح ثغـرة مـارق وكم فاصـل بالسـيف هامـة فيصـل

فطـارت فـراخ الهـام إذ أطلقـت بهـا أكفهـــم عقبـــان بـــيض وأنصـــل

وبـــان لهـــم سر هنـــاك فعجلـــوا سرى البـين نحـو المنـزل المتأهـل

فنــاموا عــلى الرمضــاء بــين معفــر بهـا الوجـه أو دامـي الجبـين مرمـل

وظـل أخـو الهيجـاء يحمـل شـكة عــلى ســابح مــوج المنيــة هيكــل

---

(1)ديوان هاشم الكعبي، 20.

أخــو همــم يــأتي بكــل عجيبــة	تــروق لعــين النــاظر المتأمــل
مض الماجد الضرغام والواحد الـذي	تحمـل مـن كـل العـلا كـل مثقـل
ربيــع اليتــامى المعتفــين وكافــل	الأيـامي وأمـن الخـائف المتوجـل
أقــول لركــب كــالقسي تفوقــوا	ذرى مثلها من كل وجناء عيهل([1])
قفـوا بي إذا بـان الطفـوف وأعرضـت	مخايل ذاك العـارض المتجلجـل([2])
لثـاو عـلي الرمضـاء لم يلـق مشـفقاً	على الترب عار بالنجع مسربـل([3])

....

وله أيضاً يندب الحسين ويتـألم لمصـابه، بعـد أن تحـول إلى جسـد ملقـى عـلى الرمضاء مقطع الأوصال بين الضواري والطيور:

أهــاج حشــاك للشــادي الطــروب	قريـر العـين في الغصـن الرطيـب
فكــم للقلــب مــن وجــد وحــزن	وكـم للطـرف مـن دمـع سـكوب
ونفــس حشــوا أحشــاها همــوم	يشـيب لهـا الفتـى قبـل المشـيب
تريــد مــن الليــالي طيــب عــيش	وهل بعد الطفـوف رجـاء طيـب
سـقى اللــه الطفـوف وأن تنـاءت	سـجال السـحب منزعـة الـذنوب
فكـم لي عنـدها مـن فـرط وجـد	وحــر جــوى لأحشــائي مــذيب
أســلوان لقلبــي وابــن طــه	عــلى الرمضــاء ذو خــد تريــب
معــــرى في الهجــــيرة لا يــــوارى	مخــلّى عــن قريــب أو حبيــب
عــديم الــنصر إلاّ مــن قليــل	مــن الأنصــار والــرحم القريــب
تفــانوا دونــه والــرمح عــاط	بنــاظره إلى ثمــر القلــوب

(1)العهيل: الناقة السريعة.

(2)المتجلجل: الشديد.

(3)ديوان هاشم الكعبي، 21-22، 24، 25.

يـــرون المــوت أحـــلا مـــن حبيـــب أبــاح الوصــل خلــوا مــن رقيــب
عليهــا الطــير تهتــف بالنعيــب

فتلــك جســومهم في الــترب صرعــى عليهــا الطــير تهتــف بالنصــيب

أبي الضـــــيم حامـــــل كـــــل ثقـــــل عـــن العليـــاء كشـــاف الكـــروب

أبـــو الأشـــبال في يـــوم التصـــادي أبـو الأيتـام في اليـوم السـغوب([1])

....

وقال في رثاء الإمام علي _عليه السلام:

فديت قتيلاً من حسام ابـن ملجـم بنفسي وما أهوى ومـا ملكـت يـدي

عليًّــا أمــير المــؤمنين وخــير مــن أشـارت إليـه في العلاكـف سـوءدد

فشـلت يـد الجـاني عليـه أمـا درت غــداة أصــابت قبــل كــل موحــد

فتـى سـيد الإسـلام في كـل موقـف وشدَّ عرى الإيمـان في كـل مشـهد([2])

....

2- الرثاء العام:

ويقصد به أنواع الرثاء الأخرى غير ما قيل في رثاء أهل البيت، ويشتمل عـلى رثـاء الأمـراء والحكـام والعلـماء والمفكـرين والأعيـان والأهـل والأقـارب والأصـدقاء والملاحظ في هـذا النـوع مـن الرثـاء بـروز نقطتـين رئيسـتين، أولاهـما: نـدب الفقيـد والتفجع عليه. وثانيتهما: الإشادة والتنوية وتعداد فضـائله ومـآثره، فـان كـان المتـوفي أميراً أو حاكماً فلا بد للشـاعر أن يتطـرق لأعمالـه الجليلـة ومـا قدمـه مـن منجـزات خالدة لصالح مجتمعه، وأن كان من أهل العلم والأدب والفضيلة فيأبن بذكر مناقبه

(1)ديوان هاشم الكعبي، 113، 1114، 1115.

(2)الكشكول، للشيخ يوسف البحراني 483/3.

وخصائله الحميدة وآثاره العلمية والأدبية. أما مراثي الأهل والأحبة فإنها تمتليء باللوعة المتقدة، والألم المحرق والبكاء المر.

وتختتم معظم هذه المراثي بدعوة ذوي الفقيد للصبر على المصيبة، ورجاء العفو والرحمة للفقيد من الباري سبحانه، والسقيا لقبره.

ومن هذه المراثي قصيدة شهاب الدين الموسوي في رثاء الأمير خلف بن عبد المطلب أمير الدورق في سنة 1074هـ والتي بدأها بذكر فضائله في العلم والدين والعطاء والشجاعة والعبادة والعدل، وقد عد دفن رفاته في الأرض بركة لها، وأن الصبر عليه قبيح، فقال:

مضى خلف الأبرار والسيد الطهر ... فصدر العلى من قبله بعده صفر

وغيب منه في الثرى نير الهدى ... فغارت ذكاء الدين وانكسف البدر

ومات الندى فلترثه السن الثنا ... وليث الوغى فلتبكه البيض والسمر

هو الماجد الوهاب ما في يمينه ... هو العابد الأواب والشفع والوتر

هو الحرّ يوم الحرب تثني حرابه ... عليه وفي المحراب يعرفه الذكر

فلو دفنوه قومه عند قدره ... لجل ولو أن السّماك له قبل

وما دفنه في الأرض إلاّ لعلمنا ... به أنه كنز لها ولنا ذخر

تعطلت الأحكام بعد وفاته ... وضاعت حدود الله والنهي والأمر

فغير ملوم جازع لمصابه ... ففي مثل هذا الخطب يستقبح البصر[1]

....

ثم يتناول قسماً من أعماله الخيرة وحب الناس له، وتكاثرهم حول نعشه يودعونه بالنحيب والنشيج:

فمن لليتامى والأرامل بعده ... وممن نرجى النفع أن مسنا الضر

(1)ديوان شهاب الدين الموسوي، 217.

كـأن الـورى مـن حولـه قبـل بعـثهم دعاهم من الأجداث في يومه الـحشر
سرت نسـمة الرضـوان نحـو ضريحـه ولا زال فيهـا مــن شــذا طيبــه نشر
وفي ذمـــة الــرحمن خـــير مـــودع أقــام لــدينا بعــده الوجــد والفكــر
تنـــاءى فللـــدنيا عليـــه وأهلهـــا بكــاء وحــزن والجنــان لهــا بشر([1])

....

وينتقـل بعـد ذلـك إلى ذوي الفقيـد، فيواسـيهم بـذكر محامـدهم وسـجاياهم الرفيعة ليسليهم عن مصابهم ويدعو لهم بالصبر الجميل، فيقول:

فــلا يشــمت الحسّــاد فيــه فإنّــه ســترغمهم بــالموت أبنــاؤه الغــر
لـــئن ســـلمت أبنـــاؤه وبنـــوهم فويل العدا وليفرح الـذئب والـنسر
فـروع تسـامت للعـلى وهـو أهلهـا فطابــت وفي أفنائهــا أثــر الشــكر
ملـــوك زكـــت أخلاقهـــا فكأنّهـــا حـــدائق جنـــات وأخلاقهـــا زهـــر
عسى اللـه يجزيـك الثـواب مضـاعفاً ويعقب عسر الأمـر مـن بعـده يسر
ويلهمـــك الصـــبر الجميـــل بفضـــله ويمتد في الحظ السعيد لك العمر([2])

....

ومن مراثي شهاب الدين الموسوي داليته في رثاء الأمـير نـاصر بـن محسـن ابـن علي المشعشعي والتي ضاهى بها دالية ابـن الرومـي في رثـاء ابنـه الأوسـط، فقـد بكـاه بعبرات رقيقة شـجية تتناسـب مـع مقامـه كـأمير مـن الأسرة الحاكمـة، اتصـف بالبـذل الواسع والخلق الكريم والشجاعة المتناهية والنسب الشريف الطاهر، فقال:

---

(1)ديوان شهاب الدين الموسوي، 218.
(2)المصدر السابق، 218-219.

هوى الكوكب الدري من أفق المجد فتبا لقلب لا يذوب من الوجد

وتعسا لعين لا تفيض دموعها فقد غاض بحر من ملوك بني المهدي

نداركه كسيف الردى بعد تمّه فحال وحالت دونه ظلمة اللحد

برته المنايا وهو عضو من الندى فأصبح كف المكرمات بلا زند

ألا فاندبوا يا وافدون ابن محسن فقد هد ركن الجود من كعبة الوفد

فحقا لملك الحوز يشكو فراقه فعن غاية قد غاب خير بني الأسد

وحقاً لعين الحرب تبكي له دماً فقد فقدت في فقده سيفها الهندي

وحق العلى أن تنبش الأرض بعده فقد ضيعت في الترب واسطة العقد

جواد على آثار آبائه جرى وأجداده الغرّ الغطارفة اللد[1]

....

وحينما قتل الأمير محفوظ بن جود الله بن خلف المشعشعي في عام 1090هـ/ 1689م، في إحدى الحروب المحلية بين حكومة الإقليم وبعض القبائل، رثاه الأديب المعاصر له فتح الله بن علوان الكعبي، وتأسف عليه لما كان بينهما من الألفة بقصائد عدة، منها رائيته التي ندب فيها الفقيد بحرفة وألم وعدد مناقبه في الحرب والسلم التي منها:

فتى كملت أخلاقه وصفاته كريم المحيا طيب الاسم والذكر

سأبكيه لليوم الطويل يصومه مخافته عند الوقوف لدى الحشر

وأبيكيه للقربى ومن حل حوله وأرملة أو أصيب من الفقر

وللحرب لما بارز الألف وحده فناب مناب الليث في بقر البتر

فيالك مقتولاً تضعضعت العلى لمصرعه والدين مدمعه يذري

كان أباهم حيدر الطهر قائل لهم أن موت العز في صهوة المهر

---

(1)ديوان شهاب الدين الموسوي، 222-223.

يـــذكرني مثـــواه مثـــوى أمامنـــا الحسين لدى الوغى من غير ما نكـر
غــداة هــوى عــن سرجــه لهويــة فأعقب أحزان تشب مدى الدهر[1]

....

ثم يختتم قصيدته بالسلام عليه والدعوة له بالغفران وحسن العاقبـة والسـقيا لجدته:

عليك سلام اللــه مـن ناحـل القـوى كثـير البكـا دامـي الحشـا عـادم الصبر
فلـــو أن مشـــتاقاً يـــذوب صـــبابة إذا ســـمع النـــاعي لـــذبت ومـــا أدرى
ولكـــن حكـــم اللـــه حـــتم محـــتم عـــلى خلقـــه في مـــا يشـــاء مـــن الأمـــر
سقى اللـه مشواك الشريـف غمامـة مـــن الـــروح والريحـــان طيبـــة الـــنشر
وعوضــك الــرحمن مــن زينــة الفنــا ثياب البقا في الخلد من سندس خضر[2]

....

ومن مراثي فتح اللـه بن علوان التي تترقرق بالحسرة واللوعـة، وتوضـح مـدى تأسفه على فقدان صديقه الأمير محفوظ، قصيدته التي استهلها بالبكاء والتفجـع بعـبرة ساخنة، فقال،

حــزني عليــك مــدى الزمــان مقــيم حاشـــاه أن يثنيـــه عنـــك ملـــوم
يـــا راحـــلاً عنـــا أســـتقلّ برحلـــه صـــيّرتنا في النائبـــات قعـــوم[3]
جـــادت لفقـــدك كـــل عـــين ثـــرة وبكـــل قبـــل قرحـــة وكلـــوم
نـــبكي ومـــا يجـــدى البكـــاء وإنمـــا جهــد المــقصر دمعــه المســجوم

---

(1)زاد المسافر، 36.

(2)زاد المسافر، 36

(3)قعوم: اصابهم داء (القاموس / قعم).

ونـود لـو سـمح الزمـان بمثـل مـن   نفـديك مـن حتـف وأنـت سـليم

إيـــه خلـــيلي إن رأيـــت وأن تـــرى   والأمـر في كـل الـورى معلـوم([1])

....

ثم يشيد بشجاعة القتيل وأقدامه على الجيش المعادي، رغم تفوقه بالعدة والعدد، ويصور بعضاً من جولاته وصولاته في تلك المعركة غير المتكافئة، فيقول:

يومـــاً تجمـــع القبائـــل كلهـــا   فيـــه وأمـــر ضـــلاله مـــبروم

إن تســـألن عنـــه فربـــه مخـــبر   يخـــبرك أن الجـــيش كـــان عظـــيم

قـــد أقبلـــوا زمـــراً كـــأن ســـيوفهم   بـــرق ومشـــتبك الرمـــاح غيـــوم

لم أنـــس محفوظـــاً غـــداة لقـــاهمو   فـــروا وجـــيش عداتـــه مركـــوم([2])

مـــن بعـــد إخوتـــه الـــذين تقـــدموا   في الحـــرب وهـــو مـــؤجج مضروم

فسطوا على الجمع الكثيف كما هوت   شهب عـلى جمـع الغـواة رجـوم([3])

ركعـــوا الإّســـنة خـــوف قولـــه قائـــل   هـــذا ابـــن جـــود اللـــه وهـــو هـــزيم

عرفـــوا المنيـــة ثـــم خاضـــوا قعرهـــا   إن الفـــرار مـــع البقـــاء ذمـــيم

ســـاقوا العـــدو بمـــا يســـاقي مثلـــه   لـــو أن حـــربهم الســـجال تـــدوم([4])

....

بعد ذلك ينـدد بالقتلـة الخـارجين مـن قبائـل آل كثـير وآل سـلطان والفضول، ويهددهم بـاليوم الموعـود الـذي ينتظـرهم عـلى يـد قـوم الأمـير،

---

(1)زاد المسافر، ص 6، 7.

(2)مركوك: الركم جمع شيء فوق آخر حتى يصير ركاماً مركوماً كركام الرمل.

(3)رجوم: جمع رجم، وهو القذف والرمي.

(4)زاد المسافر، 6، 7.

مع الإشارة إلى السجايا الإنسانية لفقيده عن طريف المفاضلة بينه وبين خصومه، ويختمها بدعاء المغفرة والرحمة له من الله سبحانه:

ويـل ابـن أم أبي كثـير مـا روى ... مـن ذا الـذي هـو بيـنهم مزعـوم

هـذا الـذي تـبكي عليـه صـحائف ... تـتلى وأذكـار لـه وعلـوم

هـذا الـذي تبكيـه أضـياف الـدجى ... والمعـدمون وأرمـل ويتـيم

هـذا الـذي تبكيـه أسـاء اثـرى ... مـن قومـه فهـم عليـه وجـوم

واللـه مـا أنـتم بـأقران لهـم ... في الحـرب لكـن القضـا محتـوم

فـلا بكـين عليـك مسـتور الحيـا ... إن التجلـد في المحبـة لـوم

ولأسـألن اللـه في جـنح الـدجى ... غفرانـه لـك إنـه لـرحيم([1])

....

ولشاعر الرثاء هاشم بن حردان الكعبي الدورقي مراث عدة، في علماء وأعيان عصره وأصدقائه، نذكر منها قصيدة في رثاء العلامة حسن ابن الشيخ محمد العصفوري، بدأ بالدعوة إلى إطالة البكاء، لأن هذا الدهر مليء بالمآسي وليس فيه ما يفرح، ومن مآسيه هلاك الطيبين وفناء الأخيار، فقال:

أطـيلي البكـا فـالرزء أضـحى مجـدداً ... إذا غبنـا في اليـوم باكرنـا غـدا

ولا تسـأمي فـرط النياحـة واهتفـي ... بخطـب عـرا شـمل الهـدى فتبـددا

ألم تعلمي الخطب الـذي هـد وقعـه ... نظام الهدى وانهد منه ذرى الهـدى

وباتـت لـه أم المكـارم ثـاكلاً ... عـالج طرفـاً يمطـر الـدمع أرمـدا

تـأرى المـوت يحـدو بـالكرام كأنمـا ... جنـوا تـرة([2])لا عفـو فيهـا ولا ودا

أهـاب بـإخوان الصـفا فاصـطفاهم ... وتثنـى بأربـاب العـلى متفـردا

(1)المصدر السابق، 7-8.

(2)ترة: باطل (القاموس / تره).

تضم الثرى منهم صدورا تضمنت　　　من العلم معروف الرواية مسندا([1])

ثم يتناول سيرة الفقيد الحميدة، وفضله في العلـم الـذي لم يجحـده فيـه أحـد، حتى خصومه، فهو بليغ وفقيه وحليم وإمام يقيم حدود الـلـه ويحلّ معضلات النـاس، ومتعبد زاهد:

أخو السبق في الغايات ساعة باعـدت　　　مـداها فـأعيي الأرجحـي المعـورا

نقـي المسـاعي عـن تـدنس ريبـة　　　أقـام حميـداً مـا أقـام وقـد غـدا

تناقـل أعـداه أحاديـث فضـله　　　فلم تستطع منهم جحـوداً فتجحـدا

مـليء بـإملاء المسـائل سـاكتاً　　　فـإن قـال قـال جـلا في المقـال وسـددا

إذا قـر قلـت الطـود في الحلـم راسياً　　　وأن هاج قلت البحر بـالعلم مزبـدا

لتبـك المعـالي شـجوها بعـد هـذه　　　بكاء العذارى حـين أفقـدن مفقـودا

أمام الهـدى مـن ظـل بعـدك للهـدى　　　لبـاغ بغـى أو مـارد قـد تمـردا

تركـت ربـوع الـدين فقـراً وليلهـا　　　عقبيـك إن لم يـرحم الـلـه سرمـدا

فمـن لحـدود الـلـه فيـه يقيمهـا　　　وقـد أكـثر اللاحـي علينـا وفنـدا

بكيـت للـدين الحنيـف تحوطـه　　　إذا غـار غـار في الظـلال وأنجـدا

ولليـل تحيـي جنحـه متهجـداً　　　وللـدهر تـقضي عمـره متزهـدا([2])

....

ومن مراثي هاشم الكعبي داليه في رثاء الشيخ محمد بن يوسف، والتـي بـدأها بالشـكوى مـن الزمـان وصروفـه، ويشـير إلى صـفات الفقيـد بـالتقوى والعلـم والعـدل والعطاء، وسعة المعروف بأصول الدين وفروعه وأحكامه، منها:

كيـف تـبقـى لنـا وأنـت الـعماد　　　وتـوفى وتكـمد الحـساد

---

(1)الكشكول، ليوسف البحراني 443/3.

(2)الكشكول، ليوسف البحراني 444/3، 445.

أو يعـود الزمـان مغتـبط العـيش وتـقضى بغيضـها الأضـداد
نبتغـي في الزمـان ذخـراً وفخـراً والقصـارى القبـور والإلحـاد
كـل يـوم يخـر لـلأرض طـود لا تـداني جلالـه الأطـواد
طـال حمـل الـثرى بأهـل المعـالي ليـت شـعري متـى يكـون الـولاد
قـد ظننـت المنـون مـن قبـل هـذا همهـا في البريـة الأعـداد
لـيس تـدرى مـا عـالم وجهـول واسـتوى الغـور عنـدها والنجـاد
تنتقـى الأمجـاد مـن كـل حـي وتخـلى الأوبـاش والأوغـاد
والهـمام الإمـام حلـق عنـا راحـلاً والمعلـم الأسـتاذ
زيـن أهـل التقـى وركـن المعـالي وعـماد الـورى ونعـم العـماد
كنـت شمسـا للسـالكين وبـدراً بك يجلى العمـى ويهـدي الرشـاد
وحسـاماً عـلى المضـلين يشـقى بشـباك الفسـاد والأفسـاد
وعـويص مـن المسـائل تنهيهـا وقـد فـات أهلهـا الانتقـاد
وفـروع شريفـة وأصـول قررتهـا أدلـة واعتقـاد
وقضـايا قـد أشـكل الحكـم فيهـا وأبى طـرف ناظريهـا الرقـاد
يـا لقـومي لحـادث عـم ديـن اللـه فانهـدر ركنـه والعـماد
لرزايـا حلـت بـدار المعـالي فالمعـالي لباسـهن سـواد[1]

....

وللشاعر المذكور قصيدة أخرى في رثاء صديقه الشيخ موسى، وكان من الفقهاء العباد الزهاد، فأبنه بذكر بعض فضائله، والتي منها الانقطاع إلى اللـه سبحانه وتعالى، وتبتله وخشوعه له، وغزارة علمه، منها:

قالـوا الكـليم هـوى على غفـر الثرى قلت الجـلال له انجـلى فتعفرا

---

(1)الكشكول ليوسف البحراني 3/ص 448، 449، 450، 451.

متحنكـــا تحـــت الظـــلام ووجهـــه　　يكسو الدجنة منـه وجهـاً مسـفرا

تلقـــى الخشـــوع بوجهـــه متـــأثراً　　وتـرى النشـيج بصـدره مـتكسرا

يتـنفس الصـعداء في جـنح الـدجى　　متأوهـــاً متأســـفاً مـــتحسرا

تتـــنعم الأكـــوان مـــن بركاتـــه　　وتراه حـبس البيـت أشعـث أغـبرا

المسـك أطيـب مـا يكـون مـن الشـذا　　وفعالــه للمســك مســكاً أذفــرا

وشـــمائل في الـــدين طيبـــه الشـــذا　　لــو أنهــا انشـقت لكانــت عنـبرا

تبكيـــه آيـــات الكتـــاب تـــلاوة　　وجليـل معنـاه اللطيـف مـفسرا

متواضـــعاً في اللـــه جـــل جلالـــه　　مترفعـــاً عمـــن ســـواه تكـــبرا([1])

....

وله يندب أخاه:

يــا شــقيقي وأيــن منــي شــقيقي　　مطلب عاند عـلى الكـرب صـعب

عـــلى أن يبلـــغ الـــزفير إليـــه　　ودمـــوع لهـــا مـــع السرب سرب

وجـــوى في الحشـــا يهيجـــه القـــرب　　أدكـــاراً وأيـــن منـــك القـــرب

لم يطـب لي مـن بعـد بعـدك طيـب　　وصـحيب فـما يكـون الصـحب

كـــل عـــذب تركتـــه لي مـــرًّا　　غـير مـر الجـوى ففـيَ عـذب

فطعـــامي لمـــا نأيـــت ســـقامي　　ودمـــوعي لمـــا قضـــيت الشرب

صـــبغت أدمعـــي ثيـــابي حتـــى　　أنها مـن نضـارة الـدمع قشـب([2])

....

وللشاعر عدنان بن شبر المحمّري قصيدة رقيقة في رثاء صديقه نـاصر بـن عبـد الصمد، منها:

كـــذا هجـــمة الزمـــن الغـــادر　　تطلـــع عـــن أجـــل حاضـــر

---

(1)الكشكول ليوسف البحراني 3/ص 485، 486.

(2)الكشكول ليوسف البحراني 3/ص 504.

وتنـــزل عـــن صـــهوات البقـــا	إلى جـــدث العـــدم المـــائر(1)
وعنـــدي منهـــا لصـــوت النعـــي	فـــؤاد كخـــافقتي طـــائر
فيـــا ناعيـــاً طيبـــات البقـــا	إلى أول الخلـــــق والآخـــــر
ويـــا نـــاصراً بشـــفار المنـــون	فـــؤاداً تمنـــع عـــن نـــاصر
وأفنيـــت صـــبري وكنـــت الصـــبو	ترحـــل لا أيـــن عـــن خـــاطري
وقفـــت وقـــد كـــر جـــيش الخطـــو	ب عـــلى حـــدّ منصـــلها البـــاتر
بعـــين تجـــارى عيـــون النعـــا	م لهـــا محجـــر لـــيس بالحـــاجر
وهـــل ينفـــع العـــين أن تســـتهل	فأنجـــدها بالـــدم المـــائر
أخـــا الوجـــد نـــاصر ديـــن الإلـــه	متـــى لم يـــر الـــدين مـــن نـــاصر(2)

....

- الشكوى:

عاش الشاعر الأحوازي أوضاع مجتمعة بأبعادها كافة، وتـأثر بهـا غايـة التـأثر، وعبر عنها أبلغ تعبير بشعره، فكان هذا الشعر ترجيعاً وترديداً لمعاناته خاصـة ومعانـاة مجتمعه عامة، طفح بها قلبه واهتزت لهـا أحاسيسـه، فـانبرى يشـكو معضـلات الحيـاة ويندد بمصائب الدهر، ويتحدى التعسف ويصر على إنجاز طموحه، فاتخذ مـن الزمـان رمزاً يصيب عليه ناه غضبه، لأنه الجهة التي لا يخشى بأسـها، وهـو اختيـار مجـازي بـلا شك لتعذر البوح بالمشتكى منه.

ورد هـــذا النـــوع مـــن الشـــعر في قصـــائد مختصـــة بهـــذا الغـــرض، إضـــافة

(1)المائر: السريع - السائل (القاموس / مور).

(2)مجلة كلية الآداب، العدد الثاني عشر، سنة 1969، ص 57.

إلى مقاطع متناثرة بين القصائد المختلفة، تجمع في أغلبها بين الشكوى الذاتية للشاعر نفسه، وبين الشكوى العامة لمجتمعه.

فاشتكى الشاعر ضيق العيش والإحباط في الآمال ونكد الحظ وتقدم العمر وفراق الأهل والأحبة. وتذمر من سلوك المجتمع واضمحلال أخلاقه واعتماده على وسائل متدنية في التعامل على حساب كرامته، وتجافيه للعلماء وأهل الفضل، وكيده للأباة الأحرار.

واسترعى انتباهه التعسف السياسي والقهر الاجتماعي الذي تعرض له أبناء الإقليم على أيدي العناصر الأجنبية الغازية، فعبر عنها بالشكوى السياسية المفعمة بنبرة الاحتجاج والمشبعة بالصرخة المدوية لمناهضة الاستعباد.

وكان الشاعر علي بن خلف أحد ضحايا هذا الانتهاك، ولذلك عبر عنها بألم صادق ونقد لاذع. وكانت قصائده المسماة بالقزوينيات([1]) كلها مليئة بالشكوى نظمها في دار الغربة حينما فرضت عليه الحكومة الصفوية الإقامة الجبرية في منطقة قزوين.

ومن هذه القصائد قصيدته التي يشكو فيها البعد عن الأهل والوطن وشدة الحزن وطول السهر والتنقل بين مناطق قزوين وأصفهان وكاشان مرغما، منها:

مــا الــذي ضر صروف الحــدثان	لـو أعـادت مـا تـقضى مـن زمـاني
وزمــــان بالتنــــائي مولـــع	يـا تـرى يسـمح يومـاً بالتـداني
مــا لعينــي لا يــدانيها الكــرى	وفــؤادي مولــع بالخفقـــان
وبـــنفسي جـــيرة ودعـــتهم	وزمــاني بنــواهم قــد رمــاني
تــارة رحـــلي بقـــزوين لقـــى	أو بكاشـــان وطـــوراً بأصـــفهان

(1)ديوان علي بن خلف، ورقة 59.

لا أرى لم مســـــعداً إلاّ البكـــــا	ونجـــوم ليلهـــا ملقـــى الجـــران
كـــم إلى كـــم رحلتـــي لا عـــن رضـــا	والهـــوى حيـــث تســـيل الكرختـــان
تلـــك أرض نبتهـــا شـــوك القنـــا	ومقـــر الأســـد والبـــيض الحســـان
أقرحـــوا الجفـــن وقلبـــي أحرقـــوا	ونـــواهم شـــف جســـمي وبـــراني
أوحشـــوا العـــين وحلـــوا خـــاطري	آه مـــا أصـــنع في نـــاء مـــداني([1])

....

وله يـذكر وحشـة الغربـة وقلـة الأنـس، إذا لـيس حولـه غـير أنـاس أعجـام لا يفقهون منه شيئاً أو يأنس بهم:

هـــل عائـــدات بـــالحمى أيـــامي	وأبـــل مـــن مـــاء العـــذيب أوامـــي
أيـــام أقتـــنص الظبـــا بظفـــائري	فكـــــــأنهن حبائـــــــــل الآرام
يمضي نهـــاري بـــالحنين وبالبكـــا	والويـــل لي إن كـــر جـــنح ظـــلام
لا فـرق بـين الليـل عنـدي والضـحى	فكـــأن دهـــر الصـــبّ ليـــل تمـــام
لا مســـــعد إلاّ حنـــــين ركائـــــب	وصـــهيل ســـابقة ونـــوح حـــمام
عمـــري تـــقضّى بالتباعـــد والنـــوى	وقليـــل قـــوت إن نظـــرت حـــرام
تـــأبى جنـــوبي أن تلائـــم مضـــجعي	والجفـــن لم يهنـــأ بطيـــب منـــام
نـــاء عـــن الأولاد والأحبـــاب و	الأخـــوان والأخـــوال والأعـــمام
عـــربي أصـــل بالأعـــاجم مبـــتلى	يـــا وحشـــة العـــربي بالأعجـــام
لا مســـعد إلاّ ســـواجم أدمـــع	وعهـــدتها مـــن قبـــل غـــير ســـجام([2])

....

وله يستغيث بآل الرسول (صلى اللـه عليه وسلم) ويشكو طول مكوثه في قزوين أسيراً

(1)ديوان عل بن خلف، ورقة 70، 71.

(2)ديوان علي بن خلف، ورقة 78-79.

مشرداً عن الأهل والوطن، وليس في تلك الديار شيء، ولكن إرادة السلطان الصفوي فرضت عليه هذا الحكم:

يا سادتي أنتم كهفي ومعتمدي	بعد الإله إليكم منتهى أملي
أشكو إليكم نوى طالت مسافتها	وشدة أعوزت في دفعها حيلي
مشرداً عن دياري مفرداً وجلا	كالسيف عري متناه من الخلل
كم الجلوس بقزوين على قلق	مضن ولا ناقتي فيها ولا جملي
لا مؤنس غير أنفاس أصعدها	لا مسعد غير دمع واكف هطل
حولي أناس إذا حاولت نصرتهم	لم يعرفوا غير توبيخي أو العذل
وقد قضى بهم علمي وتجربتي	ألا أعول في الدنيا على رجل(1)

....

وقال يشكو تكالب المحن عليه، وكأنها اتخذت على نفسها عهداً أن لا تفارقه فتراكمت عليه الهموم، وأرهقه الألم، وفجع بفراق أهله وأحبابه ووطنه وكل ما يملك، حتى وجد نفسه وحيداً في دار الغربة:

لو كان بعض الذي ألقى من المحن	يبلى به زمني ما ساءني زمني
ما للزمان كفانا الله صولته	بالخطب دون البرايا قد تعمدّني
إن كنت تجهل نعتي لست تعرفه	فاسأل عن الهم والبلوى فتعرفني
من كان ذا الدهر أبكاه وأضحكه	فما حظيت بيوم منه أضحكني
في كل صبح جديد أو مسيته	تنوبني نائبات منه تمرضني
قد لازمتني فلو حاولت فرقتها	آبت نوائب دهري أن تفارقني
كأنها خلقت لي مذ ولدت لها	ورضعتني بدر الهم والمحن
قد أبعدتني عن داري وعن وطني	وأوحشتني من أهلي ومن سكني

(1)المصدر السابق، ورقة 84.

لم تبــق لي صــاحباً أملــت نصرتــه   إلاّ وعـــن لـــه أمـــر ففـــارقني

ولا مكانـــاً تحـــب الـــنفس مســـكنه   إلاّ وحـــان زمـــاع عنـــه أحفـــزني

كأنهـا نازلـت قـومي وقـد ضـعفت   عـنهم وقـد أفردتنـي كي تنـازلي

كـم مـن حبيـب رمتنـي في تباعـده   بـالرغم منـه ومنـي أن يباعـدني

ودعتـــه ودمـــوع العـــين تشـــغلني   والـدمع يشـغله مـن أن يـودعني

فـلا صـديق إليـه مشـتكى محنـي   ولا رفيـق يواسـيني عـلى الحـزن

أنّي إلى اللـــه أشـــكو مـــن عدواتـــه   عسى إلهـي منهـا أن يخلصـني([1])

....

وللشاعر المذكور شكوى مريرة من إجراءات الحكومة الصفوية، التـي ادعـت الحكم باسم الإسلام ورعايته الإشراف فقال:

أرجـــو مـــن الـــدهر الخـــؤون وداداً   وأرى الخليفـــة أخلـــف الأوعـــادا

يـا دولـة مـا كنـت أحسـب أننـي   أشقى بهـا وغـدا الشريـف عـمادا

وإذا هبطـت عـن العـلى بفضـائلي   فتعجبـوا ثـم انظـروا مـن سـادا

يـــا درة بيعـــت بـــأبخس قيمـــة   قـد صـادفت في ذا الزمـان كسـادا

دهــــر يحــــط الكــــاملين ويرفــــع   الإنـــذال والأوبـــاش والأوغـــادا([2])

....

وبالإضافة إلى الشكوى السياسية التي عكستها بعض قصائد هذا الشاعر كانت له قصائد أخرى يصف بها نوائب الدهور، ويشتكي من أهواله، منها:

أماني نفـــس لا تـــزال كمـــا هيـــا   حوامـــل لا ينتـــجن إلاّ أمـــانيا

---

(1)ديوان علي بن خلف، ورقة 86.

(2)المصدر السابق، ورقة 105.

تمنينـــي الـــدنيا بخلـــب وعـــدها وهـل يـنقعن الآل مـن كـان ظاميـا
فيـا ليتهـا أبقـت مناهـا ولم تشـب مناهـا بمـا يجـري الـدموع الجواريـا
أرى كـــل شيء في الوجـــود معاكســـاً فقل في فتى أضحى له الـدهر قاليـا
ومـــا طلعـــت إلاّ لكيـــدي نجومـــه فيـا هـل تـراني قـد وتـرت الـدراريا
إلى اللـــه كـم أشـكو الزمـان وأهلـه عزيز على العليا إن رحت شـاكيا[1]

....

واشتكى الشاعر عبد علي بن رحمة الحويزي من الدهر، لأنه عاقه عن الوصول إلى مطالبه، حتى بدا الشيب في مفرقه، فقال:

شـهودي عـلى أني لأذن العـلى قـرط لباس التقى والعلم والشعر والخـط
ولم يقض لي الدهر الخـؤون مطـالبي وها قد بدا للشـيب في لمتـي وخـط
ألا أتشـــكّى مـــن زمـــاني وقـــد غـــدا سلاحاً به يسطو على الأجـدل الـبط
تفـــترس الضـــأن احتقـــاراً أســـوده ويـقصر عـما يـدرك الجعفـر الشـط
إلى اللـه أشـكو جـور دهـري وجـيرة نأوا بالجفـا عنـي ولم ينـأهم شـحط
تبـــاين مـــا بـــين وبـــين أحبتـــي كـأن لم يكـن وصـل لـدينا ولا ربـط
نصـــيبهم منـــي دنـــو إذا جفـــوا رضـا ونصـيبي مـنهم أبـد سـخط[2]

....

وكان الشاعر شهاب الدين الموسوي يعرض شكواه في مقدمـة قصـائد المـديح، وكأن ممدوحه هو المرجع لرفع الظلم وتخفيف الآلام، ومـن ذلـك قولـه يتأسـف لنفـاد أكثر عمره، ولم يتحقق من طموحه شيء، أو يصفو له حبيب، ويشير إلى بعـض المظـاهر غير السليمة بين أبناء المجتمع:

---

(1)ديوان علي بن خلف، ورقة 126، 127.
(2)سلافة العصر، ص 553.

يا خيبة السعي قد ولى الشباب ولا أدركت سؤلي وعمري فات أكثره

ما وفى لي حبيب كنت أعشقه ولا صفا لي قليل كنت أوثره

ولا اختبرت صديقاً كنت أمنحه صفو السريرة إلاّ صرت أحذره

يا دهر ويحك إن الموت أهون من مذمم بك يؤذيني وأشكره

مالي ومالك لا تنفك تقعدني إن قمت للمجد أو حظّي تعثره

لقد غدا البخل شخصاً نصب أعيننا فأصبح الجود عهداً ليس نذكره([1])

....

وله يشكو الزمان ويتهمه بالغدر، وقد نعلم منه الناس عدم الوفاء فيقول:

مالي وما للدهر ليس ذنوبه تفنى ولا عتبي على آنائه

يجني على فضل الجسيم بفضله وكذا الجهول الفضل من أعدائه

فكأنما هو طالبي بقصاص ماشيم صنعته آبائي إلى أرزائه

الزمان الغدر وهو أبو الورى فمتى الوفاء يرام من أبنائه

لحقوه في كل الصفات لأنهم ظرفوا به والماء لون إنائه

فعلام قلبي اليوم يجرحه النوى ولقد عهدت الصبر من حلفائه

يا حبذا عيش على السفح انقضى والدهر يلحظنا بعين وفائه

والشمل منتظم كما انتظم العلى بندى علي أو عقود ثنائه([2])

....

وله في ذم الزمان ومساوىء المجتمع:

مالي ومال الدهر ليس بمنجز وعدي ولا أملي لديكم ينجح

(1)ديوان شهاب الدين الموسوي، ص 38.

(2)ديوان شهاب الدين الموسوي، ص 63، 64.

أشكــــو الزمـــــان إلى بنــــيه وإنـــما فسد الزمـان ولـيس فـيهم مصـلح ([1])

....

وله يتألم لقطيعة أحبابه وجفاء زمانه:

مـا حيلتـي بعـد المشـيب لوصـلكم وصـباي عنـد حسـانكم لا ينفـع
أشـكو إلى زمنـي جفـاكم وهـو مـن إحــدى نوائبــه ومنهــا أفظــع
يــا قلــب لا نلــق ولا تــك واثقــاً بــالبشر منـــه فإنـــه متصـــنع
وبـــــبِّره لا تســـــتعز فإنـــــه فـــخ بحبتـــه يكيـــد ويخـــدع
كـــم في بنيـــه ظـــالم مـــتظلم كالذئب يقتنص الغزال ويطلـع([2])

....

وله في كثرة المصائب وتعدد الجروح:

لله كــم لـــك يـــا زمـــاني فيَّ مـــن جـــرح بجارحـــة وســـهم وبـــال
صـيّرتني هـدفاً فلـو يسـقي الحيـا جـــدثي لأربـــت تربتـــي بنبـــال
ألفـت خطوبـك مهجتـي فتوطنـت نفسي عـلى الأقـدام في الأهـوال([3])

....

وللأديب نور الدين الجزائري (ت 1158هـ/ 1745م) قصيدة سماها «ناظمة الأحزان في الشكوى من الزمان» ضمنها تصوراته عن الدهر الذي ناصب الأخيار العداء وأقام لهم المكائد، ورفع الأشرار الجهال على رقاب الناس، وجعل أمور الدنيا في متناول أيديهم، منها:

هو الدهــر لا يلقــى لديـه ســرور فتخـيل طـيب العيــش فـيه غـرور

(1)ديوان شهاب الدين الموسوي، ص 84.
(2)المصدر السابق، ص 103.
(3)المصدر السابق، ص 124.

هو الـدهر لا يصـغي إلى ذي شـكاية بحـق شـكا الأحـوال أو هـو زور
هـو الـدهر لم يـنجح لتحكـيم عاقـل وأن حكــم الجهـــال فهـــو وزيـــر
لحى اللـه هذا الدهر مـن متصـنف لـــئن سر يومـــاً فالبكـــاء شـــهور
وأن رتـب الأحـوال يومـاً عـلى الـورى فذو المجـد خـاف والسـفيه شـهير
وأنجـــاح أمـــال الكـــرم مـــعسر عليــه ونيــل الجـاهلين يســير(1)

....

ثم يشير إلى سلوك بعض الناس بالنقد الجارح، ويأخذ عليهم عدم التمييـز بـين الصالح والطالح:

رأيـت الـورى لم يعقلـوا مـن تفـاوت دخـان عـلا في الجـو أو هـو نـور
ولم يفرقـــوا بـــين الوهـــاد وشـــاهق وتـل دحـي في الأرض أو هـو طـور
فمــذ رفــع التمييــز واختــل وضــعه عرى الحال خفض والصحاح كسـور
ونظــم الكوامــل قــد تقطــع وزنــه وبيـــت التقـــارب أغرقتـــه بحـــور
وأنجـــم ســـعد أبـــدلت بنحوســـها وتحـــيّرت في السر كيـــف تســـير(2)

....

بعد ذلك يستعرض همومه وغمومه التي منها العوز والحرمان ونـدرة الخـلان الصالحين، وضياع الفضيلة:

أيـا دهرنـا الغـدار قـل لي إلى متـى أكابـــد عـــما لـــيس فيـــه فتـــور
أبـــات ضـــجيعاً للســـهاد ولـــيس لي سـوى طـول أحـزان الزمـان سـهير
يمـــر زمـــاني بالعنـــاء ويـــنقضي عــلى الكـره منـي أشـهر ودهـور
ودرت فيـافي الأرض طـرا فلـم أجـد أخـــا ثقـــة في الخـــافقين يـــدور

(1)فروق اللُّغات للسيد نور الدين الجزائري، ص 309، 310.

(2)فروق اللُّغات للسيد نور الدين الجزائري، ص 310، 311.

وما زلت للأشجان والرزء كاتماً وفي الصدر منها لوعة وزفير

وأسال ربي الله حسن مآبنا وامحاء زلات لهن خطور([1])

....

وللشاعر هاشم بن حردان الكعبي قصائد عدة يشكو فيها نائبات الدهر وقساوة الزمان والليالي المرة، التي منها قوله:

لله كم نفس تقاسي ما جرى لله كم عيني ترى ما لا يرى

كابدت من مر الليالي حنظلا ذاقه الحنظل يوماً لشكا

لو مالي وللدهر طلابي سلمه من حيث لا يلقي إلى سلمي يدا

في كل يوم منه شن غارة طلاعها الأرض بلاغها السما([2])

....

وله أيضاً، يعلن عن تصميمه على مواجهة النائبات، وثباته على التحدي الرزايا:

من مبلغن النائبات دعوتي لو كان سمع سامع لمن وعى

لا تحسبن النائبات أنني رىً لكل شارب أو محتسى

والصخرة الصفواء لا تأخذها ضرب المعاويل إذا الباغي بغى

يلين للصديق رفقاً جانبي رعاء حق وده وأن قسا

ما يتبغي مر الرزايا من فتى مر الرزايا عنده حلو الطلا

لو حملته الدائرات منة لعافاها ولو أباحته المنى

أو تخلع المجرة الثوب عني عاتقه عن كف ذل ما ارتدى([3])

....

(1)المصدر السابق، ص 312، 313

(2)الكشكول ليوسف البحراني 429/3- 430.

(3)الكشكول ليوسف البحراني 430/3.

وقال متشائماً من دهره الذي استحالت في المسرة ولازمه الكرب:

أهـاج حشـاك للشـادي الطـروب قريـر العـين في الغصـن الرطيـب

فكـم للقلـب مـن وجـد وحـزن وكـم للطـرف مـن دمـع سـكوب

ونفـس حشـو أحشـاها همـوم يشـيب لهـا الفتـى قبـل المشـيب

تبيـت وليلهـا بـالهّم هـاد وحشـو نهـاره عقـد الكـروب

تخيـل أن ضـوء الصـبح ليـل بـه جـاء الصـباح مـن الغـروب

تجهـم لـيس تـدري مـا تلاقـي كفايتهـا مـن الصـبح القريـب

تـرى الأحـزان مثـل الفـرض فرضـاً وتحـريم السـلو مـن الوجـوب([1])

....

وللشيخ سلمان بن محمد الفلاحي يشكو دهره إلى الباري سبحانه وتعالى:

إلى اللـه أشـكو كـل يـوم وليلـة نوافـذ هُـم كالسـهام المـوازق

عسى اللـه أن يرتـاح لي بارتحالـه إلى سـعة عـن عسر تلـك المضـايق

غياثـك يـا رب العبـاد فـلا أرى سواك مغيثاً من صروف البوائـق([2])

....

وله يستغيث بالإمام علي _عليه السلام من أمور تخيفه:

إليـك رحلـت رحلـة مسـتغيث مـن الأهـوال والخطـر الكريـث

وأتبعـتُ المطيـة مـدفعات إلى مغنـاك بالسـير الحثيـث

وحبـل اللـه حبلـك وهـو حـق فـلا بالمسـترك([3])ولا الرثيـث([4])

(1)ديوان هاشم الكعبي (قسم المراثي)، 113.

(2)الكشكول ليوسف البحراني 343/2.

(3)المسترك: الضعيف (القاموس / رك).

(4)الرثيث: البالي (القاموس / رث).

هجـــرت لـــك إلاّ باعـــد والأداني   وحببت القفر من سهل وميـث([1])
فمـــن هـــذا تـــرون إذا ألمـــت   خطوب الـدهر غـيركم مغيثـي([2])

....

وللشاعر عدنان بن شبر الغريفي المحمّري يشكو قلة رعاية العلم والعلماء:

لـــو كنـــت أعلـــم أن كســـب الـــ   ـــعلم يخفـــض مـــن جنـــاحي
وأعــــود منــــه عـــلى الزمـــان   أغــــص بالمـــــاء القـــــراح
أهـــدى عـــلى حســـك المذلـــة   في الغــــــدو وفي الـــــرواح
وأبيـــــت ملتهــــب الضـــــلوع   بنـــــار هــــون والتيـــاحي
لصرفـــــت همـــــي جاهـــــداً   وغضضــت شــيئاً مــن طماحــي
أســـفا لقـــد ســـبق القضـــا   قـــول العـــواذل واللـــواحي
وقضى عــــلى عقـــل الحلـــيم   تطلـــــب المجـــــد الصراح
مـــن لي بـــأن يقـــف القضـــا   ويـــريش قـــادمتي جنـــاحي
فـــأطير نحـــو معاقـــد الـــ   ـــمجد الأثيـــل مـــع الريـــاح
وأفـــــــارقنَّ ذواتيـــــــا   نبتـــت عـــلى غـــير النجـــاح
ورمـــــت قـــــداح ذوي المكـــا   رم والعـــلى رمـــي القـــداح([3])

....

وله يشـكو مـن سـلوك بعـض النـاس الـذين يسـتخدمون وسـائل غـير شريفـة للوصول إلى غاياتهم:

---

(1)ميث: كهف، الأرض اللينة.
(2)الكشكول 342/3.
(3)شعراء الغري 194/6.

ليس يجدي إلاّ وجيف[1] المهارى — فراراً من الأنام فرارا
قلب الناس هل ترى فيهم من — يمدح الذل أو يحب العارا
كلهم ينتقي الفخارا ولكن — أكثر الناس ليس يدري الفخارا
رفع البعض بالملوك رؤوساً — ورأو أن ذاك أعلى منارا
وتحامى بعض مقاربة السلطان — عزا واستحسنوا الأقتارا
وانتضى بعضهم لساناً صقيلاً — أعجميًّا مقللا مكثارا
ومن الناس معشر اتخذوا الصمت — شعاراً ولقبوه وقارا
سنن لم تكن حساناً ولكن — خلق الله خلقه أطوارا
وأناس تهودوا وأناس — جاءهم دين ربهم من بخارى[2]

....

- أغراض وفنون أخرى:

كانت الأغراض الشعرية السالفة (المديح، الفخر، الرثاء، الشكوى) أغراضاً شائعة، وهي تتصدر شعر الإقليم في العصور التي نبحث فيها، إضافة إلى ذلك، وجدت أغراضاً وفنوناً أخرى لم تبلغ سعة وشمول تلك الأغراض، وهي:

1 -الغزل:

كان معظم غزل الشعراء الإقليم غزلاً تقليديًّا، تفتتح به القصائد وتجمل به المدائح وتروح به النفوس، واعتمد الشعراء فيه على نهج الأقدمين في تكرار معاني النسيب واستخدام تعابيره، فكانت ألفاظه عذبة ورقيقة، لكنها تفتقر إلى حرارة العاطفة ولوعة الحب الحقيقي.

(1)وجيف: شرق من سر الخيل (القاموس المحيط / وجف).
(2)شعراء الغري 198/6.

فالشاعر شهاب الدين الموسوي لم أجد في ديوانه قصيدة غزلية واحدة تحمل صدق الشوق وألم الهوى، وإنما كان يستهل مدائحه بغزل يمتزج بألفاظ الفخر والشجاعة وأدوات القتال. ويرمز لحب الأمير باسماء ليلى ورامة، ومن ذلك قوله يمدح الأمير بركة بن منصور:

رنا فسل على العشاق أحوره ... سيفاً عليهم ذمام البيض يخفره

وماس تيهًا فثنى في غلالته ... قدا بحمر المنايا سال أسمره

إلام ألام فيه ولا أحاشي ... ويرقبني الحمام ولا أبالي

أوّرى عن هواه بحب ليلى ... وفي تغزلي وبه اشتغالي([1])

....

وله أيضاً:

بروحي غادة منهن تبدو ... إلى قلبي وتنأى عن مكاني

يمثلها الخيال خيال طرفي ... فأبصرها وتحجب عن عياني

تقد البيض في جفن نحيف ... وتغرى السابغات بغصن بان

إذا نبذت إلى سمعي كلاماً ... حسبت لسانها نباذ حان

ثناياها كدر ثنا علي ... مرتله مرتنة المعاني

ومقلتها وعزمته سواء ... كلا السيفين نصل هندواني

هواه إلى المديح كما دعتني ... كذا التشبيب فيها قد دعاني([2])

....

ومن مدائحه التي بدأها بمقدمة غزلية قوله في الأمير بركة بن منصور:

---

(1)ديوان شهاب الدين الموسوي، ص 37، 41.

(2)المصدر السابق، ص 152-153.

نصـــال مـــن جفونـــك أم ســـهام ورمـــح في الغلالـــة أم قـــوام
وبلـــذور نجـــدك أم عقيـــق وشـــهد في رضـــابك أم مـــدام
وشـــمس في قناعـــك أم هـــلال تزيـــا فيـــك أو بـــدر تمـــام
وجيـــد في القـــلادة أم صـــباح وفـــرع في الفقـــيرة أم ظـــلام([1])

....

وكان علي بن خلف صاحب نسب متعفف، وهو القائل: «فتارة أنسب بحزوى ورامة، وآونة أشبب بإمامة ولا أمامة»([2])، ومن ذلك قوله:

أفي كـــل يـــوم لي حبيـــب أودع وطـرف عـلى فقـد الأحبـة يـدمع
أشـيع مـن أهـوى وأعلـم أننـي لروحـــي لا للظـــاعنين أشـــيع
لعمـرك إن العـيش بعـد رحلـيهم ورفـرقتهم مـا لم يؤوبـوا مضـيع
وأن جفـوني مـذ تنـاءت ركـابهم إلى الغرب من وكف السحاب لاهمع
لأن أصبح الـوادي مـن الحـي بلقعاً فبعـدهم قلبـي مـن الصـبر بلقـع
فكـم لي دمعـة بالمعاهـد وزعـت وخـير دمـوع العـين دمـع مـوزع([3])

....

وله في وداع الأحبة:

ولمـا دنـا لتوديـع وانكشـف الغطـا وقـد شـقيت عينـي بمـا نالـه سـمعي
كـأني وقـد بـان الخلـيط مودعـاً أخـو حيـة لم يـرج بـرء مـن اللسـع
وقـد رقـت الشـكوى ورقـت دموعنـا ادمعي من لفظي أم اللفظ من دمعي([4])

(1)ديوان شهاب الدين الموسوي، ص 44.
(2)ديوان علي بن خلف، ورقة 58.
(3)نفس المصدر، ورقة 36.
(4)ديوان علي بن خلف، ورقة 37.

وله أيضاً:

ودع فــؤادك إن الركــب مرتحــل غــدا تسـير بــه الوخــادة الــذلل

في القــرب والبعــد لأنفـك في تعـب فالشـوق إن نزلـوا والحـزن إن رحلـوا

مــا في محبــتهم مــن راحــة لشــج إن قــاربوا ســقموا أو باعــدوا قتلــوا

وفي الظبــاء اللــواتي هــن مــن مضر ظبــي مكانــه الأكــوار والكلــل

أمن دمي صبغت خداه حـين سـطت جفناه أم عادها من سفكه الخجل([1])

....

ومن الغزل العفيف الذي ترفع عن المجون وتوشى بالرقة واللطافة فصيده فتح اللـه علوان الكعبي، والتي منها:

مــن لصـب غلـب الشـوق اصـطباره فلــذا بــاح وللحــب إمــاره

لعبــت في عقلــه أيــدي الهــوى فلعــذر خلــع اليــوم عــذراه

هــو كالغصــن إذا مــاس لنــا وكبــدر الــتم حســناً ونضــاره

يــا غــزالاً مــن ربى كاظمــة كـدر الخـاطر مـذ أبـدى نـافره

كـان يـأتي منـك طيـف في الكـرى ولأمــر منــع اليــوم مــزاره

مــا عــلى مثلــك لــو واصــلنا فـعسى يطفـي مـن القلـب شراره

إنمــا شرط المحبــين الوفــا ووفــاء بســوى الوصـل خسـارة

جــرت بــالحكم عــلى أسر الهــوى حين أبديت مـن الطـرف احـوراره

فالهنــا في وصــل مــن تعشــقه والعنا إن صد أو أبـدى أزوراره([2])

....

(1)المصدر السابق، ورقة 42.

(2)زاد المسافر، ص 4-5.

ومن غزل هاشم الكعبي قوله:

وليـــل يســـاقينا التـــذكر جنحـــه   بهـيماء لا أهــل لــديها ولا صـحب
نزلنـا عــلى حكـم النـوى بركابنـا   وكـان ركابـا بـالهوى ذلـك الركـب
حـــديث كـــأن العامريـــة بيننـــا   نسـيم كـأني عنـده غصـن رطـب
كـأن الـدجى صـب، كـأن صـباحه   سلوا عليه، عاهد العاذل الصب([1])

....

وله أيضاً:

وددت بزعمــي أن في الحـب راحـة   ولم أدر أن الحـــب غايتـــه الهلـــك
عشـقت فلـم أعلـم فلـما اسـترقني   عملت ولكن حيث لا يمكن الفك([2])

....

2 -الأخوانيات:

هي رسائل شعرية يبثها الشاعر إلى أهله وذويه وأحبائـه وأصـدقائه ومعارفـه، وتتناول العلاقات الأخوية والاجتماعية في شتى الظروف والمناسبات بما فهيـا مـن شـوق ووداد واحترام وعتاب وفراق وتهنئة واعتذار ومزاح وزيارة وحنين... إلخ.

وفي ظل هـذه الأجـواء الإنسـانية لا بـد أن يكـون الشـعر خاليـاً مـن التكلـف والتصنع، عذباً في معانيه، سهلاً في ألفاظه، يداعب الـنفس، ويسـترق الشـعور، وهـو مـا نلمسه في أدب الأحوازيين في هذا الفن، فقد تضمن معظم هذه الأفكار المشار إليها.

---

(1)ديوان هاشم الكعبي، ص 74.

(2)ديوان هاشم الكعبي، ص 75.

ومن ذلك قصيدة عبد علي بن رحمة الحويزي التي أرسلها إلى القاضي تاج الدين المالكي:

وحـــق مــــن أرتجــــى شــــفاعته يــوم تكــون الســماء كالمهــل

مـا سـترت عـنكم ولا حشـا بسـوى خيـالكم مـذ نأيـت في شـغل

يـــا تـــاج الآخـــاء مـــا أن مـــن يعقــل عــنكم ركائــب الرســل

لكننـــي قـــد جعلـــت معتمـــدي مـــا أثبتتـــه لنـــا يـــد الأزل

وخـذ عـلى البعـد مـا همـى مطـر تحيـة مـن أخيـه عبـد عـلي[1]

....

وقال علي بن خلف يتحنن إلى أحد أخوته، ويتألم لفراقه:

في أمــــان مــــن الإلــــه ورحــــب أيهـــا الظـــاعنون عنـــي بلبـــي

مـا كفـى الـدهر سـعيه بنـوى الأحـ ـباب حتى انثنى بتشتيت صحبي

لســـت أنسى أيامنـــا بلـــوى الجـــر ع وعـــيشي منـــه بوصـــل وقـــرب

وأخ لـــو بعـــدت عنـــه بأصـــلي قـد دنـا مـن حـماه قلبـي ولبـي

لـــو دعـــاني مـــن البعـــاد لخطـــب كنـــت فـــيما دعـــا إليـــه ملبـــي

فعزيـــز عليـــه يفقـــد شـــخصي وعزيـــــــز أن لا أراه بـــــــربي

صـــاحب إن شـــكوته داء خطـــب كـان مـما أصـابه داء خطـب[2]

....

وقال مجيباً السيد محمد البحراني عن أبيات بعثها إليه:

كتـــابك وافـــاني فـــبرّد غلـــــتي وسحـت دمـوع مذ بعدت سجـام

---

(1)سلافة العصر، 547.

(2)نفحة الريحانة، 165.

كـــريح الصـــبا يشـــتاقه فاقـــد الأسى وتحـــدث منـــه لوعـــة وغـــرام
ســـــلام محـــــب لا يـــــزال وداده مقـــيم بقلبـــي مـــا أقـــام شـــمام
يقولـــون إن العبـــد يعقـــب ســـلوة إذا مـــرة شـــهر أو تجـــدد عـــام
فهـــذي شـــهور الصـــيف عنـــا تصرمـــت وحالـــت جبـــال دوننـــا وأكـــام
فـــــما لفـــــؤادي لا يقـــــر قـــــراره وجفنـــي قضى لا يعتريـــه منـــام([1])

....

وله يعاتب والده:

لا تحســـبي الصـــب ســـليمى ســـلا أو أن يزيـــــــل الآخـــــــر الأولا
يـــــا ماجـــــد أغفـــــل صمصـــــامه وكـــان ضـــد الحـــزم أن يغفـــلا
لا تعطـــش الغصـــن الـــذي أصـــله مـــن مـــاء أنعامـــك قـــد أنهـــلا
أبعـــد مـــا حـــاول النيـــل الســـها تحـــــب أن يهـــــبط أو ينـــــزلا
أبعـــــد ذاك القـــــرب والاعتنـــــا يكـــون منـــك البعـــد لي والقـــلا
إن شـــئت أن تســـير مـــن في المـــلا تجـــــدني الأوحـــــد والأكمـــــلا
لا أضرع الـــدهر ولـــو طبـــق الـــــ ــــدهر بمـــــا أضـــــهد أو أثقـــــلا
لكـــــن ذلي لـــــك عـــــزّ ومـــــن ذل لمـــــولاه فقـــــد بجّـــــلا([2])

....

وقال معاتباً أباه أيضاً:

ويـــلاه مـــن طـــيفكم ومـــا نقلـــه أجـــج في القلـــب إذ أتى شـــعله
يقـــول مـــن كنـــت واثقـــاً بـــوداد منـــه طـــارت بـــودّه القولـــه
لكـــم محبـــاً مـــا اعتـــاد هجـــركم بقربـــه كيـــف نازحـــاً شـــمله

(1)ديوان علي بن خلف، ورقة 72.

(2)ديوان علي بن خلف، ورقة 17.

كـــــان لـــــه في ودادكـــــم أمـــــل	فقطـــع الهجـــر مـــنكم أملـــه
وكـــــــان يحتـــــــال في زيـــــــارتكم	فقطـــع اليـــأس مـــنكم حيلـــه
خـــــالف عذالـــــه لأجلكـــــم	لأي ذنـــب صـــدقتم العذلـــه
أضـــــعتم حقـــــه وحرمتـــــه	لم يـرع حـق النفـيس مـن بذلـه
أرخصـــــتم بيعـــــه عـــــلى ثقـــــة	إن تبـــدلوه فبينـــوا بدلـــه
مـــــن مثلـــــه ســـــؤدداً ومكرمـــــة	سـارت بـه الواخـدات والنقلـه(1)

....

وقال مهنئاً والده بسلامة الوصول من سفر:

الحمــــــــــد لله الــــــــــذي	أذهـــــب عنـــــا الحزنـــــا
وأذهـــــــــــــــب الآلام والأ	ســـــقام عنـــــا والعنـــــا
بمقـــــــدم النـــــــدب السرى	الأريحـــــي ذي الثنـــــا(2)

وللشاعر شهاب الدين الموسوي قصائد عديدة في هذا المجال، منها قصيدة يعتب فيها على أحد أولاده لرحيله عنه إلى بلد آخر، فقال:

جعلتــك بالســويدا مــن فــؤادي	ومــن حــدقي فــديتك بالســواد
هويتــك واصــطفيتك دون رهطــي	وأولادي فكنــت مــن الأعــادي
جهلــت أبــوتي وجحــدت حقــي	وقابلــت المـــودة بالعنـــاد
أتـــنسى حســـن تربيتـــي ولطفـــي	ومـا سـبقت إليـك مـن الأيـادي
رجـــوت كالعصـــا لأوان شـــيبي	ومعتمـــدي إذا مالـــت عـــمادي
وأن كسرت يـــد الحـــدثان عظمـــي	تـــرى منـــه بمنزلـــة الضـــماد

(1)ديوان علي بن خلف، روقة 67.

(2)المصدر السابق، ورقة 13.

ولست إخال فيك يخيب ظني ... ويخطي سهم حدسي واجتهادي

عساك على عطف يا حبيبي ... وتهجر ما تروم من البعاد([1])

....

وله رسالة بعثها إلى صديقه حسين بن علي، وكانت تربطه به علاقة مودة عميقة، منها:

سلام حكى في حسنه لؤلؤ العقد ... وضمخ منه الحبيب بالعنبر الورد

وأروى تحيات تغنى بروضها ... حمام الثنا شكراً على فنن الود

وخير دعاء قد أصاب إجابة ... بسهم خشوع فوقته يد المجد

من المخلص المملوك يهدي كرامة ... إلى السيد المعروف بالفضل والوفد

إلى ابن الكرام الفاخرين ذوي العلى ... حليف الندى المولى الحسين أخي الرشد

ألا فاحملي يا ريح مني أمانة ... تحدث عن حفظ العهود له عندي

رسالة مشتاق إليه كأنما ... تنفس منها الصبح عن عبق الند

وعني قبّل يا رسول يمينه ... وبث لديه ما أجن من الوجد

وبلغه تسليمي عليه فعلّه ... يجيبك في رد السلام على البعد([2])

....

وله مهنىء السيد عبدالله بن عبد المطلب بختان ولده نصر الله:

والوقت راق ورق حتى صفقت ... ورق الغصون على غنا الورقاء

فتهن بالود السعيد وختنه ... وارشف هنيئاً شهدة السراء

ولد به ما فيك من شرف ومن ... فخر ومن بأس ومن إعطاء([3])

....

---

(1)ديوان شهاب الدين الموسوي، ص 224-225.

(2)المصدر السابق، ص 207، 208.

(3)ديوان شهاب الدين الموسوي، ص 183.

وللأديب محيي الدين بن الحسين العاملي قصيدة احترام وتقدير لصديقه الشاعر معتوق بن شهاب الدين، منها:

كـــان حظّـــي والحمـــد لله أني	كل من قد هويت جعد الكفوف
مـــا عـــدا ماجـــد تملّـــك رقـــي	جـــل عـــن أن يبيّنـــه توصـــيفي
مظهـــر الخافيـــات صـــنو شـــهاب	لا تـــرى فهـــي وصـــمة المكســـوف
لم أطلـــق وصـــفه ولا نقـــص مـــن أن	لا تـــرى الشـــمس مقلـــة المكفـــوف
ذو لســـان كســـيف عمـــرو ولكـــن	فـــاق ذاك الحديـــد حـــد الســـيوف
لا تـــــرى عالمـــــاً ولا العلـــــم إلاّ	وهـــما وصـــفه مـــع الموصـــوف
لا يجـــارى الســـحاب منـــه جـــواداً	ليس جري الجواد حظ القطوف([1])

....

وللشاعر عدنان بن شبر معاتباً الشيخ عبد الكريم الجزائري:

أوغلـــــت في قطـــــع الصـــــله	تـــــرك العتـــــاب الحمـــــد لـــــه
وتركـــــت طبعـــــك لا كمـــــن	عقـــــد الوفـــــاء الطبـــــع لـــــه
وبعثـــــت رســـــلك بالرســـــا	لـــــة في الثيـــــاب المرســـــلة
فقـــــــرأت عنـــــــد وروده	زبـــــرا خلـــــت مـــــن بســـــمله
ســـبحان مـــن جعـــل الرســـو	ل كعقـــل مـــن قـــد أرســـله
ولـــــه تعـــــالى الكـــــبر لا	لـــــذه الســـــوام المهملـــــه
مـــــالي أرى كـــــلا مـــــن	الأقـــــوام أحمـــــد محملـــــه
يـــــنسى أخـــــا عدنانـــــه	مهـــــما يواجـــــه خزعلـــــه([2])

....

(1)نشوة السلافة، ج 2/ ورقة 16.

(2)شعراء الغري، ج 6/ 214.

وللشيخ سلمان بن محمد الفلاحي قصيدة بعثها إلى أحد أصدقائه في النجف الأشرف يطلب فيها الاتصال العلمي والأدبي، منها:

شـــــيخنا شـــــيخ محمـــــــد   لم تـــــزل في العلـــــم أوحـــــد
لـــــــك عـــــــادى فخـــــــار   ســـــنا المجـــــد توقـــــد
ضرم يقتـــــــنص العليـــــــاء   يـــــــنقض ويشـــــــتد
ســـدت أهـــل الفضـــل علـــماً   بيـــــدي الحـــــل والشـــــد
لـــك أخـــلاق هـــي الصـــهباء   في الكـــــــاس توقـــــــد
أنـــت بـــدر الســـعد زهـــواً   بازغـــــاً في خـــــير محتـــــد
علـــــم يرفـــــع نصـــــباً   في مرامـــي الفخـــر مفـــرد
طـــــب وحســـــادك قسراً   أضرعـــت منهـــا لـــك الخـــد
وسراة الركـــــب هبـــــت   لـــك في بيـــداء فـــد فـــد
لمعاليـــــك تغنـــــت هزجـــــاً   في صـــــــوت معبـــــــد
جمعـــت كـــل مثـــاني الحمـــد   ذات لـــــــك تحمـــــــد[1]
دمـــــت في عـــــيش رغيـــــد   راســـياً في العلـــم صـــيخد[2]

....

3- الوصف:

استرعت الطبيعة انتباه الشعراء الأحوازيين، فتناولوها في شعرهم، فوصفوا الزهور والأعشاب والطيور والأشجار والغزلان والأمطار والظلمة والنور فكانت قصائدهم محشوة بألفاظ الطبيعة ومفاتنها وسحرها، وأغلب تشبيهاتهم واستعاراتهم تعتمد على جمالها الأخاذ.

---

(1)معارف الرجال 341/1.

(2)الصخيد: الشديد، الصلب (القاموس المحيط).

ومن ذلك قصيدة علي بن خلف يصف سحابة، فقال:

يــا رب وطفــى أو دعــت أي دعــه حـدت بهـا هـوج الريـاح الأربعـه

أثـــارت الأرض وكانـــت بلقعـــه كـم توجـت مـن ربـوة مصـلّعه

وكـم غـدت مــن سرحــة ملفّعــه أنظـر إلى روض الحـما مـن أينعـه

وشـــيحه ورنـــده مـــن أنقعـــه وأنظـر إلى عـراره مـن ضـوعه[1]

....

وقال في الشقيق:

قـــال الشـــقيق وحقـــه إذ جـــاء بـــاللون العجيـــب

أنـــا مـــن تـــرون وجـــورى إلاّ وارد يفضـــلني بطيبـــي

وأرى لـــــذلك علـــــة كانـــت لـــه أوفى نصـــيب

هـــو مشـــبه خـــد الحبيـــب ومشـــبهي دمـــع الكئيـــب[2]

....

وله أيضاً في الورد:

يـــا مشـــبهاً خـــد الحبيـــب بلونـــــه وبريحـــــه

هـــب قـــد حكيـــت وإنمـــا قـــد فـــاق في تفريحـــه[3]

....

وقال في عكس البدر في الماء وهو إذ ذاك بدر عشر ليال:

وليـــلة بتـــها ونحـــن بمـجـــلس مـــن الشـــط راق منـظـــره

---

(1)ديوان علي بن خلف، ورقة 15.

(2)ديوان علي بن خلف، ورقة 15.

(3)المصدر السابق، ورقة 9.

وبـــــدرها بـــــدر عشرة ســـــترت		منـــــه قلـــــيلاً ولاح أكـــــثره
كـــان ماغـــاب رضضـــة يـــد		الـــريح وصـــفق الريـــاح ينـــثره
فيطلـــب الاجـــتماع في فلـــك		الشـــط ومـــوج المياـــاه يقهـــره
كـــــــأن لألأه وبهجتـــــــــه		ذوب نضـــار أريـــق نظـــره[1]

....

وقال شهاب الدين يصف زهر الباقلاء:

أشـــذاء زهـــر البـــاقلاء تضـــوعت		نفحاتـــه أم نشر مســـك أدفـــر
يقــق[2] بــه نشــف الســواد تظنــه		فــوق الغصــون نضــارة للمنظــر
أطفـــــار در قمعـــــت في عنـــــبر		من فوق أيد مـن زجـاج أخضر[3]

....

وقال في وصف العارض:

بروحـــي عارضـــاً كالشـــذر حســـناً		عـــلى يـــاقوت خـــد كاللـــهيب
وحقـــك مـــا ســـعى في الخـــد إلاّ		لـــيلقط نملـــه حـــب القلـــوب[4]

....

وقال في ذم العارض:

قضى نحبـه فليبكـه اليـوم عاشـقه		وعـــاد هشـــيماً آســـه وشـــقائقه
تكـــر في خديـــه مـــاء شـــبابه		ألم ترقد لاحت عليـه علائقـه[5]

....

(1)المصدر السابق، ورقة 7.

(2)اليقق: جمار النخل. القاموس المحيط (يقق).

(3)ديون شهاب الدين الموسوي، ص 224.

(4)المصدر السابق، ص 225.

(5)المصدر السابق، 225.

وقال يصف الأفق حين غروب الشمس وطلوع النجوم:

كأنما الأفق لما شمسه غربت والليل يشمل در الشهب مسدفه
صبّ تردّى بأفواه الأسى فبكى بدمع يعقوب لما غاب يوسفه[1]

....

وقال الشيخ حسن بن أحمد الدورقي ت 1272هـ في القهوة:

سمرة وجه البن في احمرار مع ابيضاض الكأس في اخضرار
ليل الكروب ينجلي إذ تجلى في النار قل ذي هالة الأقمار[2]

....

4- الحكم والنصائح:

نفحات فكرية تستخلص من واقع الحياة التي يعيشها ويتحسسها الشاعر فيطرحها في قالب شعري، يطغى فيه الجانب العقلي على الجانب العاطفي، ويكون للتجربة أثر في صقل الفكرة التي بذهنه، ومن خلال الحكم والنصائح التي يذكرها الشاعر يمكن معرفة أنواع من التقاليد والسلوك الاجتماعي الشائعة في عصره. ويتخذ شعر الحكمة أحياناً وسيلة للرد على موقف عقائدي أو مسألة عقلية تستدعي الرد والمناقشة وعدم التسليم لها بسهولة، ومن ذلك قصيدة ابن رحمة الحويزي في الرد على عينيه ابن سينا[3]:

(1)ديوان شهاب الدين الموسوي، ص 225.

(2)معارف الرجال 345/1.

(3)عينية ابن سينا قصيدة «عالج الفيلسوف ابن سينا بها النفس وشبهها بالحماية التي هبطت من المحل الأرفع الذي هو عالم العقول إلى الحضيض الأوضع الذي هو هيكل الطين». ومطلع القصيدة:

هبطت إليك من المحل الأرفع ورقاء ذات تعزز وتمنع
محجوبة عن كل مقلة عارف وهي التي سفرت ولم تتبرقع

ينظر شرح العينية بتحقيق الدكتور حسين محفوظ، ص 13 وما بعدها.

لا ابتـــــداء إلاّ لـــــــه انتهـــــــاء جـــل مـــن كـــل شـــأنه ابتـــداء

قـــال للكـــون كـــن فكـــان قـــال وحلـــــت محلهـــــا الأشـــــياء

متســـاو صـــدور مـــا كـــان عنـــه فكصـــــيرورة الـــــتراب المـــــاء

وكخلـــق البحـــار خلـــق المرامـــي وككـــون النـــيران كـــان الهـــواء

أنـا مـن جـس نـبض ذا الـدهر حتـى اســـتويا فيـــه يأســـه والرجـــاء

أوضـحت لي منـه التجـارب مـا كـا ن عـلى مـن سـواي فيـه خفـاء

يســـتقر الســـفيه جهـــلاً بـــدنيا ه ويلهـــو عـــمّا أتـــاح القضـــاء

نحـن أهـداف ذي الـقسي مـن الإجــ ـــرام في دهرانـــا فـــأين النجـــاء

ونجـــوم الـــدجى علينـــا عيـــون أبـــدا الـــدهر شـــأنها الإيمـــاء

أمحــــل اللــــه تربــــة أبنتتنــــا إذ ســــقاها برغمنــــا الآبــــاء

بســط ذا العلــم الأثــيري لا يســلم مـــــن أن يروعـــــه الإنطـــــواء

بيـــنما يرتـــدي النهـــار بـــبرد خرقتـــه عـــن متنـــه الظلـــماء

وقصـارى الفسـاد والكـون أن ينفـد قسراً صــــــباحه والمســــــاء

بـــــدؤه هكـــــذا وذا منتهـــــاه وعـــــلى الأس يســـــتقر البنـــــاء

وإذ الابتـــداء كـــان كـــذا فـــالحق أن يقتـــــدى بـــــه الانتهـــــاء

فكــما بــين خلــق مــوسى وفرعــون وجبريـــــل والفـــــراش اســـــتواء

فكـــذا مـــوت ابـــن نـــوح ونـــوح وســـــلميان والـــــذباب ســـــواء

جـــل مـــن لا أتـــاه في ذا نشـــاط لا ولا نالـــــه بـــــذاك عيـــــاء

إن مـــن صـــور العبـــاد تســـاوى	أزلا عنـــده الـــدجى والضـــياء
ما اعتجـاب الـرئيس بـالحق إذا قـال	بمـــــاذا تميـــــز الأنبيـــــاء
فبقـــاء الـــورى ســـواهم فنـــاء	وفنـــاء يظـــن فـــيهم بقـــاء[1]

....

ومن حكم ابن رحمة الحويزي قوله:

بالجـــد يســـتدرك الآبي مـــن الأرب	فاكدح ولا تكـن في عجـز عـن الطلـب
ولا تخـف كبـوة الـدهر الخـؤون فكـم	أعطــى كثــيراً بميســـور مـــن التعـــب
ســار ابــن عمـران نحـو الطـور مقتبساً	وعــاد للأهــل بعـد السـير وهــو نبــي
والمـرء كالسـيف إن لم تـنض صـفحته	لم تــدر ذاك خشـيب أو مــن الخشـب
وأثبت على صدمة الكـرب الملـم فكـم	قد فرح اللـه بعد اليأس من كـرب[2]

....

وقال محيي الدين بن الحسين آل أبي جامع يوصي بالصبر:

صـبرا أخـا الحـظ القصـير وصـاحب	البـــاع الطويـــل عـــلى بـــلاء لازم
إن الزمـــان لمـــن دنـــاءة فعلـــه	رفع الجهـول وخفـض قـدر العـالم
يكفـــي دلـــيلاً للخلائـــق أن حبـــا	دون الأصـابع خـنصراً بالخـاتم[3]

....

ومن نصائح علي بن باليل الدورقي قوله:

إلى متـــى أنـــت باللـــذات في شـــغل	أمـا سـمعت بفعـل الـدهر بـالأول
لا تـأمن الـدهر إن الـدهر دو حيـل	أعيـا عـلى كـل ذي عقـل وذي جـدل

---

(1)شرح عينية ابن سينا، وقصيدة في الرد على ابن سينا، ص 26.

(2)السيرة المرضية، ورقة 122.

(3)الحالي والعاطل، ص 90.

أيـــن النجـــاة مـــن الأرزاء فـــاغرة والمـوت يفـتر عـن أنيابهـا العصـل[1]

وكيـف نرجـو انهزامـاً مـن مصـارعنا والحتف يسبق طرف الطالـب العجـل

فاحمل مـن الـزاد شـيئاً للرحيـل غـداً إن المســافر لا يغنــى عــن الثقــل

مـا بـال سـعيك للـدنيا عـلى عجـل مـلاء الفـروج وللأخـرى عـلى مهـل

قم سابق الموت واعكس ما منيت بـه وانهـض إلى عمـل الأخـرى عـلى عجـل

أو ســاو بيــنهما ســعياً وأن رميــت رجـلاك عـن أنفـع السـعيين بالكسـل

ولا تــقصر عـــن المعـــروف تمهلـــه فالـدهر يفـدى لـك السرعـات بالمهـل

....

ومن حكم شهاب الدين الموسوي قوله:

لو أتقي الرجم مـن شـهب النصـال لمـا في الليل نلت عناق الشمس في الكلل[2]

لا يـدرك الأمـل الأسـنى سـوى رجـل يشـق بحـر الـردى عـن جـوهر الأمـل

ولا ينـال المعـالي الغـر غـير فتـى يـدوس شـوك العـوالي غـير منتعـل[3]

....

وله في الحكمة أيضاً:

لـو أقسـم المـرء بـالرحمن خالقـه بأن بعض الـورى لا شيء مـا حنثـا

إن كـان شـيئاً فغـير اللـه خالقـه اللـه أكرم من أن يخلق العبثـا[4]

....

(1)العصل: معوج، وناب أعصل، أي بين العصل، أي: أعوج والجمع عصل

(2)قلائد الغيد، ص 6، 7، 8.

(3)ديوان شهاب الدين الموسوي، 24.

(4)المصدر السابق، 226.

ومن وصايا الأديب محمد مؤمن بن محمد قاسم الملقب بالحكيم الجزائري:

دع الأوطـــان ينـــدبها الغريـــب وخـل الـدمع يسـكبه الكئيـب
ولا تحـــزن للأطـــلال ورســـم يهـب بهـا شـمال أو جنـوب
ولا تطـــرب إذا ناحـــت حـــمام ولاحـت ظبيـة وبـدا كثيـب
ولا تصـــبُ لرنـــات المثـــاني وألحـان فقـد حـان المشـيب
ولا تعشـــق عـــذارى غانيـــات يـزين بنانهـا كـف خضـيب
ولا تلـــه بحـــب صـــبيح وجـــه شـبيه قوامـه غصـن رطيـب
ولا تشرب مـــن الصـــهباء كأســـاً يكـون مـديرها سـاق أريـب
ولا تصـــحب حمـــيماً أو قريبـــاً فكـل آخ يعـادي أو يعيـب
ولا تـــأنس بخـــل أو صـــديق وذرهـم إنهـم ضـبع وذيـب
ولا تفـــرح ولا تحـــزن بشيء فـلا فـرح يـدوم ولا خطـوب
ولا تجـــزع إذا مـــا نـــاب هـــم فكـم يتلـو الاسى فـرج قريـب
وســـكن لوعـــة القلـــب المعّنـــى وأنشـد حـين يعـروه الوجيـب
عسى الهـــم الـــذي أمســـت فيـــه يكـون وراءه فـرج قريـب
ولا تيـــأس فـــإن الليـــل حـــبلى يكـون ليومهـا شـأن عجيـب([1])

....

وقال هاشم الكعبي يوصي بالقناعة والصبر:

تمـــر ســـنين ثـــم تعـــبر أختهـــا وليس لغير الـلـه في ذي وذي أمـر
فما البـؤس في الـدنيا مقـيم ولا الهنـا ولا الخـير بالبـاقي لـديها ولا الشر

---

(1)أدب الطف، ج 5/ص 139-140.

ولا ينفع المكـروب شيء سـوى الرضـا | بما قدر البـاري لـه الحمـد والشـكر
ولا شيء كالصـــبر الجميـــل لعاقـــل | وأن كـان طعـم الصـبر أيسره الصـبر
فرب رخاء مـن شـدة خفيـف مكثهـا | ورب شفا من علة ضرها الضـجر([1])

....

5 -الزهد:

هو الإقلاع عن ملذات الحياة ومباهجها المادية، والاكتفاء باليسير من متطلبات العيش، لأن الإنسان مآله إلى الموت والرحيل عن هذه الدنيا الفانية فـلا داعـي للتهالـك على منافع قصيرة الأجل، وفي هذا المعنى قال ابن رحمة الحويزي:

دع الـــدنيا ولا تـــركن إليهـــا | فزخرفهـا سـيذهب عــن قليـل
وأن ضــحكت بوجهــك فهــو منهــا | كضحك السيف في وجه القتيل([2])

....

وقال هاشم الكعبي:

لا ينبعـــــث لـــــك هـــــم | فمطلـــب الـــرزق جـــما
الـــــرزق يبعثــــه اللـــــه | وكـــثرة الســـعي مـــما([3])

....

وقال الشاعر عدنان بن بشر المحمري:

إني لأعــلم أســباب الغنــى كــملا | لكني لـست آتيهـا مـدى الأبـد

---

(1)الكشكول ليوسف البحراني، ج 3/ص 459.

(2)سلافة العصر، 554.

(3)الكشكول ليوسف البحراني، ج 3/ص 504.

إن الغنـــى بحبـــال الـــذل منعقـــد وبـــــالتملق والأضرار بالجســــــد
وأنجـع الكـل في تحصـيل معظمهـا تـرك التـدين رأسـاً عـن فـم ويـد
فتـأخرت مـا لا يضر الـدين مركبـه ولا يبـــيح لـــذنب غايـــة الأمـــد
اللـــه أقـــدر فـــيما كنـــت أطلبـــه مني ومن كـل مقصـود ومعتمـد(1)

....

6 -نظم العلوم:

يرتبط هذا اللون من النظم بالشعر بواسـطة القافيـة والـوزن، ومعظمـه عـلى بحر الرجز، ويفتقر إلى العاطفة والخيال، واستخدم ليسهل حفظ العلوم والفنـون، وقـد برز عدد من أدباء الإقليم في هذا الفن، منهم الأديـب عـلي بـن الحسـين آل أبي جـامع، الذي نظم أراجيز في الفقه والنحو والمنطق قوله:

إن أجـــل منطـــق مـــا اشـــتملا عـــلى ثنـــاء اللـــه عـــز وعـــلا
أحمـــــده مصـــــدقاً ومـــــذعناً بـــأن لا إلـــه غـــيره لنـــا
ثـــم صـــلاة اللـــه تـــترى أبـــداً عـــلى النبـــي الهاشـــمي أحمـــدا
وبعـــد فالعبـــد المســـمى بعـــلي نجـل الحسـين الجـامعي العـاملي
يقـــول هـــذي تحفـــة للمبتـــدي ترشـــده أنوارهـــا فيهتـــدي(2)

....

وله قصيدة في النحو، منها في أفعال المدح والذم:

بنعم أمدحن وأذمم ببئس ولم يجـىء هنا فاعل ما هـو مـن لفـظ آل صـفر

(1)شعراء الغري، ج 6/ص 196-197.

(2)الحالي والعاطل، ص 83.

سـوى اسـم مضـاف للـذي عرفـوا بـأل ومضـــمر التمييـــز فيـــه لـــه فسر

و«مـا» قيـل تمييـز، وقـد قيـل فاعـل لدي نحو قـولي نعـم مـا صنع الـخضر

ومن بعد ذا المخصوص قـد جـاء مبتـدأ أو أحكـم بــه والمبتـدأ مـا لـه ذكـر

وقــد شرطــوا فيـــه الطبـــاق لفاعـــل ومــن ثــم للتأويـل في الآيـة اضـطروا

وقـد يحـذف المخصـوص عنـد وضـوحه كنعم الغذا - من بعد أن يذكر - البرّ([1])

....

وله أرجوزة في الفلك، جاء في مقدمتها:

الحمـــد لله الـــذي بـــلا مـــدد قـد رفـع السـماء مـن غـير عمـد

ثـــم صـــلاته عـــلى محمـــد رســـوله المكـــرم الممجـــد

وآلـــه البـــدور في الغياهـــب والأنجـــام الزواهـــر الثواقـــب

وبعـــد هـــذا فيقـــول العـــاملي نجـل حسـين المسـمى «بعـلي»

هــذي مســائل مــن الهيئــة قــد نظمتهــا بعــون ربي الأحــد([2])

....

وللشيخ موسى بن حسن الفلاحي ت 1289هـ منظومة في علم المنطق أسماها (الباكورة)، قال في مطلعها:

يقـول مـوسى وهـو نجـل الحسـن أحمـد ربي اللـــه خـير محسـن

وافـــتح المنطـــق بالتصـــديق لواهـب العقـل عـلى التحقيـق([3])

....

(1)المصدر السابق، ص 86.

(2)المصدر السابق، ص 84.

(3)معارف الرجال، ج 3، ص 44.

7 -البند:

هو فن من الفنون الأدبية المبتكرة في القرن السابع عشر الميلادي، «اقتضته شرعة التطور، وأوجده عامل الزمن، كما أوجد الموشح والرباعيات وأخيراً الشعر الحر وما شاكله»([1]). وهو شكل من أشكال الشعر له خاصتان خرج بهما على قيود عمود الشعر التقليدي هما:

1- إنه شعر ذوي أشطر غير متساوية الطول. وكلما كان تنوع الأطوال أوضح كان البند أكثر موسيقية وأصالة.

2- أنه شعر ذو وزنين هما الرمل والهزج، يتداخلان تداخلاً فنيًّا مستنداً إلى قواعد العروض العربي([2]).

ويرى الدكتور داود سلوم: إن هناك ما (يدلنا على أثر أجنبي في البند وأنه تركيب بحرين فارسيين) هما بحر (القريب) وبحر (المشاكل) من الدوائر (المنتزعة) التي تحوى على البحرين العربيين الخفيف والسريع والبحور الفارسية الثلاثة: القريب والغريب (أو الجديد) والمشاكل، ويبدو ان البند هو تركيب المشاكل والقريب وتجري تفاعيلهما أحدهما بعكس الآخر هكذا:

المشاكل = فاعلاتن مفاعلن × 2

القريب = مفاعلين مفلعلين فاعلاتن × 2

وحين يبدأ الناظم بالنظم يكرر تفعيله (فاعلاتن) من المشاكل ثم

(1)البند في الأدب العربي. عبد الكريم الدجيلي. وهذا الكتاب تحدث فيه المؤلف بشكل تفصيلي عن موضوع البند، وتاريخ ومكان ظهوره مع ذكره لعدد من النبود حسب القرون التي ظهرت فيها. والكتاب مطبوع في عام 1959 مطبعة المعارف، بغداد.

(2)قضايا الشعر المعاصر، ص 177. نازك الملائكة. عقدت الأديبة المذكورة فصلاً ناقشت فيه موضوع البند في الشعر العربي، وعروضه والكتاب مطبوع عام 1962 - بيروت.

يتخـذ مـن (مفـاعلين) جسراً يعـبر عليـه إلى بحـر (القريـب) فيسـتخدم (فعـولن) (= فاعلاتن) وبعد عدد من الأشطر يكرر فيها (مفـاعلين) ويتخـذ مـن (فاعلاتـان) المشـبعة جسر للعبور إلى مفاعلين وأن (علاتان = مفاعيل) وهكذا يدور البحران بالتناوب([1]).

أما مكان وزمان ظهور البنـد، فقـد ذكـر المرحـوم عبـد الكـريم الـدجيلي فإنـه «وجد النبد في منطقة الخليج العربي في المحمرة والأحواز والبحرين»([2])ويعلل رأيه هـذا فيقول: «إن شهاب الدين الموسوي هو أقدم من نظم في البند العربي وأقدم البنود هـي بنوده الخمسة التـي جـاءت في آخـر ديوانـه، وهـي محكّمـة جاريـة عـلى بحـر الهـزج مستوفية جميع شروط البند التي يجب أن تتوافر فيه، ولو كان هو أول مـن نظـم فيـه لما كانت بنوده بهذا الأحكام الـلـهم إلاّ إذا كانت مقتبسة من غيره»([3]).

ومما يـرجح هـذه الفكـرة أن الأديـب عـلي بـن باليـل الـدورقي الجزائـري ت 1100هـ/ 1688م([4])أحد شعراء الأحواز البارزين له إسهام كبير في فن البند جمع قسـماً من بنوده في مصنف وضع له مقدمة ذكر منها قوله (هذه نبذة بنـود قـد بنـدتها عـلى بحر الرمل وعدتها مائة وثلاثة وخمسون بنداً غزلاً ومدحاً وقـد وضـعت كـل بنـد منهـا على أربعين كلمة اسماً كانت أولاً فعلاً أو حفاً مشيراً في كـل منهـا إلى مسـألة علميـة أو صناعة بديعية وإلى كل من الأمرين المعية..)([5]).

ويرى العلامة محسن الأمين العاملي: إن فن البند من اختراع أهل الحويزة([6]).

(1)الفكر النقدي في دراسات نازك الملائكة، د. داود سلوم، ص 21.

(2)البند في الأدب العربي، ص: ص.

(3)المصدر السابق، ص: خ - ذ.

(4)قلائد الغيد، مقدمة الكتاب، ص: ج.

(5)الكشكول 341/3، قلائد الغيد، ص 73.

(6)معادن الجواهر ونزهة الخواطر ع/ 585.

وبناء على ما تقدم إن البند نشأ وتطور في الأحواز ثم انتقل إلى العراق والخليج العربي بحكم العلاقة الثقافية بين أبناء الشعب العربي الواحد في هذه المنطقة.

والملاحظ في البند أنه طرق (كل أغراض الشعر العربي القديم من مدح وهجاء ورثاء ونسيب وتشبيب وتصوف ومن ذكر الأطلال والدمن ووصف الخيل والإبل)([1]).

وبنود الشاعر شهاب الدين الموسوي تضمنت ثلاثة أغراض اثنين في الوصف، وواحد في مدح الرسول وأهل بيته، واثنين في مدح الأمير بركة بن منصور.

قال شهاب الدين الموسوي في أحد بنوده يصف الآيات السماوية([2]): أيها الراقد في الظلمة. نبه طرف الفكرة. من رقدة ذي الغفلة. وانظر أثر القدرة وأجل غلس الحيرة. في فجر سنا الخبرة. وارن فلك الأطلس والعرش. وما فيه من النقش. وهذا الأفق الأدكن. في ذا الصنع المتقن والسبع السموات. ففي ذلك آيات هدى تكشف عن صحة إثبات إله كشفت قدرته عن غرر الصبح. وأرخت طرر النجح. على نحر ضياه فغدا يغسل من مبسمه الأشنب. في مضمضتي نور سناه لعس الغيهب. واستبدلت الظلمة من عنبرها الأسود بالشهب واعتاضت من مفرقها الحالك بالأشيب. وانصاعت من خوف كميت الشفق المعلم. دهم الغسق المظلم. إذ سار من الشرق في سابقة الأشقر ملك فلك الأعظم. وانبث من النور به عيث كافور وأجرت لجج الليل. بثوب السيح الأسحم كالسيل فأسود وأبدى زبد الأنجم من خالص بلور وعسجد فكسته حلة النيل وحلته بإكليل. وجلبته بمصباح. من البدر به لاح. ومن كوكب زهاره بقنديل ومن شهب ثرياه بمشكاة فسواه منيراً

---

(1)البند في الأدب العربي /ص: ت.

(2)المصدر السابق، ص: ت.

فهو الأول والآخـر. والبـاطن والظـاهر. والقـابض والباسـط والباعـث والـوارث والعـادل والعالم في خائنة الأعين سرًّا وجهاراً([1]).

وقال يمدح الأمير ابن منصور:

ملك بن ملـك كونـه اللــه مـن النـور. فـولاه عـلى الخلـق ونـاداه رفعناك على الطور. همام محـت الظلـم مواضـيه سـوى ظلـم جفـون المقـل الحور. وهد من أياديه إلينا أبنية التبر فشـيده معاليـه عـلى أجنحـة الـنسر. وانبتن بواديه رياحين قنا الخط. وأمن مواليه من القحط وذللن له الصـعب. وسهلن له الوعر رمن الغيب فاصماه بآراه. وأنشأ سحب السيل فأجراه بالاه. جواد عشق الفضل. وعاد خلق البخل. وفي السمع مـن العـدل. وأحيـا مهـج البذل. إذ لاح ترى الأعين من راحاته الغيث. ومن فطنته النـار ومـن طلعتـه البدر وفي مغفرة الليث وفي بردتـه البحـر حمـى العـرض مـن الثلـب. وأردى الأسد الغلب. فـما حـاتم في الجـود ولا معـن لـه مثـل. ولا كعـب ولا كسرى وسابور واسكندر في العدل. وفي الجاه له ند واشباه. شفى الأنصل في البـؤس. من الشوس دم الروس. وجلا ظلم الجهل مـن الحـزم بفـانوس. فننـى زوجـه المجد عذارا. وما أنبت في وجنته السن عذارا([2]).

....

ومن بنود الشاعر علي بن باليل الدورقي التي نظمها على بحر الرمل قوله:

---

(1)ديوان شهاب الدين الموسوي، 227-228.

(2)المصدر السابق، ص 229.

فتـــق الغيـــــث عيـــــون الـــــنرجس الغـــــض فراحـــــت
شاخصـــات تنظـــر الآثـــار، والأفكـــار مثـــل العـــالم العامـــل
يتلـــو زبـــر الحـــد خشـــوعاً وتـــرى الطـــل عـــلى حافاتـــه
كالـــدمع في الجفـــن ســـقى اللـــه أويـــس الـــنرجس الغـــض
زلال مالهـــــا عـــــن ربـــــة الـــــنرجس كالإنســـــان ذكـــــرا([1])

....

وقال أيضاً:

نســج الزهــر عــلى دبياجــة الأرض فراحــت في الســما كــالزهر
في التمثيـــل والغـــرض بطـــول الأرض والعـــرض لفيـــف طيبـــه
بـــالنشر يـــنفض كـــنشر الـــرف فيـــه المســـك يـــرفض بعيـــد
القـــبض بـــالعينين والغمـــض أصـــار الزهـــر كـــلا عـــد بـــالبعض
وغـــــــير الزهـــــــر مـــــــما طـــــــاب في الأرضـــــــين نشرا([2])

....

وله أيضاً:

بامنــاخ الســعد والعــز جــمالاً ومحــيط المجــد والفخــر رجــالا
سرت كالشـــمس ومـــا لشـــمس لمولاهـــا مثـــالاً إنهـــا ســـوف
محلــت قبــل منــالاً بعضــها جــود غيــاث يخجــل الغيــث انهــمالا
وكـــمالاً علـــم البـــدر كـــمالاً وجـــمالاً بهـــر العـــالم بهـــرا([3])

....

(1)الكشكول 241/2، قلائد الغيد، ص 73.
(2)الكشكول 242/3، قلائد، ص 74.
(3)الكشكول 254/3، قلائد الغيد، ص 99.

الفصل الثالث

أبرز شعراء الأحواز

....

عبد علي ناصر بن رحمة الحويزي

- إسمه وألقابه:

هو عبد علي بن ناصر بن رحمة الحويزي ([1])، وقد ورد اختلاف في اسمه فقد ذكر إسماعيل باشا البغدادي في هدية العارفين أن اسمه عبد العلي بن ناصر بن رحمة البحراني الحويزي البصري([2])، وترجم له الحر العاملي في كتابه أمل الآمل مرتين، فذكر في موضع أن اسمه عبد علي بن رحمة الحويزي، وفي موضع آخر عبد علي بن ناصر البحراني([3])، وعلق محقق هذا الكتاب على تكرار هذه الترجمة بقوله: «هذا هو ابن رحمة المتقدم لأنه كثيراً ما ينسب إلى جده، بل لا يعرف إلاّ به، ولفظ البحراني غلط أو وهم»([4]) .

---

(1)الغيض الغزير في شرح مواليا الأمير، ورقة 3، السيرة المرضية، ورقة 1، مناهج الصواب في علم الإعراب، ورقة 1.

(2)هدية العارفين 586/1، وينظر تاريخ الأدب العربي في العراق 189/2.

(3)أمل الآمل 154/2، 156.

(4)المصدر نفسه 156/2 حاشية.

لقد اعتاد المؤلف أن يذكر اسمه في مقدمات كتبه، فعل ذلك في مقدمة كتابه السيرة المرضية حيث قال: «وبعد فيقول غبار نعال أهل الفقر عبد علي بن ناصر الشهير بابن رحمة الحويزي([1])، ووجد ذلك في مصنفاته ورسائله التي أتيح لي الاطلاع عليها([2]).

وجاء في مصنفة مدارج النمل في علم الرمل: «وبعد فيقول غبار نعال أهل الفقر عبد علي بن ناصر الشهير بابن رحمة الحويزي المشعشعي»([3]).

اعتقد أن لقب المشعشعي هنا يشير إلى العصر السياسي الذي نشأ فيه، لأنه ولد وعاش في العصر المشعشعي، وأما لقب الجويزي فهو يشير بدون شك إلى مدينة الحويزة عاصمة الدولة العباسية المشعشعية التي ولد فيها الشاعر.

- نشأته وحياته:

لم تذكر المصادر التي ترجمت له سنة ولادته، ولكن مرثاته للأمير مبارك بن مطلب المتوفي في سنة 1025هـ([4])، تمنحنا فرصة للاستنتاج أن موهبته الفنية بدأت تتفجر بالشعر الجيد وخاصة ما يصلح منه للمناسبات الجليلة وهو في العقد الثالث من عمره في أقل تقدير، وذكر أنه قرأ على الشيخ عبد اللطيف بن علي بن أبي جامع العاملي أحد أركان النهضة الفكرية في بداية القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي)([5])

---

(1)السيرة المرضية، ورقة 2.

(2)منها: معارج التحقيق ومناهج التوفيق، ورقة 1، والمشعشعة في علم العروض، ورقة 1، مواهب الفياض في الجواهر والأعراض، ورقة 1.

(3)مدارج النمل في علم الرمل، ورقة 1.

(4)تاريخ المشعشعين، ص 113.

(5)الحالي والعاطل، ص 48. والشيخ عبد اللطيف هو أحد الأعلام الذين استعان بهم الأمير مبارك بن مطلب لنشر المعارف في دولته، فقام هذا الشيخ ابتداء من عام 1003هـ ببناء المساجد والمدارس وإحياء المعاهد، فتخرج عليه عدد كبير من أهل الأحواز وانتفعوا بعلمه.

ففي ضوء هاتين النقطتين نستطيع أن نقدر مولده إن لم يكـن في بدايـة القـرن الحـادي عشر الهجري، فقبله بقليل.

يتضح لي من سيرة هذا الأديب أنها كانت موزعة بـين الحـويزة والـبصرة، فقـد قضى عمر الطفولة والشباب في الحويزة مسقط رأسه وموطن آبائه، فـتعلم في مدارسـها وتتلمذ على أساتذتها وشيوخها، ووثق صلته بعدد من أمرائهـا وبـالأخص الأمـير الأديـب خلف بن مطلب. ولعل في مقدمة رسالته المسماة بـ(المشعشعة في علم العروض) والتي أهداها للأمير المذكور ما يوضح مستوى العلاقة الوثيقة بـين عبـد عـلي الحـويزي وهـذا الأمير، فيقول:

«وبعد فيقول غبار نعال أهل الفقر عبد علي بن نـاصر المعـروف بـابن رحمـة الحويزي: هذه رسـالة وجيـزة في علـم العـروض وضـعتها أنموذجـاً لمـن يتعـاطى الأدب وينتحل نظم شعر العرب... وخدمت بها خزانـة المـولى الأعظـم والصـدر المكـرم شـمس سماء السيادة وبدر فلك السعادة ثمرة شجرة الكرام وشيرازه، مجمـوع أولى الإفهـام درة تاج رؤوس الرجال وإنسان عين الكـمال معـدن الفضـل والشرف، المـولى المولـوي خلـف السلف، نفع اللـه الوجود بوجوده، وأفاض علي العارفين فيض فيضه وجوده... ومـا أنـا بإهدائها إليه إلاّ كمهدي العوامل إلى سيبويه، غير أنه كالبحر تشرب منه كل سحابة ريّا ويقبل فاضل الغدران....»([1]).

وفي بداية العقـد الرابـع مـن عمـره، بعـد أن قويـت ملكتـه الشـعرية وحسن بضاعته الأدبية، دفعـه طموحـه أن يفـتش عـلى بيئـة صـالحة يسـتأثر

---

(1)المشعشعة، ورقة 1.

فيها لعرض تلك البضاعة، إذ وجد مدينة الحويزة وغيرها من مدن الدولة المشعشعية تحولت إلى أماكن تزدهر فيها الثقافة ويكثر التأليف، وأصبح الأدب هواية الجميع فازداد عدد الشعراء والأدباء، فكان الربح الذي يجنيه أديب مبدع مثل عبد علي الحويزي لا يتناسب مع موهبته ولا يشبع فهمه وقد علمته ثقافته بسيرة فحول الشعراء المتقدمين أسلوب التنقل بين الدول والأمراء وتوظيف نتاجاتهم الفكرية في خدمتهم، فينالون ما يطمعون به من مال وجاه. إن فكرة الإنتفاع بالأدب حملته إلى بغدد، لكنه لم يجد فيها ما يرضي طموحه، فتوجه نحو البصرة التي لا تبعد كثيراً عن موطنه الحويزة، وكانت البصرة يومها عاصمة للإمارة الأفراسيابية، فوجد ترحيباً بالغاً من لدن ثاني أمرائها الأمير علي بن أفراسياب الذي تولى حكم الإمارة توا بعد وفاة أبيه سنة 1033هـ([1]) ، فألقى عنده رحله([2]).

إن دخول عبد علي الحويزي ضمن حاشية الأمير علي بن أفراسياب وابنه من بعده الأمير حسين، تمثل المرحلة الثانية والمهمة من حياة هذا الأديب، ففيها ألف معظم مصنفاته ونظم أشعاره، فألف تاريخ الإمارة الأفارسيابية([3]) وبذل جهوداً مثمرة في رفع المستوى الثقافي لأبناء الإمارة بتشيجع من حكامها([4])، وقد أشار عدد من ترجم لحياة الشاعر إلى عيشه بكنف آل أفراسياب([5])، فذكر ابن معصوم: «اتصل بحكام البصرة وولاتها فوصلته بأسنى أفضالها وأهنى صلاتها، وهبت عليه من

---

(1)السيرة المرضية، ورقة 27.

(2)نفحة الريحانة 143/3.

(3)السيرة المرضية، ورقة 129.

(4)زاد المسافر، ص 18.

(5)نفحة الريحانة 143/3، دائرة المعارف للبستاني 608/11، الأعلام للزركلي 156/4، مصفى المقال في مصنفي علم الرجال 231، معجم المؤلفين 226/5، شرح العينية، ص 5.

قبلهم رخاء الإقبال، وعاش بين كنفهم بين نضرة العيش ورخاء البال، ولم يـزل بهـا حتـى انصرمت من الحياة أيامه، وقوضت من هذه الدار الفانية خيامه»([1]).

تحدت الشاعر نفسـه عـن صـلته بعـلي باشـا بـن أفراسـياب في كتابـه السـيرة المرضية بأسلوب يستكشف منه وثوق الصلة وعمق العلاقة بينهما التي بلغت درجة أن الشاعر شارك في المعارك التي خاضها الأمـير ضـد خصـومه ورافقـه في جولاتـه وسـفراته فقال: كنت وعدت سيدي وولي نعمتي سلطان سرير المكارم أسد المعارك والملاحم عـلي باشا بن أفراسياب بن أحمد...

ملـــك يقيـــك الفقـــر بشر جبينـــه	عوذا ويجلي النحس عنـك بأسـعد
حـامي الحقيقـة لـيس تظـمأ بيضـه	إلاّ لرشـــف دم الكمـــيّ الأصـــيد
أســـد إذا عبـــث القـــذى بعيونـــه	شـفيت مـن النقـع المثـار بأثمـد
يهـوى السـيوف فـما تـراه مشـبباً	إلاّ بفتـــك ظبـــى عيـــون الخـــرد
ويهـــــزه هـــــز القـــــدود لأنهـــــا	في الميـل تحلـق بالقنـا المتـأود
آيــات ســؤدده العــزائم في العــلى	فـإذا تلـين حنثـت إن لم تسـجد

....

بان شرح كلامه الذي نظمه في وزن المواليا أعني المواليا الفرضـية شرحـاً يكشـف عن غرر معانيه جلباب الخفاء، ويجـلي عـرائس مقدراتـه لمجـالس إخـوان الصـفا وخـلان الوفا... فجاء بعون اللـه ملأناً من الفوائد الأدبية مشـحوناً مـن الفرائـد العلميـة وسـميته السيرة المرضية في شرح الفرضية، وخدمت به خزانة كتبه المعمورة بأدبه ونظمه في سـلكها

(1)سلافة العصر، ص 547.

لاحتوائها على أكثر كلامه الآخذ بمجاميع القلوب، وأن لم يبلغ المحب درجة المحبوب»([1]).

ثم يتناول الحياة السياسية للأمير علي بن أفراسياب فيقول:

«ووقائع مولانا صاحب السعادة التي شاهدنا أكثرها ما حمله عليها ولا ساقه إليها إلاّ بسر العرض بين ملوك الأرض، وإذا أفضى بنا الكلام هنا، فلنذكر شيئاً من ذلك يكون كالتاريخ لدولته المقرونة ببقاء الأبد ويكون بها هذا المؤلف قد طفر بما يظفر به أحد...»([2]).

ثم يستعرض المعارك التي حضرها مع الأمير ومنها المعركة التي حدثت مع جيش الشاه عباس الصفوي الذي استولى علي بغداد وأراد الاستيلاء على البصرة أيضاً سنة 1034هـ وصمود أهل البصرة بقيادة علي باشا أفراسياب دفاعاً عن إمارتهم فيقول: «... فصف للقائهم جيوشه من الخيل والرجال وشحن السنف الهندية والمقنمات المخترعة التي لم يسبق المتقدمون إلى ابتكارها بكماة الرجال وصناديد الأبطال... وكنت معه في هذا السفر الكامل بالظفر....»([3]).

فقد تناول ابن رحمة الحويزي جوانب من حياة الأمير الخاصة، وذكاءه وثقافته([4]). وفي عام 1047هـ رافق الشاعر الأمير في سفره لحج البيت الحرام في الذهاب والإياب، وقد نظم قصيدة بأمره تتضمن ما وقع في الطريق أثناء الرحيل من البصرة إلى الديار المقدسة والقصيدة تقع في تسعة ومائة بيت استهلها بالحكمة ثم وصف شجاعة الأمير ومضاء إرادته وأشار إلى جيشه وإقدام رجاله وهيبته بين أصحابه واحتفاء أهل نجد

---

(1)السيرة المرضية، ورقة 3.

(2)المصدر السابق، ورقة 27.

(3)المصدر السابق، ورقة 28، وتنظر الأوراق من: 29-47.

(4)السيرة المرضية، ورقة 53، 54، 55، 113، 120.

والحجاز والحجيج. وأمراء مكة وأعيانها به، وينوه بأريحيته وبذله الأموال بين الناس وجهوده في صيانة راحة الحجيج من الفتنة والتنازع، ثم يذكر توجه الأمير وحاشيته إلى زيارة مسجد الرسول (صلى الله عليه وسلم) في المدينة المنورة ومن ثم عودته إلى البصرة، والقصيدة محشوة بأسماء عدد كبير من الأعلام والقبائل والمناطق التي واجهت ركب الأمير في حله وترحاله، ومنها:

بالجد يستدرك الآبي من الإرب — فاكدح ولاتك في عجز عن الطلب

وانظر إلى الملك السامي أبي حسن — لما أراد قراع الرحل والقتب

فلا الفلا بالمطايا غير مكترث — بصدق قول من اللاحي ولا الكذب

سرى بنا ومواضينا تحف به — كالبدر حف به جيش من الشهب([1])

....

وتستمر العلاقة بين الأديب والعائلة الأفراسيابية بالتنامي حتى بعد وفاة الأمير علي بن أفراسياب سنة 1058هـ ويصبح عبد علي الحويزي أحد خواص ومعتمدي الأمير حسين باشا بن علي أفراسياب الذي تولى حكم الإمارة بعد وفاة أبيه، فأهدى للأمير الجديد قسماً من مؤلفاته، والتي منها كتابه (الفيض الغزير في شرح مواليا الأمير) وقد توج الكتاب بمقدمة الولاء والثناء فقال: «... لما كان الأمير السعيد الكبير الرشيد عضيد الدولة وركن السلطة ملجأ الخواص والعام ودرة تاج رؤوس الأنام ثمرة الشجرة الأفراسيابية القائم بأمور البرية بأكمل السجايا المرضية، حاوي الكمالات الصويرية والمعنوية محيي رسوم العوارف، مميت رياح الجهل وهي عواصف، رافع لواء الفخر وناشر أعلامه، مؤسس دعائم المجد ومشيد أركانه، الذي قامت أنامله مقام الغمام ونابت عزائمه عن النصول والسهام، الذي جمع شراسة العزيمة إلى سماحة الراح وضم رفعة المنزلة إلى خفض الجناح، الذي قلت فيه:

---

(1)المصدر السابق، ورقة 122-127.

إني ومـــــــــن لجلالـــــــــه	أبـــدا جميـــع الخلـــق ســـجد
لم أرج بعــــــــد أبي الحســــــين	ســــوى الكـــريم أبي محمـــــد
مـــــولى تصـــــور مـــــن نـــــدى	ملــــك الرجـــال بـــه وســـؤدد
وشـــــــجاعة تغنـــــــي بيـــــــوم	الـــروع مـــن عضـــب تجـــرد
وفضــــــــــائل بجميعهــــــــــا	أهـــل النهـــى والفضـــل تشـــهد
وفصـــــــاحة يكبـــــــو حبيـــــــب	دون غايتهــــــا وأحمـــــــــد

....

... أردت أن أقدم بين يديـه وأورد مـن خـدماتي عليـه مـا يكـون لي وسـيلة إلى الاختصاص بمزيد عنايته، وذريعة إلى التشرف بما يسديه إليَّ من رعايته، وأن قدم وقـدّم علي جزيل نواله وإحسانه، ووردني ورود الشارب مشـارب عمـيم لطفـه وامتنانـه، فلـم أجد في نفسي أهليـة لشيء مـن ذلـك سـوى الـدعاء الصـالح في مظـان الأدابـة وأوقـات الخلوات وعقيب الصلوات والثناء في المجالس والمحافل والإطراء عند كـل عـالم وجاهـل، أو تأليف كتاب يتطرز باسمه الرفيع ويترصع من ذكره ببديع الترصع، وأن كنـت متصـفاً له بالدعاء له على مرور الأيام والليالي، والثنـاء عليـه بـين السـادات والمـوالي... وسـميته (الفيض الغزير في شرح موالياً الامير).

وأن لآمل من فضله أن يلحظه بعين القبول الكامل واللطـف الشـامل، ويجعـل ذلك يداً من أيأديه التي أسلفها إليَّ ومنّه من مننه التي منَّ بها عليَّ.

لــه أيـــاد عـــلي ســابقة أعـد منـها ولا أعــددها([1])

....

نســتنتج مــما تقــدم أن عبــد عــلي الحــويزي نبــت وترعــرع في الأحــواز

(1)الفيض الغزير في شرح مواليا الأمير، ورقة 3، 4، 5، 6، 7.

وأعطى ثماره في البصرة، وهذا أمر لا ينطبق على هذا الأديب وحده، وإنما هي ظاهرة عامة بين أدباء الأحواز وجنوب العراق، فقد يولد الأديب في القرنة أو الجزائر ويتعلم في الحويزة ويدرس في تستر، أو يولد بالدورق ويتعلم في كربلاء والحلة، ويرجع أستاذاً إلى الأحواز وغيرها من مدن الإقليم. وهذا ما قررته طبيعة العلاقة بين أبناء الشعب العربي في كلا الإقليمين.

وتتسع البلاد التي يطؤها عبد علي الحويزي، فيجاور مدة في مكة وتحصل له مع أدبائها مطارحات ويمدح أميرها الشريف راشد بقصائد عدة منها:

إلامَ انتظاري للوصال ولا وصل	وحتام لا تدنو إليَّ ولا أسلو
ولي باعتماد الأبلج الوجه راشد	عن الشغل في آثار هذا الورى شغل
همام رست للمجد في جنب عزمه	جبال جبال الأرض في جنبها سهل
وليث هياج ما عرين جفونه	من الكحل إلاّ والعجاج لها كحل
يقوم مقام الجيش إن غاب جيشه	ويخلف حد النصل أن غمد النصل[1]

....

وله مراسلات مع أدباء بغداد منهم الأديب عبد اللطيف أنسي[2].

- وفاته:

ورد اختلاف في سنة وفاته، فقد ذكر أن وفاته كانت في سنة 1075هـ[3] وهناك من يذكر أن وفاته كانت سنة 1053هـ[4]. والراجح

---

(1)خلاصة الأثر، ص 430.

(2)تاريخ الأدب العربي في العراق 191/2.

(3)هدية العارفين 586/1، تاريخ الأدب العربي في العراق 253/2.

(4)خلاصة الأثر 422/2، دائرة معارف البستاني 608/11، مصفى المقال في مصنفي علم الرجال 231، الأعلام 156/4، شرح العينية لحسين محفوظ 5.

عندي أن وفاته كانت سنة 1075هـ لورود مؤلفات عدة يذكر فيها المؤلف نفسه أنه أنهاها بعد سنة 1053هـ([1]).

- ثقافته ومكانته العلمية:

نشأ عبد علي الحويزي في عصر النهضة الفكرية التي شهدها إقليم الأحواز عامة ومدينة الحويزة بصورة خاصة التي أصبحت مركزاً مهما من مراكز العلم والأدب، يقصدها طلاب المعارف ويستوطن بها العلماء والشيوخ، فترعرع شاعرنا بتلك البيئة الزاخرة بأنواع الفنون والعلوم، وتتلمذ على أساتذة أكفاء منهم الشيخ بهاء الدين العاملي([2])، والشيخ عبد اللطيف بن علي الجامعي([3])، وكان يتمتع بدرجة رفيعة من التفوق الذهني والرقي العقلي، فاستوعب ثقافة عصره وأتقن علوم المتقدمين، حتى إذا اشتد ساعده ونمت موهبته انطلق في عمل التأليف والتصنيف، فألف في الشعر والعروض والنحو واللغة والتاريخ والحكمة والتفسير والموسيقى والفلك والرمل وغيرها من العلوم، وكان يجيد اللغتين الفارسية والتركية ويؤلف بهما شعراً ونثراً([4]).

إن الحديث عن ثقافة هذا الأديب ومكانته العلمية تستوجب دراسة موسعة لكل فن أو علم نبغ فيه، هو ليس بالأمر المستطاع بهذا العرض المختصر، إضافة إلى أن أكثر مؤلفاته وتصانيفه مفقودة، لذلك سنكتفي بالتلميح إلى ما يتعلق بالأدب بشكل خاص، في ضوء المتيسر من مؤلفاته التي تعد المظهر الرئيس والمهم لثقافته وعلمه، فقد تضمنت مؤلفاته الكثير من المعارف والفنون التي أتقنها واطلع عليها، ومن هذه المؤلفات كتابه

---

(1)السيرة المرضية، ورقة 128، منهاج الصواب في علم الأعراق، ورقة 26.

(2)أمل الأمل 154/2، أعيان الشيعة 56/38، شرح العينية، ص 5.

(3)تاريخ المشعشعين، 114.

(4)تاريخ الأدب العربي في العراق 190/2.

«مناهج الصواب في علم الإعراب» الذي يقول في مقدمته:

«كنت منذ أفاض الـلـه عليَّ من العلوم ما رأيت الكد في تحصيله، وكـدحت في إدراك جمله وتفاصيله عزمت على أن أحرر في كل فن منـه مـا يشـمل عـلى المهـم مـن قواعده وأصوله، وينطوي على مالا يسـتغنى عنـه مـن أبوابـه وفصـوله، فوضـعت عـلى مكافحة من النوائب ومصادمة من المصائب عند هدوء أعينها عني وكسر نهمتهـا منـي شيئاً من ذلك كعقد الجواهر في المنطق والكلمات التامة في الأمور العامة... وغيرها مـن الشروح البالغة من الاستطراد في فنون شتى غاية مراد الطالب ونهايـة مـرام الراغـب في مدافعـة الزمـان، ومقارعـة الحـدثان وصرف الأوقـات في تحصـيل الأقـوات، والاشـتغال بترصيف المقال وتحرر الجواب والسؤال، كقول الشاعر:

يسقي ويشرب لا تلهيه لاهية   عن النديم ولا يلهو عن الكأس»[1]

....

ومن مؤلفاته القيمة كتاباه المخطوطـان : «السـيرة المرضـية في شرح الفرضـية» و«الفيض الغزير في شرح مواليا الأمير»، ففيهما مباحـث كثـيرة ومهمـة نـادرة في النحـو واللُّغة والبلاغة والعروض والشعر والنثر والتاريخ والحكمة والفلك والأخبـار والحكايـات واللطائف، قلما نجد لها مثيلاً في عصره، ومطالع هذين الكتابين يخرج بتصورات واضحة عن مكانة هذا الأديب المتضلع في صنعته.

وذكر المحبي أنه «كان في فن الموسيقى من الأفراد وله أغان متداولـة ومقبولـة جارية على الصنعة البارعة، وأكثر أغانيه مـن نظمـه المطـرب فمـن ذلـك مـا ابتدعـه في نغمة السيكاه من الثقيل:

(1)مناهج الصواب في علم الإعراب، ورقة 1.

أمـا والهـوى لـولا العـذار المنمـنم لمـا أهتـاج وجـدى سـاجع يـترنم

ولا اهتجعت عيناي من فيض أدمعي قضى جريهـا أن لا يفارقهـا الـدم

هو الحـب مـا أحـلى مقاسـاة خطبـه وأعذبـه لـو كانـت العـين تكـتم

....

وله من نغمة الحجاز والضرب مخمس:

لا تطلعـــي في قمـــر أننـــي أخـاف أن تغلـط أهـل السـفر

أو طلعــت شــمس فـلا تطلعــي أخـاف أن تعمـى عيـون الـبشر

....

وله من هذه النغمة والضرب دراج:

لمـــن العـــيس عشـــباً تترامـــى تركتهـــا شـــقق البـــين ســـهاما

كلـــــما برقعهـــــا نشر الصـــــبا لبسـت مـن أحمـر الـدمع لثامـا

....

وله من الألحان الفارسية المشهورة مسرت آباد في نغمة العراق وضربـة ثقيـل، وجاء جم في نغمة الحسيني وضربة خفيف، وغير ذلك، وأشهر ماله من الشعر قولـه في راقص:

وراقــص كقضــيب البــان قامتــه تكــاد تــذهب روحــي في تنقلــه

لا تســتقر لــه في رقصــة قــدم كأنمــا نــار قلبــي تحــت أرجلــه

....

وكثير من أهل الأدب يظنون أنه مخترع هذا المعنـى، ولم يعلمـوا أنـه اختلسـه من قول السري الرفاء في وصف جواد:

لا يــستــقر كـــأن أربـــعه فـرش الـثرى من تحـتها جمرا([1])

....

(1)خلاصة الأثر 432/2.

- آراء العلماء فيه:

لقد عرف كبار المؤلفين والأدباء قدر هذا الأديب، فنوهوا بمكانته وعددوا فضائله واختصاصاته، فقال ابن معصوم فيه: «فاضل قال من الفضل بظل وريف وكامل حل من الكمال بين خصب وريف، فالإسماع من زهرات أدبه في ربيع ومن ثمرات فضله في آخر خريف، إن أنشأ أبدى من فنون السجع ضرائب، أو طفق بنظم أهدى الشنوف للإسماع والعقود للترائب، ومؤلفاته في الأدب أحلى من رشف الضرب، بل أحلى من نيل الإرب، ومتى جاراه قوم في كلام العرب كان النبع وكانوا الغرب»([1]).

وقال فيه محمد أمين المحبي الدمشقي: «أوحد من أبدع وأغرب، وشعر فأبان عن إعجازه وأعرب. ما شئت من استحكام المبنى، وانقياد اللفظ الغر من المعنى، وحسن الأسلوب الذي تشبث بالحشايا، ونصاعة المقترح الذي تبهج به البكر والعشايا.

وشعره تملكه الرقة على الشوادن العفر، ويكسب القدود خفة فتكاد تسترقص على الظفر.

أرق من دمعة شيعية تبكي على بن أبي طالب

فالهوى أول تميمة قلدته الداية، والصبابة هي التي عرفها من البداية .

....

دخل بغداد فتخلق ثمة بأخلاق عذاب، وكان كأبن الجهم بعث إلى الرصافة ليرق فذاب»([2]) .

وقال الشيخ فتح اللـه بن علوان الكعبي فيه: «كان نادرة زمانه في

---

(1)سلافة العصر، ص 546.

(2)نفحة الريحانة، ج 3، ص 143.

جميع العلوم، وله من سرعة الخاطر مالا يوجد لغيره، إلاّ ما يحكى عن البديع الهمداني»([1]).

وقال البستاني: «كان من أفراد زمانه في الأدب والشعر والبديع وكان في فن الموسيقى من الأفراد، له أغان كثيرة تداولها الناس»([2]).

وقال الشيخ محمد السماوي: «كان فاضلاً مشاركاً في العلوم مصنفاً في الفنون، وكان أديباً شاعراً، وكان يكثر التوجيه في شعره والاقتباس من العلوم مما يدل على ثبوت قدم له فيها»([3]).

وقال الزركلي: «من كبار الشعراء في عصره، وكان يجيد النظم في التركية والفارسية، وله مهارة في فن الموسيقى وأغان حسنة»([4]) .

وقال المرحوم الدكتور حسين محفوظ: «من أفضل تلاميذ الشيخ بهاء الدين العاملي، وكان فاضلاً بارعاً وشاعراً فائقاً من أشياخ الأدب في عصره ويعد من الطراز الأول في صناعة الكتابة»([5]).

- آثاره:

أن آثار هذا الأديب ما تزال مخطوطة لم تمتد إليها يد النشر، وهي:

1-ديوان شعره([6])

2-السيرة المرضية في شرح الفرضية([7])

---

(1)زاد المسافر، 18.

(2)دائرة معارف البستاني، ج 608/11.

(3)الطليعة إلى شعراء الشيعة، ج 1، ورقة 246.

(4)الأعلام، ج 4/ص 156.

(5)شرح العينية، ص 5.

(6)السيرة المرضية، ورقة 47.

(7)منه نسخة خطية في مكتبة الأستاذ محمد الخال (عضو المجمع العلمي العراقي).

3-الفيض الغزير في شرح موالياً الأمير([1])

4-مناهج الصواب في علم الإعراب([2])

5-معارج التحقيق ومناهج التوفيق([3])

6-مواهب الفياض في الجواهر والأعراض([4])

7-المشعشعة في علم العروض([5])

8-مدارج النمل في علم الرمل([6])

9-قطر الغمام في شرح كلام الملوك ملوك الكلام في الأدب([7])

10-ثمر الاستعداد في شرح الدوبيت([8])

11-كشف النية في شرح الحكم الملوكية([9])

12-المعول في شرح شواهد المطوّل([10])

13-عقد الجواهر في المنطق([11])

14-الكلمات التامة في الأمور العامة([12])

---

(1)منه نسخة خطية في مكتبة المتحف العراقي تحت رقم 9110.

(2)منه نسخة خطية في مكتبة المتحف العراقي ضمن مجموع تحت رقم 33252.

(3)منه نسخة خطية في مكتبة المتحف العراقي ضمن مجموع تحت رقم 33252.

(4)منه نسخة خطية في مكتبة المتحف العراقي ضمن مجموع تحت رقم 33252.

(5)منه نسخة خطية في مكتبة المتحف العراقي ضمن مجموع تحت رقم 33252.

(6)منه نسخة خطية في مكتبة المتحف العراقي ضمن مجموع تحت رقم 33252.

(7)منه نسخة خطية في دار الكتب بطهران تحت رقم 907. انظر شرح العينية، ص 5.

(8)ذكره المؤلف في السيرة المرضية، ورقة 52.

(9)مناهج الصواب في علم الإعراب، ورقة 2.

(10)أمل الآمل ج 2/ص 154، هدية العارفينن، ج 1/ص 586.

(11)مناهج الصواب في علم الإعراب، ورقة 2.

(12)المصدر السابق، ورقة 2.

15-كتاب في الحكمة([1])

16-البرق اللامع في ترجمة الجامع، وهو ترجمة الجامع العباسي بالعربية([2])

17-الغيث الهامع في ذكر أدباء الإقليم الرابع([3])

18-حلى الأفاضل (منتخب من شعره)([4])

19-حاشية على أنوار التنزيل للبيضاوي([5])

20-تاريخ الدولة الأفراسيابية([6])

21-شرح السجادية الصغير([7])

22-شرح السجادية الكبير([8])

23-شرح لامية العجم ([9])

24-ديوان باللُّغة الفارسية([10])

25-كتاب في الموسيقى([11])

---

(1)أمل الأمل، ج 2/ص 154.

(2)أعيان الشيعة، ج 38/ص 56.

(3)مصفى المقال في مصنفي علم الرجال، ص 231.

(4)السيرة المرضية، ورقة 24، وشرح العينية، ص 5.

(5)أعيان الشيعة، ج 38/ص 56، أمل الآمل، ج 2، ص 154.

(6)السيرة المرضية، ورقة 129.

(7)تاريخ الأدب العربي في العراق، ج 2، ص 190.

(8)المصدر السابق، ج 2، ص 190.

(9)المصدر السابق، 2، ص 190.

(10)أمل الآمل، ج 2، ص 154. أعيان الشيعة، ج 38، ص 56.

(11)السيرة المرضية، ورقة 55، أمل الأمل، ج 2، ص 154.

26-النكت المجلسية في الدقائق العلوية([1])

27-ديوان باللُّغة التركية([2])

28-لغز أرسله إلى القاضي عبد اللطيف أنسي ببغداد سنة 1064هـ([3])

- شعره:

ديوانه: لم نقف على ديوان الشاعر ولم نوفق لمعرفة مكانه رغم إلحاحنا الشديد على طلبه، ومن المؤكد أن له ديوانه شعر كبيراً ذكره في مؤلفاته وأحال عليه([4])، وله كتابان آخران في الشعر أحدهما يحتوي على منتخبات من أشعار سماه (حلى الأفاضل)، والآخر سماه (كلام الملوك ملوك الكلام) يحتوي على كثير من قصائده، ذكرهما الدكتور حسين علي محفوظ في شرح العينية([5])، ولم نوفق بالاطلاع عليهما أيضاً، ولذلك لم نظفر إلاّ بقسم من قصائده ومقاطع وأبيات متناثرة في المصادر التي ترجمت له، وفي مؤلفاته النثرية التي أطلعت عليها.

إن هذا القليل من شعره تجعل من غير الممكن توضيح ملامح شاعريته بصورة مرضية تتناسب مع مكانته كأديب كبير من أدباء الإقليم نبغ في النصف الأول من القرن السابع عشر الميلادي، تلك الفترة التي تميزت بالنضوب الأدبي، ولذلك سنكتفي بالتمليح في بيان أهم ملامح شاعريته، وفي ضوء دراسة النصوص الشعرية المتيسرة وجدت أن أبرز سمات شاعريته:

(1)مناهج الصواب في علم الإعراب، ورقة 2.

(2)تاريخ الأدب العربي في العراق، ج 2، ص 190.

(3)المصدر السابق، ج 2، ص 190.

(4)السيرة المرضية، ورقة 47.

(5)شرح العينية، ص 5.

1 - أنـه شـاعر تقليـدي لم يخـرج عـلى أسـلوب الأقـدمين في بنـاء القصـيدة في الشكل والمضمون يبدأ قصائده بذكر الديار والأهل والأحبة أو بنسيب عفيـف، أو غـزل صوفي، أو وصف للخمرة، أو مظاهر الطبيعة، أو وصايا وحكم، ثم يخلص للغرض الأصلي الذي نظم من أجله القصيدة وقد لمست هذه الصفة في قصائد المديح والفخر المتيسرة، ومنها قصيدته في مدح علي باشا أفراسياب، فقد استهلها بذكر العيس والـديار والعـراق، ثم يعرج على مدح الأمير فيصفه بالشجاعة والإقدام والعطاء والمجد الرفيع، منها:

لمــــن العــــيس عشــــيّا تترامــــى	تركتهــا شــقق البــين ســهاما
كلــــما برقعهــــا نشر الصــــبا	لبسـت مـن أحمـر الـدمع لثامـا
وترامــــت خضــــعاً أعناقهــــا	كلــما هــز لهــا الــبرق حسـاما
شــفها وجــد براهــا للحمــى	فهـي تثنـي لـربى نجـد زمامـا
وتلافاهــــا نســــيم حــــاملاً	يـا تـرى مـن حملـت لـو وقفـوا
عـن قـرى وجـرة أنفـاس الخزامـى	سـاعة نشرح وجــدا وغرامــا
ومــــن الجهــــل أراه يقظــــة	أننــــي لا أترجـــاه منامـــا
يــا بنــي عــذرة هــل مــن آخــد	بدمي المسفوح مـن حـل الخياما
قمــر لــولا يــرى بــدر الــدجى	مـا حـوى البـدر كـمالا وتمامـا
غـــادر لم يـــرع منـــي نســـبا	دون أن يحفــظ عهـدا وذمامـا
نســـــب أيسره أن الهـــــوى	بــين خديــه لهيبـا وضرامــا
وبجســـمي مـــن بقايـــا حبـــه	شــبه طرفيــه فتــورا وســقاما
يـــا نـــداماي دعـــا خمـــركما	إن أراق الحـب مـن فيـه مـداما
وتثنـــى يـــا قضـــيب البـــان إذ	رنّحـت خمـر اللّمـى ذاك القوامـا
وهزبـــر يصـــدم المـــوت إذا	مـا تنـادت أسـد الحـرب الصداما

قلــب الطــرف بـــه فكــرا تجــد   ديمــه تهمــي وضرغامــا شــهاما
وأخــا فضــل إذا مــا انســجمت   ســحبه أخجــل ســحبان نظامــا
أبحـــر الـــدنيا إذا مـــا ســـجلت   جـودة أقعـدها الفخـر وقامـا([1])

....

وأبرز الأغراض التي نظم فيها هي المديح والفخر والوصـف والشـكوى والغـزل والحكمة والرثاء والخمر والأخوانيات.

2 -شغفه بالبديع والزخرفة اللفظية:

إن النصوص الشعرية المتوفرة من شعره تكشف لنا عن شـدة تعلقـه بالبـديع والمحسنات اللفظية وقدرته على تلوين الكلام وزركشته وتزيين تعـابيره وتصرفـه باللُّغـة بشكل ينم عن براعة فائقة وقدرة عالية على إخراج القطع الشعرية والقصائد الطويلـة موشاة بالاستعارة والجناس والطباق والتشـبيه والمبالغـة والاقتبـاس والتضـمين وكـل مـا يتعلق بالتصنيع اللفظي.

ومما يدل على علو كعبه وسمو مكانته في هذا الجهد الفني، هـو قدرتـه عـلى تكثيف عناصر البديع في قصيدة واحدة، وتخفيفها في قصـيدة أخـرى حسـب متطلبـات الموقف الذي يراه الشاعر نفسه، لأنه فنان مبـدع مـتمكن يسـتطيع الـتصرف ببضـاعته الفنية كيفما يشاء وأنى أراد، فقصيدته الضادية التالية قطعة فنية موشاة ومزينة بـأنواع من البديع تجمـع الاسـتعارة والطبـاق والجنـاس والتشـبيه وغيرهـا مـن صـور التنميـق والزخرفة:

قـام يجلوهـا وفي الأجفـان غمـض   والنـدامى نـوم بعـض وبعـض
والضـيا يرمـي بـه الفجـر الـدجى   ولخيـل الصـبح في الظلـماء ركـض
وكـــأن الليـــل غـــيم مقلـــع   لمعـان الكـأس في جنبيـه ومـض

(1)سلافة العصر، 548، 549. نفحة الريحانة، ص 160، 161.

في ريـــاض نســـجت فيهـــا الصـــبا ولهـــا في زهرهـــا بســـط وقـــبض
ضرج الـــــورد بهـــــا وجنتـــــه والأقـــاحي ضـــحك والأس غـــض
وكـــأن الـــنرجس الغـــض بهـــا أعـــين الغيـــد ومـــا فـــيهن غمـــض
وكـــأن البـــان قـــدٍّ مـــائس كـــلُّ غصـــنٍ منـــه عِـــرقٌ فيـــه نـــبض
وكـــأن الأرض مـــما أنبتـــت نهرهـــا جـــوّ الســـما والجـــو أرض
مجلـــس طـــل دم الكـــأس بـــه ولـــه ظـــل طـــول وعـــرض
نظمـــت فهـــي الـــلآلي حببـــا حـــين عنهـــا صـــدف الـــدن يفـــض
يـــا حبيبـــاً قـــد غـــدا معتـــزلي ليس لي عـــن ســـنة العشـــاق رفـــض
إن يكـــن قـــد شـــيب دمعـــي بـــدمي حمـــرة فـــالود بالأحشـــاء محـــض
وبقلبـــي عقـــرب الصـــدغ لـــه كلما هـــب الصبا نهـــش وعـــضّ([1])

....

بينما نجد في قصيدته في مسيرة الأمير إلى الحج لم يتكلف فيها الزينـة اللفظيـة والتعقيد إلاّ ما جاء عرضاً ضمن السياق الفني للقصيدة، فكأنـه سـار بهـا مـع سـليقته وتسلسل بها على سجيته:

ألقـــت عنيـــزة مولاهـــا إلى ملـــك أباحـــه خلعـــاً تجـــدي عـــلا والرتـــب
وســـار والســـمر تقفـــوه وتقدمـــه سري الغضـــنفر بـــين الأجـــم والقضـــب
حتـــى أتى الـــرس والإبصـــار شاخصـــة منـــا إلى معقـــل مســـتمنع صـــعب
لا يـــحسر الـــوهم إن ينـــوي تســـنمه وأســـه مجتـــدى مـــدراره الســـحب
بروجـــه لا يضـــاهيها لرفعتهـــا سوى النجوم من المـريخ والقطـب([2])

(1)سلافة العصر، ص 551، 552، ونفحة الريحانة، 147.

(2)السيرة المرضية، ورقة 123.

3 -تأثر شعره بثقافته:

توضح لنا من سيرة حياة هذا الأديب إنه ذو ثقافة واسعة أخذ بالكثير من العلوم والمعارف وله إسهامات في التصنيف والكتابة، وكانت ثقافته خليط يجمع بين الدراسات القرآنية والتاريخ والنحو والمنطق والحكمة والأدب والموسيقى والفلك وغيرها، فهو أديب مفكر تركت ثقافته المتلونة أثرها على أدبه، وطبعت شعره بطابع المنطق العقلي والتصور الذهني فتضاءل فيضه العاطفي وهدأت جذوة مشاعره، ومن أثر القرآن في شعره قوله:

لو تراني الورى بمقلة إنصاف ... وسيرى للمجد سيراً حثيثا
علموا كيف يحسد السابق للاحق ... والأول القديم الحديثا
غير أن الحساد في كل معنى ... لا يكادون يفقهون حديثا([1])

....

وقال أيضاً:

وجاهل يعرض عن فضائلي ... مقدراً في كتمها ظهوره
يريد أن يطفىء ذا النور ... ويأبى الله إلاّ أن يتم نوره([2])

....

وقال أيضاً:

عدت اللئام علي ظلما ... لأن وأوسعني قصار الباع ذما
فما ربي بمهلهم ولكن ... يؤخرهم إلى أجل مسمى([3])

....

(1)السيرة المرضية، ورقة 49.

(2)المصدر السابق، والورقة نفسها.

(3)المصدر السابق، الورقة نفسها.

ومن أثر الحديث الشريف في شعره قوله:

بحبــك آحــاد الهمــوم تــواترت	عــليَّ فـدمعي مسـتفيض بهـا نهمـر
يسلسل في خـدي مراسـيله التـي	يضعفها الشوق الذي صحح الخـبر[1]

....

ومن أثر الحكمة في شعره قوله:

أثبـت الوصـل الرقـاد لنـاظرى	وشــفعت ذاك لــه بهجــر زائــد
فنفيتــه والنفــي والإثبــات لا	بتــواردان عــلى محــل واحــد[2]

....

وله أيضاً:

جمعت في طرف المحـب الكـرى	والســـهد في وصـــلك والبـــين
ولـــيس يرضـــاه أخـــو فطنـــة	لأنـــــه جمـــــع نقيضـــــين[3]

....

ومن أثر الرياضيات في شعره قوله:

قلــت لــه كسرت قلبــي ويــدي	عنـــدك مـــا قابلتهـــا بنافلـــه
فـأجبر وقابـل مـنعماً فقـال مـا	قــرأت علــم الجــبر والمقابلــة[4]

....

وله أيضاً:

لا ترج تعريف الورى بصناعة الـ	ـــتنصيف والتجــذير والتضــعيف

(1)العقد المفصل، ج 168/1.

(2)المصدر السابق نفسه.

(3)المصدر السابق نفسه.

(4)المصدر السابق، ج 169/1.

وأجهد بجمع المال تضح معرّفأ فالمــال فيــه آلــة التعريــف([1])

....

ومن أثر المنطق في شعره:

إن رمــت نســلاً فتــزوج غــادة أصــغر ســنًّا منــك في التعمــر
فــأول الأشــكال لا ينــتج حتــى يــدخل الأصــغر تحــت الأكــبر([2])

....

ومن أثر الأصول في شعره قوله:

تقــول أصــلي نــار حبــي بــه وظـــــاهر أنـــــك لا تصـــــلي
فهـــــذه مســـــألة عنـــــدنا معـــارض ظاهرهـــا الأصـــلا([3])

....

وله أيضاً:

وجهـــك لمـــا غـــدا ظـــاهرا مخـــبراً عـــن أصـــلك الطـــاهر
حققت مـن هـذا الـورى بـأن لي تطــابق الأصــل مــع الظــاهر([4])

....

ومن أثر اطلاعه على أخبار المتصوفة قوله:

وخطـت بالجنيـد([5]) لجـة بحـر غرقـــت فيـــه أكـــثر الكائنـــات

---

(1)المصدر السابق نفسه.

(2)المصدر السابق نفسه.

(3)العقد المفصل، ج 1، ص 169.

(4)المصدر السابق نفسه.

(5)أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي شيخ مذهب التصوف وأمـام الـدنيا في زمانـه توفي سنة 297هـ (تاريخ بغداد 241/7، حلية الأولياء 255/10).

ورمــت بالحســين[1] حتــى ترقــى   بأنــا الحــق أرفــع الــدرجات
أسمعتنا من شيخ بسطام[2]مـا أعظـم   ذاتي بــــالنفي والإثبــــات[3]

....

ومن أثر الشعراء المتقدمين في شعره قوله مبارياً قصيدة أبي تمام التي مطلعها:

مــا في وقوفــك ســاعة مــن بــاس   نــقضي ذمــام الأربــع الإدراس[4]
مزجــت ســلافة رفقهــا بشــماس   لميــاء تغــري الصــد بالإينــاس
قــف يــا زمــان عــن الكــرام ترفقــا   (مــا في وقوفــك ســاعة مــن بــاس)
واحـبس عـلى الهمـم المطـي بنـاعس   (نــقضي حقــوق الأربــع الإدراس)
لــو كــان عصرك قبــل عصرك لانثنــى   جيــد الخلافــة عــن بنــي عبــاس[5]

....

وله مضمناً شعره المثل العربي «وشبه الشيء منجذب إليه»:

رأيت حبيـب قلبـي وهـو يرمـي   فــؤاداً قــد حنــا شــغفاً عليــه
لحاجبــه يجــر القــوس جــذبا   (وشــبه الشيء منجـذب إليـه)[6]

....

(1)أبو مغيث الحسين بن منصور الحلاج قتل سنة 309هـ (تاريخ بغداد 112/8 طبقات الصوفية 307).

(2)هو أبو يزيد طيفور بن عيسى البسطامي. من شيوخ الصوفية المشهورين. توفي سنة 261هـ (حلية الأولياء 33/10، طبقات الصوفية 67).

(3)نفحة الريحانة، ج 3/ص 144.

(4)ديوان أبي تمام، ص 152.

(5)السيرة المرضية، ورقة 47.

(6)المصدر السابق، ورقة 48.

وله قصيدة تشتمل على أنواع من البديع، وتنم عن اطلاع واسع على كثير من العلوم كالنحو والتاريخ والكيمياء والفلك والهندسة وغيرها:

قلبي وطرفك منصوب ومكسور ... كلاهما مطلق سنا ومأمور
ناديت دمع جفوني كي ترخمه ... يا مستغاثي حالي منك تحذير
حاكى فؤادي منك الوجه وافترقا ... فذاك نار لتعذيبي وذا نور
قدي وقدك مخفوض ومنتصب ... والثغر والدمع منظوم ومنثور
يخفض قدري فيك الناس تعرفني ... وهكذا الحب تعريف وتنكير
قد أعرب الحب نحواً بيننا حسناً ... فالشعر والشعر مرفوع ومجرور
يا طرف من نهبت قلبي محاسنه ... ذكرى كسيفك في الآفاق مشهور
ينجاب ذو الجهل عني حين يبصرني ... كأنما أنا صبح وهو ديجور
لو رمت فخراً على المحبوب قلت له ... دمعي وثغرك ياقوت وبلور
أستاف جونه عطار بطلعته ... فخاله عنبر والخد كافور
أقام سوق الهوى خد له أبداً ... لحبة القلب فيه اليوم تسعير
لا ترج مني امتناعاً عن محبته ... فطرفه قادر والقلب مقدور
لنا بمقلته النجلاء ذو شطب ... له على فلك المريخ تدوير
أبدى ضروب بديع طرفه فله ... في فتية العشق تصريع وتشطير
حمت لواحظه معسول ريقته ... يا كوثراً منعتنا ورده الحور
تقول إن صدقتنا القول مقلته ... يا محرمي العشق إني كعبة زوروا
قد أخلصت كيمياء الحب وجنته ... كأنها للهوى العذري أكسير
لو لم يكن كيمياء ما تيسر للأ ... نفاس والدمع تصعيد وتقطير
يحيى بجعفر فيه فضل وفا ... أنا الرشيد به والقلب مسرور
يا دمع مقلتي الكشاف أنت لقرأن ... المحبة تأويل وتفسير

وسمت بالـدمع أشـكالاً خلقـت بهـا	إقليدسـا وهــي في خــدي تحريــر
لله مجلســـنا والغصـــن يعطفـــه	مــن نسـمة الصـبح تقـديم وتـأخير
والنهر جسم بثـوب الزهـر ملتحـف	والزهــر بــرد مــن الريحــان مــزرور
فصل الربيبع إذا مـا العشـق وافقـه	للقلـــب فيـــه وللأشـــجار تقطـــير
وللســـماء التبــاس بالريــاض لمــا	حكـــت كواكبهـــا منهـــا التصـــاوير
فالزهرة الورد والسعد الشقائق والـ	مجـــرة النهـــر والجـــوزاء منثـــور
تصرفـــت بي أيـــامي لتـــنقضي	فـــما تغـــيرت والتصريـــف تغيـــير
لا ينفـــع المـــرء تأديـــب يهذبـــه	إلاّ إذا عضـــد التـــدبير تقـــدير[1]

....

ومهما تحدثنا عن شاعرية ابن رحمة الحويزي يبقي حكمنا غير مكتمل لعـدم توفر المصادر الأساسية التي تحوي شعره.

(1)سلافة العصر، 552-553، والعقد المفصل، ج 1/ص 170-171.

علي بن خلف بن مطلب المشعشي الحويزي

- اسمه ونسبه:

هو علي بن خلف بن مطلب بن حيدر بن محسن بن محمد (الملقب بالمهدي) بن فلاح ملك الحويزة وأرباضها، الذي ينتهي نسبه إلى الإمام موسى الكاظم([1]).

- نشأته وحياته:

ولد في ذي الحجة عام 1018([2])، وترعرع في كنف والده الأمير خلف بن مطلب الذي كان عالماً فاضلاً ومتكلماً وأديباً ماهراً ولبيباً عارفاً وشاعراً مجيداً، وله مصنفات كثيرة([3]).

وكان جده مطلب بن حيدر من أكابر الفضلاء، تولى إمارة الدورق فشرع ببناء المساجد والمدارس وهرعت إليه العلماء وطلبه العلم من البلدان وجاوروه وانتفعوا به ونفعهم([4]). فنشأ علي بن خلف شغوفاً بالعلوم والآداب، وطموحاً لنيل أعلى الرتب، فتربى تربية الأشراف بين عز الإمارة وفخر النسب ومجد العلم.

والملاحظ في المصادر التي تناولت حياة هذا الشاعر أنها أغفلت كثيراً من جوانب سيرته وأكدت على الجانب السياسي أكثر من غيره، فكانت تذكر أنه أحد حكام إقليم الأحواز في عصر المشعشعيين تولى الحكم بين عامي 1060- 1088هـ وفي زمنه حصلت أحداث ووقائع

---

(1)سلافة العصر، ص 545، أمل الأمل 187/2، هدية العافين 762/1. الغدير 312/11، أدب الطف 134/5.

(2)تحفة الأزهار، ج 3/ ورقة 126.

(3)روضات الجنات 265/2، تاريخ المشعشعين، ص 233.

(4)أعيان الشيعة 21/30، تاريخ المشعشعين، ص 290.

وحروب كثيرة بين حكومته وبعض القبائل ومحاولة الشاه سليمان الصفوي للاستيلاء على الإقليم سنة 1084هـ - 1673م، ولكنه لم يفلح، فبقي علي بن خلف على رأس حكومة الإقليم حتى وفاته في سنة 1088هـ([1]).

أما المصدر الرئيس الذي عولت عليه في كشف جوانب حياة هذا الشاعر فهو ديوانه المخطوط الذي استخلصت من بين ثناياه الأمور الآتية:

1-حبه وحنانه لوالده:

إن الأعداد الصالح والخلق الرفيع والسجايا الفاضلة التي تلقاها شاعرنا من لدن أسرته الكريمة، جعلته يتحين الفرص لتقديم فروض الوفاء لوالديه، وهو يتذكر أيام صباه، وقد وهباه حنانهما فراح يرفل بأثواب النعيم ويستاف عبير الإحسان، وفي هذا المعنى يخاطب والده:

لا تحسبي الصب سليمى سلا	أو أن يزيل الآخر الأولا
أيام أنس لا أطيع النهى	فيها ولا أستمع العذلا
أرفل في ثوب الصبا نشوة	وعادة النشوان أن يرفلا
حيث الربيع النظر المشتهي	وكلما تطلبه من كلا
لكن ذلي لك عز ومن	ذل لمولاه فقد بجّلا([2])

....

وله يدعو الباري سبحانه أن يشفي والده من مرض ألم به:

سألت الذي أولاك فضلاً وسؤدداً	تقاصر عنه كل ماض ولا حق
يخصك باللطف الجميل وصحة	بها كمد الأعدا وغيض المنافق

(1)أعيان الشيعة 41/ 238-254، تاريخ المشعشعين، ص 133-151، أمارة المشعشعين، 54 (رسالة ماجستير).

(2)ديوان علي بن خلف، ورقة 17.

وينجيك من أنجي من النون يونسا ويحميك من صرف الـردى والطـوارق
فيـا خـير مـدعو ويـا خـير سـامع ويـــا خـــير مرجـــو ويـــا خـــير رازق
أجرنـا بفضـل منـك عـن كـل فـادح وحطنا بحصن منك عن كـل راشـق[1]

....

وله يتألم لفراق والدته وقد عزمت على السفر ومجاورة مشهد الحسين _عليـه السلام

هو الدهر فأجزع كيف شئت أو أحلـم ويـا دهـر طبـق مـا أردت وصـمم
بـنفسي التـي بانـت وفي الصـدر ودهـا مقـــيم عـــلى الأيـــام لم يـــتصرم
وقــل لهــا نفــس وأن جــل قــدرها لأني رخــيص الــروح حــين تقــدم
ألا في أمــان اللــــه مــن بــت بعــدها كثـــير الأسى وجـــدًّا قليـــل التهـــوم
ومــا كــان في ظنـــي بـــأني مفـــارق لهـا مـا حييـت الـدهر أو في تـوهمي
وكنـت جليـداً قبـل أن حمـت النـوى فلـما دنـا التوديـع خالفـت لـومي
وكنـت قليـل الـدمع إن عـنّ حـادث فقد قلت للطرف الشحيح بـه أسجم
أبعــد النــوى أرجــو النجــاة بقربهــا أكفكف دمعي لـو تقـاطر مـن دمـي
وكنـــت أجـــلي الهـــم عنـــي بقربهـــا ولـــو دهمتنـــي الحادثـــات بصـــيلم
فـــلا يبعـــدنك اللـــــه إمـــا كريمـــة أطــول بهــا بــين الكــرام واســتمي
ولـــو لم أكـــن ابنـــاً لأكـــرم والـــد لكــان كفــاني أننــي لــك أنتمــي[2]

....

2- طموحه:

مــن المزايــا الشخصــية للشــاعر عــلي بــن خلــف التــي استخلصــناها مــن

---

(1) المصدر السابق، ورقة 8.

(2)ديوان علي بن خلف، ورقة 99، 100.

شعره هي طموحه للمجد، وسعيه المتواصل نحو المعالي وقوة اعتـزازه بنفسـه وشـعوره بعلو منزلته وتفوقه بأمور كثيرة على من سواه من ذوي السلطان وأصحاب الشأن ممن عاصره، فكان يرى نفسه مؤهلاً لتولي إمارة الإقليم «لنسبه الوضاح المتألق بأواصر النبوة وعنصره الفائح عن وشائج الإمامة»([1])، وانحداره من أصلاب السادة المشعشعيين حكام الإقليم وولاة أموره، فكان أبوه من العلماء الأدباء والفرسان الشجعان وقـد أقعـده عـن تولي منصب السلطنة سمل عينيه([2]) وما يصدق على أبيه في فضيلتي العلـم والشـجاعة يصدق على سلسلة أجداده من آل المشعشع، إضافة إلى كرم المحتد وسمو النسب كـان علي بن خلف بطلاً مغواراً يتمتع بشجاعة نادرة وعزم فريد ومكانة مرموقـة في العلـوم والآداب.

هذه الأمور وغيرها من مشاعر الكبرياء والفخر تركـت أثرهـا في نفـس الشـاعر التواقة للشموخ، فعبر عنها في شـعره بصـدق، منهـا قولـه يتحـدث عـن شـغفه بالمجـد وهمته العالية نحو السؤدد:

سـتعلم ذات القـرط أني عـلى الوفـا ... مقيم وخـان المجـد إن خنتهـا عهـدي

ولكـــن أبـــت لي نخـــوة علويـــة ... مجـرى لغـير المجـد في حالـة بـردي

فبـي صـبوة لكـن إلى جلـوة العـلى ... وبي شـــغف لكـــن إلى ذروة المجـــد

فما راحتـي في أكـؤس الـراح تجـتلي ... ولا طـــربي في كـــل مائســـة القـــدِ

ولا شاق قلبي أدعـج الطـرف أحـور ... ولا بـت أرعـى الـنجم شـوقاً إلى دعـدِ

ولكن إلى المعروف والفضـل والنـدى ... أحـن ولـبس الـدرع والفـرس النّهـد

فمـن مبلـغ الفتيـان مـن آل هاشـم ... ولا سـيما الأشراف مـن عـترة المهـدي

---

(1)الغدير 312/11.

(2)أعيان الشيعة 27/30.

بــأن فتاهــم ليـــس يرضى بأنه يعـيش وأن يجــدي عليـه ولا يجــدي([1])

....

وله أيضاً يذكر أن الأهداف العظيمة للمناضلين لا يمكن أن تتحقق بدون ثـورة عارمة يحمل فيها السلاح وتراق فيها الدماء:

فــإن أبــاة الضــيم مثلــك لا تــرى لها غير ماضي السيف خلا مصـافيا

وتغضب حتى ترتـوي البـيض والقنـا وترضى إذا ما أصبح السيف راضـيا

أجب داعي الهيجاء والحرب يا ابنها فمر المعـالي أن تجيـب المناديـا([2])

....

وله أيضاً:

إذا قمــت قامــت لي إلى مــا أرومــه جحاجحــة شــمط وأغلمــة مــرد

وأن أنـــا أجريـــت الجيـــاد لغايـــة فـلا مطلـب إلاّ المكـارم والحمـد

وأن أنـــا قربـــت الجيـــاد لحـــادث تهلل وجه العز وابتسم المجد([3])

....

وله أيضاً:

وهــو إنــا أنــاس وأن رفــت ضــمائرنا شوقاً إلى الأهل والخلان من عـرب

فــالعزم يردعنـــا والمجـــد يشـــغلنا يهون عند المعـالي أنفـس الإرب([4])

....

- حياته في المنفى:

إن الشـعور بنشــوة الكبريــاء والتفــوق والعظمــة التــي طغــت عــلى روح

---

(1)ديوان علي بن خلف، ورقة 13.

(2)ديوان، ورقة 127.

(3)ديوان علي بن خلف، ورقة 16.

(4)المصدر السابق، ورقة 59.

الشاعر في شبابه لم تلبث أن انكفأت وتحولت إلى إحساس بالألم والمرارة، فقد استدعاه السلطان الصفوي واحتجزه في أًصفهان عاصمة السلطنة وفي غيرها من المدن الإيرانية بين عامي 1049-1056هـ ولم يخلصه من هذا الحجز إلاّ حالة الاضطراب السياسي التي اجتاحت الإقليم، فقد تمردت القبائل العربية على الاحتلال الفارسي وعند ذاك لم تجد السلطات الصفوية بدا من الاعتراف به حاكماً على إقليم الأحواز([1]).

إن سني الاحتجاز تلك خلفت أثراً بليغاً في نفس الشاعر، فهو يسكب الدمع ويبعث العبرات لفراق الأهل والأحبة والبعد عن الوطن، ولكن عمق مأساته لم يفل من عزمه أو يطوي من إرادته القوية على ما تؤكده قصائده التي قالها في ديار الغربة، ومنها قصيدته النونية، التي منها:

عسى من رماني بالنوى يعكس النوى	فيعلو مكان بينكم بمكين
لأن خانني الصبر الجميل لبينكم	فقد ساعدت عند الفراق شؤوني
ولما توادعنا ونصت ركابنا	وقد غابت الأشخاص جن جنوني
تكلفت صون الدمع أن تشمت العدا	وهيهات سر الدمع غير مصون
فزادت على نار الغضا نار زفرتي	وخجل سكب المزن سح جفوني
لقد عذلوني أن حننت صحابتي	ولو وجدوا وجدي لما عذلوني([2])

....

وله في المعنى نفسه:

أحبابنا إن لم تر العين شخصكم	فأنتم بقلبي ساكنون ونزّال
أراكم بنومي إن حجبتم بيقظتي	لي الله جل الخطب وانعكس الحال([3])

....

(1)تاريخ المشعشعين، ص 133.

(2)ديوان علي بن خلف، ورقة 59.

(3)المصدر السابق، ورقة 62.

وله في كثرة التنقل في البلاد الفارسية دونما رغبة منه أو هدف معين:

مـا أنجـاب ليـل عـن صـباح طـالع	إلاّ وطـــالعني بوشـــك فـــراق
لم تـدر مـا معنـى الإيـاب ركائـب	مشـــغولة بتطـــوف الآفـــاق
ويهـــون ذلـــك لـــو يكـــون إيابنـــا	هـذا إيـاب تواصـل وتلاقـي([1])

....

وحينما اضطره المطر مرة للإستضافة في قريـة مـن قـرى أصـفهان، دخـل أحـد بيوتها، فلما استقر به الجلوس تزفرّ، وكانت قريب منـه عجـوز، فقالـت أظنـك مفارقـاً، فقال: فراق وأي فراق فأنشد بديهة:

وقائلـــة باللـــــه أنـــت مفـــارق	فقلـت فـراق لا أطيـق لـه وصـفا
مفـــارق أحبـــاب مواصـــل زفـــرة	وما حال صّب نازح فارق الألفا([2])

....

وكان أهل بلاده يزورنه وهو في دار الغربة بين الحـين والآخـر وفي واحـدة مـن هذه الزيارات أثاروا أشجانه، وحركوا ساكن الآمه، فعبر عن واقعة المؤلم عنـد مغـادرتهم إياه، فقال:

فـــاز في رحلـــة الزيـــارة قـــوم	وفريـــق قـــد آب للأوطـــان
هـــذا صـــحبتي مضـــوا واســـتقلوا	وأنـــا موثـــق بكـــف الزمـــان
لا أرى مســـعد ســـوى زفـــرة تعلـــو	ولا ســـامحاً ســـوى أجفـــاني
وكـــأن الزمـــان أقســـم لا يـــنجح	حـــرًّا ولا يحـــق الأمـــاني
يـــا إلهـــي أنجـــح بخـــير إرادتي	ولا تبقنـــي عـــلى الحرمـــان

(1)المصدر السابق، ورقة 62.

(2)المصدر السابق، ورقة 93.

واكفنـــي نكبـــة الزمـــان ومـــا ألقاه في دار غربتي من هوان([1])

....

وعبّر عن سخطه وخيبة أمله في قـرب الخـلاص مـن الآم الغربـة وبعـد الأحبـة وضنك العيش وحالة القلق والرعب التي هو فيها ويستذكر حالة النعيم التي عاشـها في ربوع بـلاده ذات الجنـان الخلابـة والمـيـاه الـوافرة والخـير العمـيم، ويعلـن عـن هيامـه الشديد بمناظرها الطبيعية الساحرة فيقول:

لـك اللـــه مـن هـم أنـاخ وخـيما وقلـــب طـروب لا يـــزال متـــيما
ونفـس عـلي مـرّ الزمـان مشـوقة وعـــين متـــى اســـتمطرتها دمـــا
إذا لاح مــن بــرق العقيــق عقيقــة أنــت بعقيــق الــدمع فــذا وتؤمــا
تراعــي نجــوم الجــو شــوقاً لجــيرة تخــالهم في ســاحة الجــزع أنجــما
فللــه مــن عــين نفــى النــوم دمعهــا على أعين بــالجزع قــد رحــن نوّمــا
فليـــت ليـــالي الطـــوال بفـــارس فــدا لليالينــا النضــار عــلى الحمــى
وعــيش نهبنــا اللـــهو فيــه كأنــه لسرعتـــــه طيـــــف ألم وســـــلما
ومــا كــان إلاّ الــوهم مــر بخــاطري ويــا قصر عــيش قــد ألم تــوهما
ومــا صرّم اللـــذات عنـــي وشــاقني سوى ذكر دهر بالحمى قد تصرمـا
إذ العــيش غــض والزمــان مســاعد وفي أعين الأحداث عن شـملنا عـما
فأكنافنــــا روض الجنــــان تخالهــــا أنــار بهــا كــف الربيــع والحــما
وقد نسجت أيدي السـحاب بربعهـا رداء بـــألوان الـــورود مســـهّما([2])

....

(1)ديوانه، ورقة 68-69.

(2)الديوان، ورقة 111- 112.

وحينما أذنت له الحكومة الصفوية بالعودة إلى وطنه، سرت البهجة في نفسه، وملأ البشر محياه، وسرح بتفاؤل رحب، يتغنى بمرابع وطنه وعبير دياره التي شغف بها وعاشت في سويداء فؤاده فقال:

إن شاء ربي وصح الظن والفال ... غدا تحييك أوطان وأطلال

وتكحل العين بالمجرين عبرتها ... قد ألح بها سح وتهمال

وتستريح المطايا من توقصها ... فقد أضر بها شد وترحال

بشراك يا نوق هذي الدار قد قربت ... وقد بدا لك فرع البان والضال

فذا جميم من الحوذان معتكف ... وذا نمير يشوق النفس سلسال

لا أوحش الله عيني من مرابعها ... وجادها من رباب المزن هطال

دار سحبت بها ذيل الصبى ولكم ... جرت بها في زمان الوصل أذيال

يسري النسيم عليلاً في خمائلها ... لكنه لسقيم القلب أبلال

والغصن من نغمات الطير في طرب ... فالطير صادحة والغصن ميال([1])

....

وبعد توليه حكم الإقليم خرجت على سلطته بعض القبائل في سنة 1067هـ فدخل معهم في حرب كانت نتيجتها انتصاره عليهم، فأنشأ قصيدة معرضاً بهم ساخطاً عليهم، منها:

ذا ربع مية بالثوية فأربع ... إن كنت من يرعى حقوق الأربع

سكانها نقضوا العهود وضيعوا ... يا حافظاً للعهد غير مضيع

فاشمخ بأنفك عن أناس خلفوا ... ما أوعدوك وحبل ودهم دع

لا ساعد الرحمن قلباً ذاكرا ... أيام من خان العهود ولا رعي

الناس بين مجاهر لك في الأذى ... وموارب تغلي ضمائره فعى

---

(1)الديوان، ورقة 101-102.

قابلـــت جهلهـــم بحلـــم واســـع	قـل للفـوادح عنـد ذاك توسـعي
الفتـــك عـــين الـــرأي تـــدبيرهم	لـــو لم تكـــن لله لم تتـــورع
خلقـوا مـن الشر الصريـح وصـوروا	شر الورى سكنوا بشر الموضـع([1])

....

- ثقافته:

ولد الشاعر في بيئة ترعى الأدب وتحترم العلم وتؤلف المصنفات وتثيب العلـم وتقرب المفكرين، فقد اعتنـى الأمـراء المشعشـعيون منـذ السـنين الأولى لتـوليهم حكـم الإقلـيم بتثقيـف أولادهـم وتعلـيم أبنـاء دولـتهم، فكـثر المتعلمـون وازدهـرت الثقافـة وانتعش الأدب، وقد كانت أسرة الشاعر عـلي بـن خلـف اسرة علميـة وأبـوه مـن كبـار العلماء والمصنفين فشـب هـذا الشـاعر شـغوفاً بـالعلم والأدب وتتلمـذ عـلى عـدد مـن الفضلاء الكرام والعلماء العظام، فاقتبس منهم قراءة وسماعاً، مـنهم الشـيخ محمـد بـن علي الحرفـوشي في النحـو والصرف، والشـيخ صـالح بـن عـلي بـن غـانم، والشـيخ معـين الجزائري، وعلى والده في علم الكلام والشيخ عبد اللطيف الجامعي العاملي في القواعـد وغيرهم([2])، فنبغ بين مفكري عصره وتقدم علي شعراء مصره قد (تحلى بقشـائب أبـراد العلم، وأزدان بعقود الأدب الزاهي، وقلائد من القريض الرائـق..)([3]) فـألف في التفسـير والأدب والشعر والنحو والطرائف والتاريخ وغيرها.

وكان بحق أحد أركان النهضة الفكرية في الإقليم.

---

(1)الديوان، ورقة 144-145.

(2)تحفة الأزهار، ج 3، ورقة 126.

(3)الغدير، ج 11/ص 312.

- آراء العلماء فيه:

عرف العلماء المعاصرون له والمتأخرون عنه سمو مكانته، فخصوه بجزيل الثناء وأطروه غاية الإطراء، فقال مادحه شهاب الدين الموسوي مشيداً بشعره وأدبه وعلمه وثقافته:

هـو المصـقع اللسـن الـذي لبيانـه بنظم القـوافي معجـزات الفواصـل
وموضوع علم الفضل والعلـم الـذي عليه وجوباً صح حمل الفواضل([1])

....

وقال في شعره أيضاً:

كـم لـه في القـريض مـن بنـت فكـر يبتغـي البـدر أن يكـون أخاهـا
قــد ترفّــت حســناً ورقــت كــمالا فاســتفزت قلوبنــا في رقاهــا
صــــاغها عســـجداً ورصـــع درا في حشــاها وبــالحرير كســاها
أصــبحت بيننــا اليتيمــة تــدعى متــع اللــــه بالحيــاة أباهــا
جملـــة مـــن كواكـــب كالثريـــا وقعــت في كلامــه فحكاهــا([2])

....

وله يثني على علمه وأدبه:

لســـــن كـــــل لال يــــــده فرقتهـا هــو في النطـق حواهـا
بحـــر علـــم لجـــة مـــن جعفـــر قــبس شــعلته مــن نــور طاهــا
كـــم بروضـــات القـــراطيس لـــه كلــمات تشــبه الزهــر رواهــا
علمــــه نــــور مبــــين للهــــدى ظلـمات النصـب بـالنص جلاهـا

---

(1) ديوان شهاب الدين الموسوي، ص 56.

(2) المصدر السابق، ص 158.

جـــاد في خـــير مقـــال صـــدقة   شـبه الباطـل بـالحق محاهـا([1])

....

وقال الشيخ الحر العاملي: «كـان فاضـلاً شـاعراً جليـل القـدر، لـه مؤلفـات في الأصول والإمامة، وقد مدحه شعراء عصره من أهل بلاده وغيرهم»([2]).

وقال العلامة نعمة الـلـه الجزائـري: «قـد حـاز الأوفـر مـن العبـادة والزهـادة والتبحر في فنون العلوم ونظم الأشعار والقصائد وقد أكثر من التصانيف العالية في أنواع العلوم، وقد كان من العلم والعفو عمن أساء إليه بكمان لا يداني، وقـد اتصـلنا بملازمـة مجلسه العالي أوقاتاً كثيرة، وما كان عيب مجلسه إلاّ ذكر الفنون والآداب فيه، وكما قال الشاعر:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم   بهن فلول من قراع الكتائب([3])

....

وقال الأديب محمد أمين المجبي الدمشقي: «هـو الخلـف نعـم الخلـف فـائق بعون الـلـه على السلف، فمن رأى ما في شـعره مـن الصـنعة والأغـراب عـرف أن خلفـاً استخلفه على اللغة والإعراب، فله من معان يصـوغها ومجـاني عبـارات يسـوغها. ينفـق فيها من خاطر واسع وفكر ملي، ويوضح مذاهب البلاغة حتـى يحقـق أن نهـج البلاغـة لعلي»([4]).

وقال الشيخ محمد السماوي فيه: «كان عالمـاً فاضـلاً حـاكماً فاصـلاً، مصـنفاً في العلوم، أديباً حسن المنظوم والمنثور.. له ديوان شعر فيه مـن محاسـن الشـعر ومـدائح الأئمة ما يليق بشأنه»([5]).

---

(1)ديوان شهاب الدين الموسوي، ص 172.

(2)أمل الآمل، ج 2، ص 187.

(3)الأنوار النعمانية، ج 338/3.

(4)نفحة الريحانة، ج 3، ص 164.

(5)الطليعة في شعراء الشيعة، ج 2، ص 17.

■ آثاره:

1-النور المبين في الحديث. أربعة مجلدات([1]).

2-تفسير القرآن الكريم. أربعة مجلدات([2]).

3-خير المقال (شرح قصيدته المقصورة) في الآداب والنبوة والإمامة أربعة مجلدات([3]).

4-نكت البيان (في التفسير وفنون الأدب والحكايات المستطرفة) مجلد واحد([4]).

5-مجموعة مشتملة على طرائف المطالب التي أوردها في مؤلفاته الأربعة المذكورة([5]).

6-رسائل عدة في علوم وفنون مختلفة([6]).

7-ديوان شعره([7]).

■ شعره:

يحتوي ديوان الشاعر علي بن خلف علي (722) قصيدة ومقطوعة شعرية تقريباً، وهذه مقسمة على أربعة أقسام حسب المناسبة والمكان، وهي:

1- المدائح النبوية: وتتضمن الثناء على النبي (صلى الله عليه وسلم) وأهل بيته والإشادة

---

(1)أمل الآمل، ج 2، ص 187، الغدير، ج 11/ص 17.

(2)أمل الآمل، ج 2، ص 187، الغدير، ج 11، ص 313.

(3)المصدر نفسه.

(4)المصدر نفسه.

(5)المصدر نفسه.

(6)المصدر نفسه.

(7)منه نسخة خطية في مكتبة المتحف العراقي تحت رقم 522.

بمقاماتهم وكراماتهم وطلب الشفاعة والعون من اللـه بوساطتهم، وتتخللها مقاطع.

2- التهاميات: وتتضـمن نسـيبه العفيـف، وشـغفه بالـديار الحجازيـة وآثارهـا ومآثرها وحيواناتها، وقد أقتفى فيها أثـر الشريـف الـرضي في حجازياتـه وهـو مـا ذكـره الشاعر نفسه([1]).

3- العجميات أو القزوينيات ([2]): وهي ما قاله في بلاد العجم حيـنما احتجزتـه الحكومة الصفوية هناك من عام 1049-1056هـ وتدور موضوعاتها بـين الشـكوى مـن ألم الغربة والحنين للأهل والوطن والفخر بنفسـه وقومـه، ومـدح الرسـول (صـلى اللـه عليه وسلم) وأهل بيته والاستنجاد بهم لدفع مصائب الزمان.

4- أغراض متنوعة: وتضم القصائد والأشـعار التـي قالهـا في أوقـات ومناسـبات مختلفة من حياته في غير ما تقدم.

وقائد الديوان مؤرخة بين عامي 1043-1067هـ إذ علمنـا أن الشـاعر ولـد في عام 1018هـ وتوفي سنة 1088هـ فيكون قد لهج في نظم الشعر في بداية العقد الثالث من عمره، ولكن تبقى فاصـلة زمنيـة كبـيرة بـين آخـر قصـيدة مؤرخـة في الـديوان عـام 1067هـ وبين وفاته سنة 1088هـ هذه الفاصلة تساوي واحداً وعشرين عامـاً لم يـدون للشاعر شيء من شعره، وهذه المسألة تفترض تساؤلات عـدة هـل انقطـع الشـاعر عـن النظم بعد عام 1067هـ وأن الموجود هو كل شعره؟ أم هل يوجد ديوان آخر للشـاعر: أو أن جزءاً من الديوان مفقود؟

لم يتوفر لدينا جواب حاسم عـن هـذه التسـاؤلات، وثمـة ملاحظـات يمكن أن توضح شيئاً مـن غمـوض هـذه المسـألة، فالـديوان جمـع في حيـاة

---

(1)ديوانه، ورقة 58.

(2)ديوانه، ورقة 59.

الشاعر نفسه، والذي جمعه شخص آخر، وما يدل على ذلك ورود كلمات (قال سلمه الله، وحفظه الله..) في بعض صفحات الديوان. وورود عدد من قصائد الشاعر في كتب ترجمت له، وهذه القصائد غير موجودة في الديوان ومؤرخة بعد عام 1067هـ مما يدل على استمراره في نظم الشعر حتى آخر عمره، وخاصة ان هذه الحقبة من حياته حافلة بالحوادث والمناسبات التي تهز العاطفة وتطلق القريحة، ففيها تولى حكم الإقليم ودخل في معارك عدة مع خصومه، ولا يعقل أن تمر هذه الأمور دون أن يقول شعراً، زيادة على ما تقدم أن السنين الأخيرة من حياته كانت عامرة بالتأليف والكتابة، وأدركته الوفاة وهو يؤلف كتابه (منتخب التفاسير)([1]) مما يؤيد استمراره في البحث والتأليف ولم تصرفه أمور الحكم عن الاشتغال بالعلم.

وبناء على ذلك ان ديوان الشاعر لا يحوي أشعاره كلها، وربما يكون له ديوان شعر آخر.

- شاعريته:

لخص الشاعر علي بن خلف منهجه الشعري في أثناء حديثه عن أشعاره المسماة بـ(التهاميات) فقال: «إنما سميت هذه القطعات بالتهاميات لوجهين، :الأول: أني لما رأيت الشريف الرضي ذا الحسبين محمد بن الحسين الموسوي قدس الله سره، قد وسم جملة من أشعاره بالحجازيات، وكانت طريقتي فيما أنظم أن أقتفي آثاره، واستضيء نوره، فهو كالأستاذ لي بالقوة أحببت أن أجري مجراه، وأغزي مغزاه:

بأبه اقتدى عدى بالكرم   ومن يشابه أبه فما ظلم

....

(1)تاريخ المشعشيين، ص 139.

فكان ما جمعنا من القرابة الأدبيـة مثـل القرابـة النسـبية، عـلى أننـي معـترف بتقصيري عن بلوغ مداه، وأني لي أو لغيري إدراك فضله وعلاه، لكـن مـن الواجـب عـلى الولد الجري علي طريف آبائه والتوسم بميسم كبرائه.

والثاني: لتعلق نسبيها برعان تهامة ورباها، ونثر فريـدها ببطحاهـا كحصـباها، فإن قيل أن الشريف نظم تلـك القلائـد في أسـفاره إلى الحجـاز فنظمـه كـان كالحقيقـة ونظمك كالمجاز.

فأقول: أني في ذلك كـما قـال أخـوه الشريـف المـرتضي، عاملـه اللــه بالرحمـة والرضا:

يقولون نجداً لست من الشعب أهلها	وقد صدقوا لكنني منهم حبا

....

أو كما قال مهيار:

مـــالي أحـــن إلى زرود وطينتـــي	مـن غـير مـا جبلـت عليـه زرود
ويشوقني عجف الحجاز وقـد صـفا	ريــف العــراق وظلــه الممــدود
والمطـــرب الشـــادي فـــلا يهتـــزني	وينـــال منـــي الســـائق الغريـــد

....

عـلى أن مهيـار كـما قـال، وأنـا وأن شـطت بمسـكني عنهـا الـدار، وبعد بمولدى عنها المزار، فإن منها طينتي وإليها نسبتي، وهذا الأبيـوردي قد وسم نفراً من شعره بالنجديات، وأين نجد من خراسان، وهل ذلك إلاّ لا عرابية طبعه ونفسـه، وأنـه ينتمـي إلى أميـة وعبـد شـمس، وأنـت إذا نظرت إلى شعري رأيت أغلبه، بل كله منزه عن رذائل الحضريـين، متحليًّـا بحلية البـدويين لم يـدنس بتشـبيب الغلـمان، ولم يلـوث بـرجس الـدنان، وأضربت عن وصف البساتين وأن حسن لملازمتها الآت الطرب الملازمة لما تعلم من الأدناس ولم ينال من عرضي بـين النـاس، فتركـت وصـف وردهـا

وجلنارها، وأخذت في نعمت خزامى البادية وعرارها، فتارة أنسب بجزوى ورامة، وآونة أشبب بإمامة ولا أمامة»([1]).

الذي يفهم من كلام الشاعر، أنه يعتمد الإطار التقليدي الذي يسير وفق عمود الشعر والطبع العربي الأصيل، الذي اختطه كبار الشعراء العرب في العصور المتقدمة بعيداً عن التكليف والتزويق والزخرفة اللفظية، ويترفع عن سقطات الحضريين وخلاعة الماجنين.

وكان يرى ضرورة الإنسجام بين اللفظ والمعنى، وأن اختيار الألفاظ يمنح المعنى وضوحاً وقرباً إلى النفوس، وفي هذا المجال نذكر مناسبة حصلت له في أحد مجالسه الأدبية تدور في هذا التصور قال جامع ديوانه: وقد اتفق أنه رأى في بعض النسخ أبياتاً لبعضهم وأعجبه نصف بيت منها وقع منه بموقع، وهو: «هذا هو العيش إلاّ أنه فاني»، فاتفق أنه جلس مع بعض الأصحاب ممن يتعاطى أكثرهم الأدب، وكان من جملتهم الشيخ الفاضل التقى الشيخ مساعد، فقال: أني لأريد تضمين هذا المصراع، وكلما اتبعت فكرتي في نظم أبيات تشتمل على معنى ينطبق على التضمين موافقة للحال مضمونها أني أصف لذة سريعة النفوذ ولم يتأتى ذلك لي، فقال بعضهم: صف المجلس والروض والطرب وما شابه ذلك، وقال بعضهم: صف وصال الحبيب ولوازمه من فنون الطرب، وأخذوا يعددون أصناف اللذات، فرأيت كل أقاويلهم باردة وما انبعثت لها الطبيعة الجامدة، إذ الوصف الأول شأن أهل الشرب، والثاني يصفه من شاهده، فقال الشيخ: ينبغي أن تصف لذة الوداع، فقلت له: لعمري قد أصبت المحز وطبقت المفصل، وصادف قولك مني القبول، وأجبته إلى ما يقول:

سلي أميمة عن قلبي ولوعته   فصاحب الدار أدرى بالذي فيها

....

(1)الديوان، ورقة 58.

فقال:

لم أنس وقفتنا حين الوداع ضحى   بسفح نعمان يا سقياً لنعمان
والعين قد نعمت من بعد ما شقيت   والقلب حلف صبابات وأشجان
لله كم أطلع التوديع لي قمرا   ما كنت أزعم ألقاه ويلقاني
لم تبلغ العين من توديعهم نظرا   حتى اختفى بين أحداج وكيران
ما كان أطيبه وقتاً وأقصره   (هذا هو العيش إلاّ أنه فاني)([1])

....

ومن رأيه أن الشعر عمل فني رائع يعتمد على براعة الشاعر نفسه، ومقدرته في اختراع المعاني الرفيعة وما يلائمها من الألفاظ البليغة، وتبرز مهارة الشاعر في إيصال المضمون في التعبير المناسب الذي يملأ الأسماع ويجذب الألباب، وبهذا المعنى نذكر تصور شاعرنا في الحوار الذي دار حول قصيدة من قصائده في أحد مجالسه الأدبية التي منها:

سرى طيف سلمى والتنايف بيننا   يجوب أحزان الفلا وسهولها
من القوم يشقى من يروم نزالها   وتولي بحسن الرفد منها نزيلها

....

اعترض على قوله: (من القوم يشقى من يروم نزالها) بأنه لا يحسن أن يظهر العجز عن المطلوب، وأن تمدح مناعة المحبوب، فقال علي بن خلف: ذلك طريق الشعراء، وأن المحبوب إذا وصف بالمنعة كان أحسن من وصفه بالإباحة والبذل للوصل، وأنه دنيء القوم، وأما إظهار العجز فذلك لإثبات منعة المطلوب وهي المراد ولا يلزم من ذلك وصمة على القائل، ثم أن الشاعر المجيد من شأنه التفنن، فتارة يصف نفسه بطروق دار الحبيب وعدم المبالاة، وتارة يصف نفسه بالعجز كما ذكرنا([2]).

---

(1)الديوان، ورقة 14.

(2)ديوان علي بن خلف، ورقة 63.

وهناك عنصران هامان أثرا في صقل وتطوير موهبته الشعرية، هما: ثقافته الأدبية والعلمية، وحياته ذات الألوان المختلفة والأمزجة المتنوعة، فقد أتيح لهذا الأديب أن يتثقف ثقافة عالية ومتقدمة كثيراً على من عاصروه من العلماء والأدباء، وفي ميدان الشعر بشكل خاص (كان يحفظ من القصائد مع كبر سنه ما لا يعد، وكان يحفظ أكثر الدواوين على خاطره)([1])، وقد أشار العلاّمة نعمة الله الجزائري المعاصر له إلى هيامه بشعر المتقدمين، ودراسته لدواوينهم، والمجالس والمنتديات التي كان يقيمها في بلاط الإمارة أيام حكمه لدراسة ومناقشة العلوم والآداب في مواضع عدة من كتابيه زهر الربيع والأنوار النعمانية([2])، وكان نتيجة هذه المواصلة والمتابعة الفكرية أن امتلك الشاعر ثروة أمدته بعناصر القوة لملكته، وزودته بالأدوات التي يحتاجها في تعبيره. إن أثر ثقافة الشاعر واضح في نتاجه الشعري، وتتوفر عشرات الشواهد في ديوانه، ويقع القرآن الكريم في مقدمة الكتب التي تأثر بها، ويليه الحديث الشريف ثم كتب التاريخ والأدب ودواوين الشعراء، ففي مجال تأثره بالقرآن الكريم قصيدته التي يذكر فيها القصص القرآني والتي منها:

ويا رافعاً إدريس أرفع رتبه ... ويا منجياً نوحاً من الماء إذ طما
ويا مهلكاً عادا ومنجي عبده ... وحقك لو لم تنج هوداً لما نجا
ويا منجيا من خطة الكفر صالحا ... وباءت ثمود بالعقوبة والشقا([3])

....

(1)كنز الأديب، ج 5/ ورقة 274.

(2)ينظر: زهر الربيع 1/ 210، 319، والأنوار النعمانية 3/ 170، 4/ 197، 314.

(3) الديوان ، ورقة 92.

أما أثر محفوظه من الشعر فورد في صور عدة، إما بذكر الشعراء الـذين أغـرم بهم أو ذكر ألفاظهم والاستفادة من أفكارهم أو تضمينه شيئاً من شـعرهم أو معارضـة لبعض قصائدهم.

ومن ذلك قوله:

فخـر القـريض بـأنني لهـج بـه وبــه افتخــار سراقــة والشــنفرى

وإذا نطقت فـإن لفظـي مخـرس قس بن ساعدة الخطيب وعنترا([1])

....

وقال مضمناً قول أبي تمام: (وقائلة ما بال دمعك أسودا):

وقائلة ما بال دمعك هاطلا وأنت قرير العين في عيشة رغد([2])

....

وقال مضمناً قول الفرزدق (أولئك آبائي فجئني بمثلهم):

أولئك آبائي وشيخي من ترى فيا دهر مثلي من يعاكسه الجد([3])

....

وقال متأثر بقصيدة الشريف الرضي التي مطلعها:

يــا ظبيــة البــان ترعــى في خمائلــه ليهنـك اليـوم أن القلـب مرعـاك

حمامة البان نوحي ما استطعت ضحى فـالنوح منـك معـين النـائح البـاكي

لم ألـق في الصـحب ذل وجـد يـذكرني تهامــة بــرخيم الصــوت الآك

حكيـت بـالنوح نـوحي وانفـردت بكـا وإنما الفضل للمحـكي لا الحـاكي([4])

....

(1)الديوان، ورقة 10.

(2)المصدر السابق، ورقة 24.

(3)المصدر السابق، ورقة 16.

(4)المصدر السابق، ورقة 41.

وقال متأثراً بمطلع قصيدة الأعشى:

ودع هريـــرة أن الركـــب مرتحـــل   فهــل تطيــق وداعــاً أيهــا الرجــل

....

فقال:

ودّع فـــؤادك إن الكـــرب مرتحـــل   غــــداً تســـير بــــه الوّخـــادة الـــذلل

في القرب والبعـد لا تنفـك في تعـب   فالشوق إن نزلـوا والحـزن إن رحلـوا([1])

....

ومن تأثره بقول أبي فراس الحمداني:

أقــول وقــد ناحــت بقــربي حمامــة   ايـــا جارتـــاً لـــو تشـــعرين بحـــالي

....

قوله:

أقـول وقـد ناحـت سـحيراً حمامـة   مفارقـــة مـــثلي حبيبـــاً مـــدانيا

تجامعتـــا دهـــراً قصـــيراً بلـــذة   كقصر زماني حـين أجـدى التصـافيا

وشتهما الدهر الخؤون وقد غـدت   تنوح كنوحي ثم تبدى النواعيـا([2])

....

وأما قوله:

أحبابنــا هــل بعــد ذا البعــد أوبــة   وتصـفوا ليالينـا ببرقـة ثهمـد([3])

....

---

(1)الديوان، ورقة 42.

(2)الديوان، ورقة 57.

(3)الديوان، ورقة 29.

فلا أحسبه إلاّ متأثراً بقصيدة طرفة بن العبد:

لخولـــة أطـــلال ببرقـــة ثهمـــد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليـد

....

وقال معارضاً قصيدة البهائي التي مطلعها:

(سرى البرق من نجد فجدد تذكارى)[1]

هي الدار ما بين العذيب وذي قار عفـت غـير سـحم مـاثلات وأحجـار

رسـوم عفاهـا كـل سـاق وهاطـل فهـن كجسـمي أو غـوامض أسراري

أقمنـا حيـارى سـائلين فلـم نجـد مجيباً سوى دمع على نؤيها جاري[2]

....

وإذا كانت ثقافـة الشـاعر تمـد موهبتـه بعنـاصر الديمومـة والازدهـار وتمنحـه القدرة على الإبداع الفني، فإن شؤون حياته المتغيرة تلون شعره بطـابع خـاص ينسـجم مع واقع حياته، والشاعر ابـن بيئتـه، يفـيض وجدانـه بمؤثراتهـا، ونشـأ شـاعرنا في بيـت محاط بمجد السلطان وسمو النسب وكرم المحتد ولكنه لم يرب تربية الأمراء المترفين، بل روض على حياة الفرسان الكادحين والعلماء الزاهدين بأشراف والـده السـيد خلـف بـن مطلب الذي تحث عن حياته الشاعر نفسه بقوله: «كان زاهـداً مرتاضـاً يأكـل الجشـب ويلبس الخشن مع أنه كان والياً اقتداء بسيره آبائـه، وكانـت عبادتـه يضرب بهـا المثـل، ومع ما كان عليه من الزهد والتقوى كانـت شـجاعته تضرب بهـا الأمثـال، وأيامـه فيهـا مشهورة، ومواقعه معلومة، ولولا خـوف الإطالـة لعـددناها، وكـان ذا عـزم وشـدة عـلى هجوم النوائب ونزول الحوادث، ويتلقاها بالعزم الشديد الذي تميد له الجبال ولا يميـد،

(1)أعيان الشيعة 246/30.

(2)الديوان، ورقة 146.

ولو عدت مناقبه ومفاخره ومآثره لكانت كتاباً مفرداً، ولكننـا اقتصرنـا عـلى مـا أوردنـاه هنا»([1]).

ترعرع شاعرنا في هذا البيت الذي أمده بالفخر وزرع في نفسـه الطمـوح نحـو المعالي، فكان طابع شعره العام هو الفخر بمآثر أسرتـه والتغنـي بأمجـاد أمتـه العربيـة، والبطولات والمعارك وحمحمة الخيول وقرقعة السـيوف، ومسـحة الفخـر هـذه رافقتـه طول حياته، وبسبب نزعة طموحه تعرض للنفي من قبـل الحكومـة الصـفوية وهـو في زهرة شبابه، فكانت مناسبة مؤثرة حركت أشجانه بالآم الغربة وفراق الأهل والبعد عـن الوطن فجاء شعره طيلة هذه المدة يفيض بالشكوى وينضح بالعبرة ويستغيث بالبـاري سبحانه وتعالى والرسول (صلى اللـه عليه وسلم) وأهل بيته طلباً للنجدة والخلاص مـن هذه الشدة. وبعد توليه حكم الإقليم كانت قصائده تطفح بوصف المعارك التي خاضها ضد الخارجين عليه.

إن الأغراض التي طرقها الشاعر علي بن خلـف تـأثرت إلى حـد بعيـد بظـروف حياته وميوله ونزعاته وثقافته، فنظم في الفخر والشـكوى والـدين والنسـيب، ولكنـه لم ينظم في المديح.

وحافظ على التقاليد الفنية المعروفة في بناء القصـيدة العربيـة بتعـدد الغـرض وجزالة الأسلوب، واختلف كثيراً عن شعراء عصره الـذين أفرطـوا في المحسـنات اللفظيـة والبديعية، وكان شغوفاً بالبيان العربي بعيداً عن التكلف يسير مع البديهة وينحو منحى أهل الطبع.

---

(1)أعيان الشيعة 25/30.

شهاب الدين الموسوي الحويزي

- اسمه ونسبه وكنيته:

هو أبو معتوق شهاب الدين بن أحمد بن ناصر بن حوزي بن لاوى بن حيدر بن المحسن الموسوي الحويزي([1])، وهو من السادة أمراء الحويزة([2]).

وقد ورد خلاف في اسمه، فذكر ابن شدقم أن اسمه شهاب الدين ناصر بن حوزي بن لاوى([3])...، بينما ابنه السيد معتوق الذي جمع ديوان والده لم يزد شيئاً على تسمية شهاب الدين الموسوي في مقدمة الديوان الذي جمعه بعد وفاة والده، فقال: أما بعد فيقول العبد المحتاج إلى رحمة مولاه القوي معتوق بن شهاب الدين الموسوي([4]).

وقال صاحب الطليعة: أن اسمه شهاب الدين أحمد بن ناصر بن حوزي بن لاوى بن حيدر المحسن أبو معتوق([5]). وعالج السيد محسن الأمين العاملي هذا الاختلاف في اسمه فقال: «هو شهاب الدين بن أحمد بن ناصر بن حوزي بن لاوى بن حيدر بن المحسن الموسوي الحويزي أبو معتوق، وأن إسقاط (ابن) قبل أحمد سهواً من الناسخ لتطابق النسخ على أنه ابن أحمد»([6])ويعتمد السيد الأمين في ذلك على كتاب ملحق السلافة لابن معصوم وكتاب اسمه الأنوار لمؤلف مجهول([7])أما اسمه الذي ورد

(1)أعيان الشيعة، ج 36/ص 134، الغدير، ج 11/ص 307.

(2)أدب الطف، ج 5، ص 129.

(3)تحفة الأزهار، ج 3، ورقة 134.

(4)مقدمة ديوان شهاب الدين الموسوي، ص 2.

(5)الطليعة، ج 1، ورقة 168.

(6)أعيان الشيعة، ج 36، ص 134.

(7)المصدر السابق، ج 36، ص 134.

على غلاف الديوان فقد وقع فيه تحريف حيث سمي بـ(ديوان ابن معتوق). والصحيح هو (ديوان أبي معتوق)، وقد علق السيد محسن الأمين على هذه التسمية فقال: «اشتهرت تسمية ديوان ابن معتوق، والصواب ديوان أبي معتوق، لأنه ليس في أجداده من اسمه معتوق، فكأنه كان يسمى في الأصل ديوان أبي معتوق ثم قيل ابن معتوق، لأنه أخف على اللسان([1]) هذا إذا علمنا ابنه (معتوق) هو الذي جمع ديوان أبيه كما جاء في مقدمة الديوان ([2]).

- نشأته وحياته وولادته:

ولد شهاب الدين الموسوي في سنة 1025هـ بمدينة الحويزة موطن آبائه([3]).

وبهذه المدينة ترعرع وتعلم، وكان في نشأته فقيراً([4])ضعيف الحال حتى رعاه أمراء الحويزة وبالأخص منهم علي بن خلف وبهذا الشأن يقول ابن معصوم: «لم يزل يخب ويضع، والدهر يرفع منه ويضع، حتى أنقذه الجد من يد التلف، باتصاله بالسيد علي بن المولى خلف، فبؤه رحيب جنانه، وقصر على ساحته مدائحه إلى أن توفي»([5]).

وذكر السيد معتوق بن شهاب الدين في مقدمته لديوان أبيه المصاعب التي واجهت والده في حياته، ورعاية الأمير علي بن خلف له فقال: «وقد كان والدي رحمه الله... مع شغفه بهذه الصناعة في تلك

(1)المصدر السابق، 36، ص 136.

(2)مقدمة الديوان، ص 2.

(3)أعيان الشيعة، ج 36، ص 136.

(4)الوسيط في الأدب العربي، ص 315.

(5)أعيان الشيعة، ج 36، ص 135.

الأيام واشتهاره بين الخاص والعام، لم تسكن تلك الخرائد وخرد الترصيف، ولم تسلك هاتيك الفرائد بسمط التأليف، فتوطنت سباسب الهجران وخيمت عليها عناكب النسيان، وكان يعوقه عن ذلك ما لحق ذلك الزمان من الفساد، وما اعترى فيه هذه الصناعة من الكساد، مع فرق بال اجتمع عليه، وتشتت حال احتوى عليه. ما برح الدهر بتفويت مآربه، وتكدير مشاربه، على طرف الأضرار كما هو ديدنه مع الأحرار وذوي الأخطار إلى أن قام بباب من دانت لدولته الأيام... المؤيد بالرحمن أبو الحسن السيد علي بن المولى كمال الدين السيد خلف.... فامتطى غارب الزمان فأصبح في أمان من الحرمان، وأولاه مولاه بحصول الأماني واعتنى بتأديبه وكان له كالمعلم الثاني. حتى ذكت فطرته وسلمت بصيرته وحسنت سيرته وأتى بالبديع من المعاني وأحله من المباني..»([1]).

عاصر شهاب الدين الموسوي ثلاثة من الحكام المشعشعيين أولهم منصور بن مطلب الذي حكم بين عامي 1044-1053هـ وثانيهم بركة بن منصور الذي حكم بين عامي 1053-1060هـ وثالثهم علي بن خلف الذي حكم بين عامي 1060-1088هـ.

مدح الشاعر هؤلاء الحكام، بقصائد عديدة، وفي معظمها يشير إلى عمق علاقته بهؤلاء الحكام وفضلهم عليه ورعايتهم له، وكان علي بن خلف ممدوحه الأثير، وعلى مدحه أوقف معظم شعره، حتى عده مصدر إيحائه ومبعث قريحته لحسن سجاياه ورفيع خصاله، ومن شعره في الأمير منصور:

مولاي لا برحت يمناك هامية   على الموالين في غيّث الندى الهطل
أمطرتنا خلعاً حتى ظننت بها   قد أمطرتنا عيون الوبل بالبدل

(1)مقدمة ديوان شهاب الدين الموسوي، ص 3-4.

شكراً لصنعك من غيث همى فبدا روض الحرير على الأجسام والمقل([1])

....

وقال في الأمير بركة وقد عده مصدر رزقه وعيشه:

لــولا حيــا كفيــك مــا حيــا المحيــا روضي ولا ساحت بطـاح معينـي
كــلاّ ولا نلـــت النعـــيم ولا نجـــت روحي العزيزة من عذاب الهـون
بلغت مدى الأقصى لـديك مطـالبي وأصابت الغرض البعيد ظنوني([2])

....

وله فيه أيضاً:

قســـماً بهـــم وبمجـــدهم أني لهـــم لســـليم قلـــب وده لا يمـــرق
إحســـان والـــدهم تملـــك عـــاتقي فأنالـــه الـــرق الـــذي لا يعتـــق
مـــولى بخدمتـــه تشرف عبـــده وتهـــذبت أخلاقـــه والمنطـــق
منهـا اكتســب فصـاحتي فخلعتهـا ملكـــاً لـــه وأمانـــه لا تسرق
فــإذا بهــم قلــت المــديح فــإنهم من مال والدهم عليهم أنفـق([3])

....

وعلاقته بعلي بن خلف تتجاوز حدود التصور لمبالغته في مدحه، ومن مدائحـه فيه قوله واصفاً رعاية الأمير إياه:

كـــريم لديـــة زدت قـــدراً ورفعـــة وتكرمـــة والحـــرّ للحـــرّ يكـــرم
فـلي كـلّ حـين منـه لطـف مجـدّد ولي كلّ يوم من أياديـه أنعـم([4])

....

(1)الديوان، 25.

(2)الديوان، 37.

(3)الديوان، ص 164.

(4)الديوان، ص 61.

وله يفخر بموهبته الشعرية التي أوقفها لخدمة الأمير:

بـــــل الـــرّحمن علمنـــي المعـــاني وأوحـــــــاها إلى قلمــــي ونــــوني
فـــكم قـــوم لـــديك تـــرى محـــلّي فتغبطنـــي وقـــم يحســـدوني([1])

....

وله يتودّد إلى الأمير بذكر سجاياه الفاضلة، وحسن أياديه:

مـولاي لم أهـد القـريض إليـك منـي طمـع ولا بي عـن عطـاك ترفـع
لكننـــي قـــد خفـــت يسرق دره الـــ متشـــاعرون وفي ســـوّاك يضـــيع
وهـــواك ألجـــأني لـــذلك والهـــوى سحر به ينشـأ القـريض ويصـنع
فاســـتجلها بكـــراً يقلـــدها الثنـــا بالـــدرّ منـــه وبـــالحرير يلّفـــع
عـــذراء قـــد زفـــت إليـــك وإنمـــا منها الوصال عـلى سـواك ممتّـع
قـد طـرزت بسـني مـدحك بردهـا فكأنمـا هـو بـالحرير مجـزّع([2])

....

ويقول مؤكداً قوة علاقته بالأمير:

وترفعــت بي همتــي عـــن مدحــه لسوى جناب أبي الحسين العـالي
وقطعــت مــن كــلّ الأنــام علائقــي ووصلت فيه وفيه بنيه حبالي ([3])

....

وله يشيد برعاية الأمير إياه:

سمح به انفرجـت عيـون قريحتـي فجـرت وحـلّ بـه الزمـان عقـالي
بنـــداه علّمنـــي القـــريض فصـــغته فأتيـــت فيـــه مرصـــع الأقـــوال

---

(1)الديوان، ص 90.

(2)الديوان، 105.

(3)الديوان، 124.

ولهجـت فيـه وكـان دهـراً عـاطلاً فأزنتـه منـه بحـلي خصـالي
ولفظـت بعضـاً مـن فرائـد لفظـه فجعلتـه وسـطاً لعقـد مقـالي
أتلـو مدائحـه فيعبـق طيبهـا وكذا القـوافي العاليـات غـوالي([1])

....

وله يذكر أن شعره سجل يخلد أعمال الأمير علي بن خلف:

لا زلـت يـا غـوث لي غوثـاً ومنتجعـا ولا برحـت إليـك المـدح أهديـه
لـولا تملككـم رقـيّ بـأنعمكم ما راق شـعري ولا رقـت مبانيـه
وأستجل مـن أي نظمـي أي معجـزة تخلّد الذكر في الـدنيا وتبقيـه([2])

....

هذه النماذج الشعرية تشير من غير شك إلى العناية الفائقة بالشاعر مـن قبـل الأمراء المشعشعيين وبخاصة الأمير علي بن خلف، حتى أنه ليصـدق عليـه لقـب شـاعر الإمارة في عصره.

ولم تنحصر حياة الشاعر في إقليم الأحواز بـل تعـداه إلى منـاطق أخـرى فكـان يتردد على العراق، وبالأخص منه مدينـة الـبصرة، وكـان لـه فيهـا داراً([3]) ولـه مـدائح في أمرائها من آل أفراسياب([4]).

- وفاته:

توفي الشاعر شهاب الدين الموسوي يوم الأحد لأربع عشر خلون من شوّال مـن السنة السابعة والثمانين والألف للهجرة وله يومئذ من العمر اثنتان وسـتون سـنة ذكـر ذلك ابنه في مقدمة ديوان أبيه([5]).

---

(1)الديوان، 126.

(2)الديوان، 82.

(3)الديوان، 225.

(4)ينظر الديوان، 196، 200، 105.

(5)مقدمة الديوان، ص 4.

- ثقافته:

لم يذكر أحد من الذين ترجموا لحياة الشاعر أي مؤلف ينسب إليه ولكنهم أشادوا بمكانته الأدبية والثقافية من خلال شعره. إن الشذرات العلمية والأدبية التي رصع بها هذا الأديب شعره تنم عن مستوى ثقافي رفيع وإلمام واسع بعلوم وآداب متنوعة ومن مصادر متعددة، تجمع بين القرآن الكريم والحديث الشريف والتاريخ والشعر واللغة والحكمة وغيرها من العلوم التي وشّى بها أسلوبه وعضد تعبيره، نذكر منها على سبيل المثال أثر تلك الثقافة في شعره:

فمن أثر القرآن في شعره قوله:

هـم العدا بذهاب الـنور منه وما ... يطفون نوراً يـريد اللـه يظهره

يبغون محو اسمه من صحف منصبة ... والله في لوحه المحفوظ يزبره([1])

....

وقوله أيضاً:

تـزاور عـن خباه فـثم شـمس ... تـبلج حـولها فـجر النـصّال([2])

....

وقوله:

لو فاض طوفان نوح من نـدى يـده ... لما نـجا منـه بـالألواح والدّسـر([3])

....

وقوله:

همّوا بإطفاء نور المـجد منـك فلا ... فـتم فيك ويـأبى اللـه ما طلبوا

---

(1)الديوان، 40.

(2)الديوان، 49.

(3)الديوان، 49.

فكلـما أوقـدوا نـاراً بهـا احترقـوا   وأحــدثوا الحــرب فيــه يحــدث الحــرب
أخـزاهم اللــه أنّي يوفكـون ولـو   حازوا الهدى لطريق الأفك ما ارتكبـوا ([1])

....

وقوله:

وبتــنا كــلانا في العفافة والتّقى   أنــا يــوسف وهــي الكــريمة مريمُ([2])

....

ففي الأبيات السالفة تعابير قرآنية كريمـة تـربط بحيثيـات ومناسـبات تناولهـا القرآن الكريم وتثقف بها الشاعر مما يدل على كثرة قراءته ودراسته للقرآن الكريم.

ومن أثر ثقافته النحوية قوله:

مهفهف القـدّ لغـوي النطّـاق حـوى   معنــى كمحــذوف نحـوي يقـدّره
مجـرّد الخـدّ مـن شـعر يـدب بـه   خال إلى المسـك منسـوب مصـغرّه
للتحف في جفنـه السـاجي مضـارعه   لذلك أشتق من ماضيه مصـدره([3])

....

وقوله:

عملــت الجــزم بي وخفضــت منّــي   محلّ النصّب ثم رفعت حـالي([4])

....

(1)الديوان، 117.
(2)الديوان، 59.
(3)الديوان، 37.
(4)الديوان، 41.

وقوله:

يعــدّى فعــال المكرمــات بنفســها   إلى آمليـــه لا يجـــرّ الوســـائل

مضى فعله المشتق من مصـدر العـلا   فصح له من اشتقاق اسم فاعل([1])

....

وقوله:

ملــك إذا حــدث الزمــان لنــا فضى   أمضى مضـارعه بصـيغة أمـره([2])

....

ومن أثر ثقافته التاريخية قوله:

حتــى بــدا كسرى الصــباح وأدبــرت   قوم النجاشي عن عساكر قيصر([3])

....

وقوله:

ولا برحـــــت لـــــك العليــــاء دارا   ومتّعــك الزمــان بملــك دارا[([4])

....

وقوله:

إن كـان مـن فـتح عمورّيـة بقيـت   ذريّـة مـن بنيـه أو عشـيرته([5])

....

(1)الديوان، 56.

(2)الديوان، 72.

(3)الديوان، 27.

(4)الديوان، 178، وهو يشير إلى (دارا) أحد ملوك الفرس.

(5)الديوان، 204.

وقوله:

فــوق الخصــيب محــلّ رفعتــه   وبــه الحــويزة دونهــا مصر[1]

....

أمـا أثـر ثقافتـه الأدبيـة بالشـعر والنـثر فديوانـه الغـارق في بحـر مـن البـديع والصناعة اللفظية خير دليل على تلمذة صاحبه لأساتذة كبار في هذا الفـن مثـل مسـلم بن الوليد وأبي تمام وابـن المعتـز وأضرابهـم.. فاسـتفاد مـن ألفـاظهم، وتـأثر بأسـاليبهم، وأغنى موهبته من شعرهم، ومن مظاهر تأثره بالشعراء السابقين معارضـته عـدداً مـن قصـائدهم بقصـائد نظمهـا عـلى غرارهـا وتضـمين قصـائده بعبـارات أو مصـارع مـن قصائدهم، ومن ذلك قوله معارضاً قصيدة أبي نؤاس في مدح الخصيب والتي مطلعها:

يـــا منّـــة أفتنهـــا الســـكر   ما ينقصـني منّـي لهـا الشـكر[2]

....

فقال مادحاً علي بن خلف:

يـــا منّـــة لـــذّ بهـــا الســـكر   لا يـــنقضي منّـــي لهـــا الشـــكر

فلـــق الـــدجى بعمـــود الفجـــر   وبـــكى النّـــدى وتبســـم الزهـــر

وتـــنفس الـــنسرين عـــن عبـــق   منـــه بأذيـــال الصـــبا عطـــر[3]

....

وله معارضاً قصيدة أبي تمام في رثاء محمد بن حميد الطوسي والتي مطلعها:

---

(1)الديوان 113، والخصيب أحد ولاة الدولة العباسية في عصر الرشيد على مصر.

(2)ينظر كنز الأديب، 5/ ورقة 273.

(3)ديوان شهاب الدين الموسوي، 111.

كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر فليس لعين لم يفض ماءها عذر([1])

....

فقال في رثاء السيد خلف بن مطلب:

مضى خلف الأبرار والسيد الطهر فصدر العلى من قبله بعده صفر
وغيّب منه في الثرى نيّر الهدى فغادرت ذكاء الدين وانكسف البدر
ومات النّدى فلترثه ألسن الثنا وليت الوغي فلتبكه البيض والسمر([2])

....

وعارض قصيدة ابن الرومي في رثاء ابنه الأوسط والتي مطلعها:

بكاؤكما يشفي وأن كان لا يجدي فجودا فقد أودى نظير كما عندي([3])

....

فقال يرثي السيد ناصر بن محسن:

هوى الكوكب الدري من أفق المجد فتباً لقلب لا يذوب من الوجد
وتعساً لعين لا تفيض دموعها فقد غاض بحر من ملوك بني المهدى
تداركه كسف الرّدى بعد تمه فمال وحالت دونه ظلمة اللحد([4])

....

- آراء العلماء فيه:

نوه عدد من العلماء والمفكرين بمكانة شهاب الدين الموسوي الأدبية فقال ابنه السيد معتوق وهو من كبار الأدباء: «كان والدي..

(1)ديوان أبي تمام، ص 328.
(2)ديوان شهاب الدين الموسوي، 217.
(3)ديوان أبي الرومي.
(4)ديوان شهاب الدين الموسوي، 222.

ممن منحه اللـه من الملكة الشعرية حظاً وافراً، وسبق بحلبة هذا الفن من تقدمه وأن كان آخراً ولم يزل رحمه اللـه سائحاً في وديانه وفيافيه، سابحاً في بحاره لالتقاط رواسيه وقوافيه، محباً لإنشاده واستماعه، مكباً على إنشائه واختراعه، سيما أيام الشبيبة فكم أتى فيها بأشياء عجيبة من قصائد كالخرائد في بنائها، ومقاطيع كالغرائد في صفاتها، يقول عند سماعها أولو الألباب: ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا شيء عجاب»([1]).

وقال ابن شدقم: «كان سيداً جليلاً حسن الأخلاق كريم الأعراف فصيحاً أديباً شاعراً»([2]).

وقال صاحب كنز الأديب: «شهاب فضل تلالأت في سماء الأدب أنواره فسما فخراً بارتفاع مكانه على أقرانه، وروض نبل صدحت بما يطرب السمع أطياره من بديع النظم بفنون الألحان على أفنانه»([3]).

وقال صاحب الوسيط فيه: «شاعر العراق في عصره وسابق حلبته في رقة شعره... ويمتاز شعره بالرقة وكثرة الاستعادات والتشبيهات حتى لتكاد الحقيقة تهمل فيه جمله»([4]).

وقال الشيخ محمد السماوي: «كان فاضلاً يضم إلى العلم الفضل الجم ويضيف في شعره اللفظ السهل إلى المعنى الجزل، وكان أديباً يتاجر بسوق الرقيق شعره الحر، وينظم بالسلك الدقيق تمام الدر إلى انسجام ورقة ولطف»([5]).

وقال صاحب الأعيان فيه: «أنه كان عالماً فاضلاً شاعراً ماهراً أديباً

---

(1)مقدمته للديوان، ص 3.

(2)تحفة الأزهار، ج 3، ورقة 134.

(3)كنز الأديب، ج 5، ورقة 273.

(4)الوسيط في الأدب العربي، ص 315.

(5)الطليعة، ورقة 168.

مشهوراً له ديوان شعر جيد مشهور، أكثره في مدح السادات المشعشعية([1]).

وقال المؤرخ عباس العزاوي: «عرفنا في رجال عصره في الأدب والسياسة والعلوم، وأبدى تجديداً وطرق معاني، فزاد الرغبة فيه، وذاع بين الناس هنا وهناك، فبلغ من رقة المعنى وسلاسة الأسلوب ما نال الرغبة الساحقة ومكانة شعره كبيرة، لا سيما ما يتعلق بتاريخ الوقائع في البصرة وفي الأحساء مما يكشف عن صفحة من تاريخهما، كما أن ديوانه اكتسب شيوعاً في الأوساط الأدبية ولا يزال منتشراً لا سبب لذلك إلاّ لتفوقه..»([2]).

- شعره:

ديوانه: للشاعر شهاب الدين الموسوي ديوان شعر مطبوع، وأعيد طبعه مرات عدة، ولكن طبعته في 1885م المشكّلة بإشراف المعلم سعيد الشرتوني اللبناني تعد أجود الطبعات، ولم يطبع بعدها مرة أخرى.

إن الشاعر لم يوفق في جمع ديوانه، فقد أدركته المنية قبل أن يحقق ذلك، فتولى مهمة جمعه ابنه معتوق بأمر من الأمير علي بن خلف، ولهذه الناحية: أشار السيد معتوق في مقدمة الديوان فقال: «وقد رقم تلك السواج ودونها. ووسم منها المدائح باسم مولاه وعنونها وقد هم أن يلحق ما ظفر به من قصائده السابقة، ويجمع معها من شوارد مقاطعيه الفائقة، لكن الدهر لم يزل يبوب له شعاب الاحتيال، ويجدد له أنياب الاغتيال، حتى أورده موارد المنية وحال بينه وبين هذه الأمنية، فقضى نحبه، ولقى ربه.... فأدركني عند ذلك سيدي المذكور، وألبسني

(1)أعيان الشيعة، ج 36، ص 136.

(2)تاريخ الأدب العربي في العراق، ج، ص 254.

بلطفه حلة السرور، وطوقني بمنائح أثقلت عنقي من فوادح كادت تأتي على آخر رمقي، وأمرني بتدوين ما لوالدي من الشعر ولم يرد من ذلك إلاّ الاعتناء بي وبقاء الذكر الجميل لأبي، فجزيت بره بالثناء الجميل والدعاء الجليل، وتلقيت أمره بالقبول، ورتبته على ثلاثة فصول، الأول في المدائح، والثاني في المراثي، والثالث في أشياء متفرقة من مقاطيع ودوبيت وبنود ومواليات» ([1]).

وبناء على ما تقدم أن جامع الديوان تصرف في ترتيب قصائده حسب الأغراض والفنون، وورد ما يشير ضياع عدد من قصائده في حياة الشاعر نفسه وبعد وفاته، وهو ما يؤكده فقدان الموازنة بين عدد قصائد المديح وغيره من الأغراض وما ألمح إليه جامع الديوان([2])، ففي مدح الرسول (صلى الله عليه وسلم) وأهل بيته نجد ثلاث قصائد فقط في عصر شغل المديح الديني أكثر جهد الشعراء المعاصرين له، ثم أن قائمة ممدوحيه تشير إلى التركيز على مدح الأمير علي بن خلف بشكل استحوذ على ثلثي شعره فقد مدحه بثلاثين قصيدة في الوقت الذي، وردت ثلاث قصائد لمدح الأمير منصور وست قصائد مدح الأمير بركة، وقصيدتان لمدح حسين أفراسياب، ويبدو لي أن جامع الديوان قد تصرف بما يجعل علي بن خلف هو الأثير بهذا المديح وهو المقدم على من سواه من الحكام والأمراء لرعاية المذكور إياه، فحرص على تدوين مدائحه، والتساهل في مدائح غيره.

- شاعريته:

كان الشاعر شهاب الدين الموسوي يحتل مكانة أدبية مرموقة بين

(1)مقدمة الديوان، ص 4، 5.

(2)انظر الديوان، 47، 239.

شعراء عصره وتقدم على أقرانه لجودة شعره ومحاسن أدبه في عصر التقليد والمحاكاة والنضوب الأدبي، فلا بد من وجود مميزات فضلته على غيره من الشعراء المعاصرين له.

إن دراسة شعره توضح لنا أنه شاعر مبدع ومقلد في آن واحد، فهو مبدع لأنه أوجد فناً أدبياً جديداً لم يكن معروفاً بين الفنون الأدبية المألوفة ذلك هو فن (البند)، وبنوده على قلتها تعد من أنضج البنود، وأكملها فنيًّا وكونه مقلداً لأنه سلك طريقة الشعراء السابقين لعصره، تثقف بشعرهم وتعلم أساليبهم ومعانيهم وأخيلتهم، ولكنه أغرم بطريقة أصحاب البديع والزخرفة اللفظية، فكان شعره غارقاً بالمحسنات اللفظية والبديعية كالجناس والطباق والتشبيه والوصف وبالغ في استخدام الاستعارات والمجازات اللغوية، وظاهرة التصنيع والزينة هذه تعم كل شعره، وعلى اختلاف أغراضه وفنونه وبنسق متقارب، وقد استمكنت من ذهنه فنظم بها دون كلفة أو حرج، لأنه طريقته المفضلة والمعتادة ولو في أحلك الساعات فقد أملى على ولده قصيدة وهو في مرض الموت لا تختلف في صياغتها وسبكها عن قصائده التي نظمها وهو في أحسن أوقاته، ومن هذه القصيدة:

خلط الغرام الشجو في أمشاجه	فبكى فخلت بكاه من أوداجه
ودعته غزلان العقيق إلى السرى	فغدا يساري النجم في أدلاجه
ودعته ناحلة الخصور إلى الضنّى	فكسته صفر الوشي من ديباجه([1])

....

ومن شدة إعجابه وشغفه بطريقته هذه، نراه يتصرف بالألفاظ ببراعة تدل على تفوق ملكته ونضوج صناعته في هذا الميدان فيستخدمها كيفما يشاء وفي هذا المجال له قصيدة من اللفظ المرصوف تقرأ طولاً وعرضاً وطرداً وعكساً وعلى أنحاء شتى منها:

(1)ديوان، 188.

فخــر الــورى حيــدّري عــم نائــه	فجر الهدى ذوي المعالي البـاهرات عـلي
نجــم الســهى فلكيــات مراتبــه	بــادى الســنا نــير يســمو عــلى زحــل
ليــت الـثرى قــبس تهمــى أناملــه	غيث النـدى مـورد أشـهى مـن العسـل
بــدر البهــا أفــق تبــدو كواكبــه	شمس الدّنا صبح ليل الحادث الجلل([1])

....

زيادة علي ظاهرة التصنيع المفرط التي ظهر بها شعر شـهاب الـدين الموسـوي فهناك ظواهر أخرى تجدر الإشارة إليها منها: المبالغة.

أحاط مدائحه والأغراض الأخرى التي تناولها بهالة التضخيم غير المنطقي فمنح ممدوحيه من السجايا والألقاب ما يفـوق حـد التصـور، ووسـم الأشـكال التـي وصـفها بسمات لا تناسب مـع حجمهـا، وتتـوفر عشرات الأمثلـة في ديوانـه للدلالـة عـلى هـذه الظاهرة، منها قوله في مدح الأمير بركة:

بحــر تــدفق بالنضــار فــأغرق لــــ	ـــسبع البحـار بلـج زاخـر مـده
أســـد تشـــيعه النســـور إذا غـــزا	حتـى وثقنـا أنهـا مـن جنـده
لــو رام ذو القــرنين بعــض ســداده	لم يمـض يـاجوج غـدا مـن سـده
أو حــاز قوتــه الكلــيم لمــا دعــا	هارونــه يومــا لشــدة عضــده
أفنــى وأغنــى بالشــجاعة والنّــدى	فمماتنـا وحياتنـا مـن عنـده([2])

....

وله أيضاً في مدح الأمير علي بن خلف:

فالورق تشـفق منـه يغرقهـا النّدى	فلـذاك تلجـأ في الغصـون لتأمنـا

(1)ديوانه، 211.

(2)ديوانه، 32.

والنـار مـن فـزع الخمـود بصـوته فزعت إلى جوف الصخور لتكمنا
والمـزن مـن حسـد لجـود يمينـه تـبكي أسى وتظنهـا لـن تهتنـا
بطـل تكـاد الصـاعقات بأرضـه حذراً لصوت الرعـد أن لا تعلنـا([1])

....

وله أيضاً في الأمير علي بن خلف:

فطعـن لـه ذهـن إذا حققتـه أبصرت نـور اللـه في مشـكاته
يقفـو ظهـور الكائنـات بحدسـه فـيرى وجـوه الغيـب في مرآتـه
عيسى الزمـان طبيـب أمـراض العـلا محيي رفاه الجود بعد مماته([2])!

....

- حسن التصوير:

يمتلك الشاعر شهاب الدين الموسـوي قـدرة فائقـة عـلى المشـاكلة بـين الألـوان المتنوعة، والمزاوجة بين الصور والمناظر المتعددة التي يطرقها في شعره فعلى الـرغم مـن استغراقه في البديع، وأغرابه في بعض المعاني، فأنه يأتي أحياناً بأسلوب تستعذبه النفوس، وتسترقه المشـاعر لاحتوائـه عـلى الكلـمات اللطيفـة والتعـابير العذبـة كألفـاظ الشـوق والنسـيب وأسـماء النبـات والزهـور وأصـناف الحيوانـات والطيـور ومبـاهج الفضـاء واستنطاقه لرموز الطبيعة البديعة، بخيال رحب ولغة فصيحة، ومن ذلك قوله:

فـما الـبصرة الفيحـاء إلاّ قـلادة ونحرك من دون النحور بها أحـرى

---

(1)الديوان، ص 76- 77.

(2)الديوان، ص 96، وينظر ص: 56، 68، 85، 103، 109، 145، 155.

وما هـي إلاّ ذات حسـن تعجبـت   قد اتخذت جيش الأسـود لها خـدرا([1])

....

وله أيضاً:

وأمثـال تلـذ بكـل سـمع   كـأن بضربهـا ضرب المثـاني

وأخـلاق كـروض المـزن تحـكي   مباسـمها ثغـور الأقحـوان

خصـال كـاللآلي نافسـتها   عليـه قلائـد البيض الحصـان([2])

....

وله أيضاً:

ريانـة وهـب الشـباب أديمهـا   لطـف النسـيم ورقـة الجريـال

عـذبت مراشـفها فأصـبح ثغرهـا   كـالأقحوان عـلى غـدير زلال

وسرى بوجنتهـا الحيـاة فأشـبهت   ورداً تفـتح في نسـيم شـمال

وسـخا الشـقيق لهـا بحبـة قلبـه   فاسـتعملتها في مكـان الخـال([3])

....

وله أيضاً:

روت عن تراقيها العقود عـن النحـر   محاسـن ترويهـا النجـوم عـن الفجـر

وحـدثنا عـن خالهـا مسـك صـدغها   حـديثا رواه الليـل عـن كلفـة البـدر

وركـب منهـا الثغـر أفـراد جملـة   حكاها فم الإبريق عن حبب الخمر([4])

....

(1)ديوانه، 205.

(2)ديوانه، 153.

(3)ديوانه، 122.

(4)الديوان، ص 50، وينظر أيضاً: ص 67، 78، 82 ،84، 87، 93، 101، 111.

- وصف المعارك الحربية:

يمتلك شهاب الدين الموسوي مقدرة عالية في وصف المعارك الحربية التي خاضها ممدوحوه من أمراء وحكام الأقاليم ضد القبائل الخارجة على سلطانهم وتبرز أهمية وصفه لهذه المعارك من الناحية الموضوعية كونه تناول حدثاً سياسيًّا عاشه الإقليم أغفله التاريخ وكشفه الأدب، أما من الناحية الفنية فتبرز مكانة الشاعر وواقعيته في التفاعل مع الحدث وموهبته في تصوير المواقف الملائمة بين رموزها وإظهارها بإطار فني رائع.

يشير إلى شجاعة الأمير واستعداده للحرب وتهيئة الفرسان المقاتلين ثم يلتفت إلى أعدائه فيصفهم بالذعر والهرب أمام جيش ممدوحه الذي أظهر فنوناً من البطولة أباد بها الأعداء وترك أجسادهم طعمة للضواري والطيور، وفي أثناء ذلك يشير إلى حركة الخيل وتخالف الرماح والسيوف ومبارزة الشجعان ومناورات الأبطال، فيجسم صور المعارك على نحو مثير، ومن ذلك قوله في الأمير علي بن خلف:

أخو همم يستغرق الدرع جسمه	ومن عجب أن يغرق البحر بالكرِّ
تكاد الرماح السمر وهي ذوابل	براحته تهتز بالورق الخضرِ
فكم من بيوت قد رماها بخطبه	فأضحت ومنها النظم كالخطب النثرِ
فلّله يوم الكرخ موقفه ضحى	وقد سألت الأعراب بالجحفل المجرِ
أتوه يمدون الرقاب تطاولا	فأضحوا ومنهم ذلك المد للجزرِ
سطوا وسطا كالليث يقدم فتية	يرون عوان الحرب في صورة البكرِ
وفرسان موت يقدمون إلى الوغى	إذا جمحت أسد النزال عن الكر[1]

....

(1)ديوانه، 52-53، وينظر 146، 147، 202.

- الأغراب:

يحتاج مطالع ديوان شهاب الدين أحياناً إلى استعمال المعجم لمعرفة معاني كثير من الألفاظ غير المألوفة في الأستعمال، ويحتاج أيضاً إلى وقفة تأمل لاستيعاب مضامين بعض الأبيات، وهذا ليس بمستغرب لشاعر مغرم بالبديع وغارق في الاستعارة يشغل ذهنه في حشد الكلام المنمق واللفظ المزخرف في أي غرض ينظم فيه من ذلك قوله:

وسرت أساور طرنيه فغورت([1])   في الخصر منه وأنجدت في نهده([2])

....

وقوله:

ومقرطق([3])كافور لجر جبينه   ينشق عنه ظلام عنبر جعده([4])

....

وقوله:

حتى جلت شفق الدّجى وتوقدت   في أبنسيّ([5]) الليل شعلة زنده([6])

....

وقوله:

(1)الطرن: ضرب من الخز. اللسان (طرن).

(2)الديوان، 30.

(3)جاء في اللسان (قرطق): جاء الغلام وعليه قرطق أبيض أي قباء، وهو تعريب.

(4)ديوان.

(5)بنس: أسرع في مشيه، والبنس محركة الفرار من الشر والأبناس الفرار من السلطان تاج العروس (بنس).

(6)الديوان، 30.

فلكــم رشــفت عــلى زمــرّد روضــه زمن الشباب عقيقه الزرجِّـون[1]

بشر يريــك البحــر تحــت ردائــه والبدر فوق سريـره الموضـون[2]

....

ففي معاني الأبيات المذكورة أكثر من احتمال، وأن عدداً من كلماتها بحاجة إلى توضيح، زيادة على ذلك ثقلها على الإسماع.

والظاهر أن أسلوب شـهاب الـدين في الأعـراب والصـناعة اللفظيـة والاسـتعارة والتشبيه وغيرها من وسائل التجميل الفني محببة جدًّا إلى نفسه، ويعدها ميزة يتفضل بها على غيره من الشعراء، لأنه شاعر أصيل يطرق المعاني الرفيعة وبهذا المعنى يقول:

واسـتجل درّ قـريض كـاد في حكـم نظم البديع بيان المرء يسحره[3]

....

ويقول أيضاً:

فــلي وعــظ أشــدّ مــن الــرواسي ولي غـــزل أرق مـــن الشـــمال

أنــا الهــادي إذا الشــعراء هــاموا بـوادي الشـعر في ليـل الضـلال

مجّـــلي الســـابقين إلى المعـــاني وفــارس بحثهــا يــوم الجــدال

تــدل لــدى النشــيد بنــات فكــري عــلى أذني وتنســيني فعــالي[4]

....

---

(1)الزرجون: الماء الصافي يستنفع في الجبـل عـربي صحيح. والزرجـون بالتحريـك بالتحريـك الكـرم اللسان (رجن).

(2)الديوان 30، الموضون: وضن الشيء وضنا فهو موضون ووضين: ثني بعضـه عـلى بعـض وضـاعفه، ويقال وضن فلان الحجر والأجر بعضه على بعض إذا أشرجـه فهـو موضـون. والوضـن نسـج السريـر وأشباهه بالجوهر والثياب، وهو الموضون اللسان (وضن).

(3)الديوان، 40.

(4)الديوان، ص 42.

وله أيضاً:

أنا ابن جـلا القـريض متـى سـككتم   وطــــلاع الثنـــا أفتعرفــــوني

خـــذ الألـــواح مـــن زبـــر القـــوافي   فنســـختهنَّ ترجمـــة اليقـــين([1])

....

وقال أيضاً:

بيوت شعر بناها الفكـر مـن ذهـب   سكانها حور عين من معانيهـا([2])

....

وله أيضاً:

اسـتجل بكـر ثنـا فصـاحة لفظتهـا   عبثت بحكمتها بسـحر البحـتري

لـــو يعلـــم الكـــوفي بهـــا لم يـــزدري   أو يشعر الطائي بهـا لم يشـعر([3])

....

(1)الديوان، ص 90.

(2)الديوان، ص 82.

(3)الديوان، ص 29.

الباب الثاني

الـنـثـر

الفصل الأول

النثر

....

- حالة النثر:

أشرنا فيما سلف إلى الحالة التي انتابت بلاد الرافدين وبضمنها إقليم الأحواز بعد زوال الخلافة العباسية وسيطرة التتر ومن بعدهم التركمان والفرس ثم العثمانيون وما رافق ذلك من حروب وفتن واضطرابات وخراب في أحوال البلاد كافة ومن بينها الثقافة والأدب حينما أصبحت العربية غريبة في بلادها وحلت بدلاً عنها اللغات التترية والفارسية والتركية وكانت اللغة العربية (لغة الدين حسب)([1])فخمدت الثقافة وركد الأدب نثره وشعره وقد أشار عدد من الباحثين إلى حاله النثر في تلك العصور فقال المرحوم الدكتور مصطفى جواد يصف حالة النثر في العصر المغولي (أما النثر فقد أصابه ضعف شديد في الجوهر والمظهر لأنه صناعة لفظية وليس لها مما للشعر من القوة العاطفية والشيوع والهوى المجتمعي فالدولة الإيلخانية ما استعملت اللغة العربية إلاّ في أمور العراق وشيء من المراسلات مع الأقطار الإسلامية كمصر والشام فكان النثر مستعملاً في أهون أساليبه وأقربها إلى لغة العامة وقد حلت

---

(1)الأدب العراقي في العصر المغولي / مجلة المجمع العلمي العراقي، م/3/ج1374/2هـ/1955م، ص 327.

اللغة الفارسية واللغة المغولية مكان اللغة العربية في أكثر بلاد الشرق الأوسط)([1]).

وقال المؤرخ عباس العزاوي عن العهد الجلائري:

«كان المتسلط قد أشغل الأمة بنفسها فعادت لا تلتفت إلى العلوم والآداب أو ألهيت عما يفيد... وأهملت العربية وآدابها»([2]).

وقال عن العهد التركماني: (فلا توجد مزايا لهذا العهد أكثر من خمول الحركة الأدبية لعدم المشجع والمناصر ولعدم الالتفات بل الإهمال والترك)([3]).

وقال عن العصر العثماني: (نرى الثقافة... كأنها قد غارت وطمست معالمها وزادت من البين فلم نجد من الأمثلة ما يؤدي الخدمة ولو بنماذج محدودة..)([4]).

ويشير المرحوم محمد علي اليعقوبي إلى صراع الفرس والترك على العراق وما خلفه من أثر سيء على الثقافة والأدب فيقول: (إن تلك الحوادث المؤلمة أدت إلى القضاء على روح النهضة العلمية وشل الحركة الأدبية فتضاءلت أصوات العلماء وخمدت قرائح الأدباء فلا تكاد تسمع يومئذ للعربية وآدابها صوتاً)([5]).

وقال الأستاذ منير بكر: (عانى النثر في الفترة الأولى من الحكم العثماني ما عاناه الشعر من الجمود والتأخر فكان يتخبط في آفاق ضيقة ومحدودة كالتهنئة بمولد والعودة من الحج والتعزية بموت عزيز أو عتاب

---

(1)المصدر السابق، م 3/ج2/ص 327.

(2)تاريخ الأدب العربي في العراق، ج1/ص 267.

(3)المصدر السابق، ج1/ص 276.

(4)تاريخ الأدب العربي في العراق، ج/ص 180.

(5)البابليات / المقدمة.

واعتزاز إضافة إلى المدح لمن بيدهم الحل والربط من الولاة تقربا لهم أملاً في عطاياهم بمقالات مسرفة في آفاق المحسنات البديعية وتزويق اللفظ والاهتمام بالسجع)([1]).

وقال الأستاذ علي الزبيدي: (إن الأدب العربي كان في انحسار وتراجع وجدب وجمود وعجز عن التطور والتجديد وأنه تخلف كثيراً عن عصور الازدهار السابقة وأن هذا الحكم ينطبق على العصور المتأخرة كلها)([2]).

وكنا قد ذكرنا أن التاريخ السياسي والثقافي لإقليم الأحواز بدأ يأخذ طابعاً خاصاً بالإقليم نفسه بعد تأسيس الحكم العربي المشعشعي بقيادة محمد بن فلاح الواسطي المشعشعي في منتصف القرن التاسع الهجري (منتصف الخامس عشر الميلادي) إذ تمتع الإقليم بالاستقلال السياسي عن النفوذ التركماني والفارسي والعثماني وعمته نهضة واسعة في شتى مجالات الحياة من بينها الحالة الثقافية والأدبية فقد بدأت حركة الانتعاش الفكري بسيطة ثم اتخذت تنمو وتتسع في المعارف والشعر والنثر فنبغ عدد كبير من العلماء والأدباء والمصنفين اتخذوا من التراث العربي الإسلامي شرعة ومنهجاً يقتدون به ويسيرون على منواله وينهلون من ذخائره وأصبح للعلم والأدب دور في حياة الإقليم ومكانة الأدباء والمفكرين رفيعة. وحملت لنا كتب التراجم أسماء عشرات من الكتاب والناثرين اقترنت أسماءهم بالعديد من المؤلفات والمصنفات في مختلف أبواب المعرفة وفي أثناء البحث في نثر الأحوازيين في القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي) وما بعده لمست إن هناك نثراً على درجة راقية من الالتزام بقواعد البلاغة وأصول الكتابة وفصاحة اللغة ومتانة

---

(1)أساليب المقالة وتطورها في الأدب العراقي الحديث، ص 42.

(2)مجلة كلية الآداب / عدد 1979/26/ص 501.

الأسلوب يسير في خطين متوازيين هـما النـثر العلمـي والنـثر الأدبي وكـان كتـاب الأحـواز تغلب عليهم صفة الموسوعية فلا توجد حدود فاصلة بين كتاب النثر الفني وكتاب النـثر العلمي والمؤلف في النحو والفقه هو نفسه يكتب في الأخوانيات والإنشاءات والمصنفات في الأصول والمنطق يؤلف في الوصف والخطابة والمقامات.... إلخ.

فالصفة المطلقة للناثر العلمي أو النـاثر الأدبي غـير موجـودة فـيهم ولكـن قـد تتوفر صفة الترجيح جانب على آخر فالكاتب خلف بن مطلب أغلب مؤلفاته وتصانيفه ليست لها علاقة بالنثر الفني بينما نجد أن أغلب مؤلفات ابن رحمه الحـويزي نـثر أدبي فني وفي الوقت نفسه نلمس توازنا في نثر نعمة اللـه الجزائري ومحمد مؤمن الجزائري بين الأدب والعلم.

والنثر الأحوازي من حيث موضوعاته ينقسم إلى قسمين رئيسيين:

أولاً: النثر العلمي:

وهـو النـثر الـذي دونـت فيـه العلـوم العقليـة والمعـارف الإنسـانية كالفلـك والكيمياء والرياضيات والطب والموسيقى والمنطق والفلسـفة والنحـو والتـاريخ والفقـه والتفسير والأصول وغيرها.

وفي دراستنا حالة الإقليم الثقافية عرفنا عـدداً كبـيراً مـن العلـماء والمـؤلفين في شتى صنوف المعارف كانت مؤلفاتهم تعمر بها المكتبـات ويقتنيهـا طلبـة العلـوم ومـن أشهرهم العلامة خلف بن مطلب أو (عبـد المطلـب) فقـد كـان «عالمـاً فاضـلاً ومـتكلماً كاملاً وأديبًا ماهراً ولبيباً عارفـاً وشـاعراً مجيـداً ومحـدثاً مفيـداً ومحققـاً جليـل المنزلـة والمقدرة»([1]).

ألفت في الفقـه والحـديث والتفسـير والمنطـق والأصـول والنحـو وعلـم الكـلام وغيرها من تآليفه القيمة:

---

(1)روضات الجنات /ج3/ص 265.

1-سبيل الرشاد في النحو والصرف والأصول وأحكام العبادات.

2-خير الكلام في المنطق.

3-مظهر الغرائب في شرح دعاء عرفه.

4-النهج القويم في كلام أمير المؤمنين جمع فيه مافات نهج البلاغة.

5-المودة في القربى في فضائل الزهراء.

6-الحجة البالغة في الكلام والإمامة.

7-رسالة الاثنا عشرية في الطهارة والصلاة.

8-الحق اليقين في المنطق والكلام.

9-سفينة النجاة في فضائل الأئمة الهداة.

10-البلاغ المبين في الأحاديث القدسية.

11-رسالة دليل النجاح في الدعاء.

12-حق اليقين في الكلام والسلوك.

13-رسالة في النحو.

14-البرهان في الإمامة.

15-كتاب في فضائل الإمام علي.

16-كتاب في الحديث.

وغيرها من الكتب والرسائل([1]).

وكان الشيخ علي بن الحسين بن محي الدين آل أبي جامع «عالماً موسوعيًّا لـه مشـاركة جادة في كثير من العلوم الإسلامية والعربية.. وكان جم النشاط متواصل العمل في التأليف منذ شبابه الباكر حتى شيخوخته فأوائل مؤلفاته في العقد الأخير من القرن الحادي عشر للهجرة

(1)أعيان الشيعة /ج30/ص 22-38، الغدير /ج11/ص 315.

وأواخرها في العقد الرابع من القرن الثاني عشر للهجرة وخلال ذلك وهي فترة تدنو من خمسين عاماً كانت مؤلفاته تتعاقب...»([1]).

وألفَ في التفسير والفقه والأصول والبلاغة والمنطق والرياضيات والفلسفة والنحو والشعر والنثر([2]).

ومن أشهر مؤلفاته:

1-الوجيز في التفسير.

2-توقيف السائل إلى دلائل المسائل في الفقه.

3-الإفادة السنية في مهم الصلاة اليومية.

4-تحفة المبتدأ في المنطق.

5-إرشاد المتعلم في المنطق أيضاً.

6-شرح حاشية المولى عبدالله على مبحث التصديقات.

7-رسالة في أن النسبة ثلاثية أو رباعية.

8-تبصرة المبتدأ في الهيئة.

9-شرح الأربعين حديثاً في الطهارة.

10-رسالة في الطب.

11-رسالة في الهيئة. وغيرها من المؤلفات([3]).

ومن نثره في التفسير قوله في تفسير سورة الفاتحة: مكية وقيل أنزلت ثانياً في المدينة تسمى فاتحة الكتاب لأنها مفتتحة (وأم الكتاب) لاشتمالها على جمل معانيه (والحمد) لذكره فيها (والسبع) الثاني لأنها

(1)الحالي والعاطل /ص 57.

(2)مقدمة الوجيز / والحالي والعاطل /ص 76.

(3)انظر مقدمة الوجيز فيها تفصيل عن ثقافته ومؤلفاته.

سبع آيات اتفاقاً لكنهم بين عاد للبسملة دون (أنعمت عليهم) وعاكس وتثنى في الفريضة والإنزال ولها أسماء أخر والمذكورة أشهرها.

(بسم اللـه الرحمن الرحيم(1)) آية من الفاتحة ومن كل سورة عدا (براءه) والباء للاستعانة وترجح بأن جعل أسمه تعالى آله للفعل مشعر بزيادة مدخليه فيه حتى أنه لا يوجد بدونه أو للمصاحبة وترجع بأن التبرك باسمه تعالى أدخل في الأدب من جعله آله إذ هي تابعة مبتذلة وفي الرد على المشركين في تبركهم باسم آلهتهم والحق أن التبرك يجامع كلا منهما فإن ذكر اسمه تعالى يثمره مطلقاً والسورة مقولة على ألسنة عبادة تعليماً للتبرك باسمه وحمده وسؤاله ومتعلق الظرف الأولى تقديره فعلاً لأصالته في العمل وقلة الإضمار مؤخراً لأهمية اسمه تعالى وقصر التبرك عليه خاصاً هكذا: بإسم اللـه أتلو لدلالة الحالة عليه إذا ما يتلو التسمية متلو وكل يضمر ما جعلها مبدأ له كأذبح وأحل وأرتحل: في الذبح والحل والارتحال والإيهام العام كأبداء قصد التبرك على الابتداء ولمطابقة (إقرأ بأسم ربك). والاسم من السمو وأصله سمو حذف عجزه وسكن أوله وزيد فيه مبتدءاً به همزة بشهادة التكبير والتصغير. أما من السمة وأصله وسم حذفت الواو وعوض عنها الهمزة ولم يقل باللـه لأن التبرك باسمه وليعم كل أسمائه واللـه أصله اله حذفت الهمزة وعوض عنها أداة التعريف لكنه مختص بالمعبود والإله كان لكل معبود ثم غلب في المعبود بالحق وهو من أله بالفتح عبد أو تحير أو الكسر: سكن أو فزع أو ولع لأنه معبود تتحير فيه العقول وتطمئن بذكره القلوب ويفزع إليه ويولع بالتضرع إليه وقيل أصله لاه مصدر لاه ليها ولاها أحتجب وأنفع فأدخلت عليه الآداة([1]).

ومن كتّاب العلوم للشيخ عبد القاهر ابن الحاج عبد بن رجب

(1)الوجيز /ج1/ص 3-4.

العبادي الحويزي قال عنه الحر العاملي «فاضل عالم متكلم فقيه ماهر جامع جليل القدر منشأ عابد له تصانيف»([1]).

ألف في الفقه والأصول والنحو والتفسير والمنطق ومن مؤلفاته:

1-كتاب المستمسكات القطعية اليقينية في أصول الفقه.

2-صفو صفوة الأصول ونفي هفوة الفضول في الفروع.

3-كتاب رفع الغواية لشرح الهداية.

4-كتاب الفرائد الصافية على الفرائد الوافية وهو حاشية على شرح الجامي.

5-سلوك مالك المرام في مسلك الإفهام.

6-رياض الجنان وحدائق الغفران.

7-خبر الزائر المبتلي بالبلاء في طريق النجف وكربلاء([2]).

وغيرها من المؤلفات والتصانيف.

ومن كتّاب النثر العلمي السيد شبر بن محمد بن ثنوان الحويزي المشعشعي 1112-1190هـ/1700-1776م.

له إسهام كبير في التأليف ومكانة مرموقة في الأوساط العلمية ألف في الحديث والتراجم والأصول والفقه والنحو والعبادات والطب ومؤلفاته تنوف على الثلاثين وقد أفرد له صاحب تاريخ المشعشعين ترجمة فيها شيء من التفصيل([3]).

ومن نماذج النثر العلمي ما كتبه ابن رحمة الحويزي في الفلك، فقد

---

(1)أمل الأمل /ج2/ص 56.

(2)المصدر السابق وهدية العارفين /ج1/ص 608.

(3)تاريخ المشعشعين /ص 344- 274، ومصفى المقال /ص 192 وأعيان الشيعة ج 36/ص 20.

قال عن السماء والنجوم والأرض: (أعلم أن العالم علويه وسفليه عندهم كرة واحدة مركزها مركز الأرض والأرض مع الماء في وسطه كرة واحدة ولا يقدح الإنجاد والأغوار في كريتها حساً إذا نسبة جبل ارتفاعه نصف فرسخ إليها كنسبة خمس سبع عرض شعيره إلى كرة قطرها ذراع بالتقريب فهي كالكرة خشن ظاهريًّا... وكرة الهواء محيطة بهذه الكرة من جميع الجوانب ثم كرة النار مع ما فيها من الغيوم والأبخرة والأدخنة وما يتولد منها ومجموع هذه الكرة الثلث مع ما فيها يسمى العالم السفلي وعالم الكون والفساد والباقي من العالم وهو ما بين السطح المحدب للنار والسطح المحدب للكرة العظيمة المسماة بفلك الأفلاك يسمى العالم العلوي وعالم الأفلاك وفي هذا أعني ما بين السطحين المذكورين ثمانية سطوح متوازنة وموازية لهما مركزها مركز العالم أيضاً يحيط هي والسطحان المذكوران بتسعة أفلاك محيط بعضها بالبعض إحاطة طبقات البصلة بعضها ببعض أعلاها فلك الأفلاك والأطلس ويليه الثاني وهو تلك لبروج وفلك الثوابت ثم الثالث وهو فلك زحل ثم الرابع المشتري ثم الخامس وهو فلك المريخ ثم السادس وهو فلك الشمس ثم السابع وهو فلك الزهرة تم الثامن وهو فلك عطارد ثم التاسع وهو فلك القمر وهو أقرب الأفلاك إلى الأرض وفي جوفه عالم الكون والفساد وهذه صورة الأفلاك والأرض([1]).

وقال عن الشمس: «وأمام الشمس فهي على فلك مركزه خارج عن مركز العالم وجرم مركوز فيه بحيث يماس محدبه ومقعره على نقطتين وسطح منطقة هذا الفلك في سطح منطقة فلك البروج ومركز الشمس في سطح هذه المنطقة المذكورة يتحرك بحركتها وهي كل يوم على توالي البروج تسع وخمسون دقيقة وكسر ويتم الدور في ثلثمائة وخمسة

(1)السيرة المرضية / ورقة 336.

وستون يوماً وربع يوم بالتقريب وهذه مدة السنة الشمسية ولكون مركز هذا الفلك خارجاً عن مركز العالم يكون مركز الشمس في قطعة من مداره بعيداً عن مركز العالم بطيء السير وفي القطعة الأخرى قريباً منه سريع السير وما بين المركزين جزءان التي بها نصف قطر الخارج المركز ستون وإذا خرج قطر مار بالمركزين مريا بأبعد بعد عن مركز العالم ويسمى الأوج وهناك منتصف زمان البطء ومقابله وهو البعد الأقرب ويسمي الحضيض...)([1]).

ومن النثر الفني العلمي ما كتبه العلاّمة نعمة الله الجزائري عن عصمة الأنبياء في كتابه «النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين» قال: (وأعلم أن الخلاف بين علماء الإسلام في عصمة الأنبياء _عليه السلام يرجع إلى أربعة أقسام ما يقع في باب العقائد وما يقع في التبليغ وما يقع في الأحكام والفتاوى وما يقع في أفعالهم وسيرهم أما الاعتقادات فهم منزهون عن الكفر والضلال فيها قبل النبوة وبعدها باتفاق الأمة غير أن الأزارقة من الخوارج جوزوا عليهم الذنب وعندهم كل ذنب كفر فيلزمهم تجويز الكفر عليهم بل يحكى عنهم أنهم قالوا يجوز أن يبعث الله نبياً علم أن يكفر بعد نبوته.

وأما النوع الثاني وهو ما يتعلق بالتبليغ فقد أنفقت الأمة وأرباب الملل والشرائع على وجوب عصمتهم عن الكذب والتحريف فيما يتعلق بالتبليغ عمداً وسهواً إلاّ القاضي أبو بكر فإنه جوز ما كان من ذلك على سبيل النسيان وفلتان اللسان.

وأما النوع الثالث وهو ما يتعلق بالفتاوى فأجمعوا على أنه لا يجوز خطأهم فيه عمداً وسهواً....)([2]).

---

(1)المصدر السابق / ورقة 342.

(2)النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين! المقدمة.

ونماذج النثر العلمي كثيرة وكـان مـن أبـرز خصائصـه متانـة أسـلوبه وفصـاحة عباراته ووضوح ألفاظه وخلوه من المحسنات البديعية والزخرفة اللفظية والسجع.

ثانياً: النثر الفني:

امتلك الأدباء الأحوازيون ناصية النثر الفني كأروع ما يكون الامتلاك وعبروا بـه عن خلجاتهم النفسية وتصوراتهم الذهنية وحاجاتهم الآنية والمستقبلية بصياغة رشيقة وألفاظ فصيحة بليغة وأسلوب جزل يرقى إلى أصول البيان العربي في أيام عزه وازدهـاره والتزموا بمنهج الأقدمين وكانوا شديدي الـولاء والانـتماء إلى تـراث أمـتهم الفكـري بكـل حذافيره فأقبلوا عـلى دراسـة الأسـاليب النثريـة الرفيعـة فأدركوهـا وتـأثروا بهـا فحـذوا حذوها وسلكوا نهجها وألفوا على منوالها فنثرهم تقليد للنثر العربي في أعز أيامه وأسمى مراتبه فهو تقليـد للأصـالة والإبـداع اتخـذوا فحـول النـثر العـربي أسـانيد لهـم يقتـدون بطريقتهم ويستلهمون ثراءهم الفني فحلقوا بإنتاجهم بما يوازي إنتاج أسـاتذتهم ومـما يرجح زعمي هذا نقطتان رئيستان:

1-النماذج النثرية الأحوازيـة المتيسرة التـي احتفظـت بخصـائص النـثر الفنـي الأصلية في الترسل والبناء والترصيع والزينة والنوع.

2-تعرض الأدباء الأحوازيـون لسـير وأخبـار وتـأليف الأدبـاء العـرب المتقـدمين بشكل مكثف فنجد مصنافتهم الأدبيـة مليئـة بأخبـار وتصـانيف عبـد الحميـد الكاتـب والجاحظ وابن المقفع وابن العميد والصحاب والبـديع والصـابي وإضرابهـم مـن علـماء الكتابة الفنية وكما يقول المرحوم الدكتور مصطفى جواد: (فالصناعة الأدبيـة اذا بلغـت الذروة اشبهت المطبوع لأن الغرام بالفن يستمد من الملكة والطبع معاً.

وقـد ثبـت أن صـدق الشـعور وحـده لا يكفـي في دعـوى روعـة الأدب كـما

ثبت في الفنون على اختلافها أن التقليد فيها يبلغ أحياناً مرتبة المقلد فلا يمكن التمييز بينهما إلاّ بشيء غير فني..)([1]).

ومعلوم أن الكتابة الفنية العربية شهدت ثلاثة أساليب أساسية في الصناعة والإنشاء.

وهذه الأساليب هي:

1-أسلوب سهل واضح يعني باللفظ والمعنى على السواء ويتميز بجمال اللفظ وطلاوته وعذوبة النغم ومرونته لا يتكلف البديع والسجع إلاّ ما جاء عفو الخاطر وأساتذته ابن المقفع والجاحظ وأبو حيان التوحيدي.

2-أسلوب يعني بالمحسنات البديعية والزينة اللفظية ويلتزم بالسجع والتأنق والتصوير من دون كلفة وأساتذته ابن العميد والصاحب بن عباد وأبو إسحاق الصابي.

3-أسلوب يلتزم التعقيد والتكليف البديعي ويعتمد الأغراب والتحذلق والمبالغة ويستخدم التعابير المتوعرة الوحشية ويحفل باللفظ أكثر من سواه ومن أستاذته أبو العلاء المعري والحريري....

أما مكانة النثر الأحوازي من هذه الأساليب.

ففي الواقع أن النماذج الموجودة تشير إلى أن الكتاب الأحوازيين متأثرون بكل هذه الأساليب الثلاثة ونثرهم في معظم صوره امتداد للقديم فقد حرص فريق منهم إلى إيصال المعنى مع سلامة اللفظ وفصاحته وعمد فريق ثان إلى استخدام الزينة اللفظية دونما إغراق في البديع بينما لجأ فريق ثالث إلى التعقيد وتكثيف الزخرفة والأغراب. زيادة على ذلك أن هؤلاء الكتّاب وجدوا في عصور التحمل والاضمحلال الحضاري والأدبي فعلى

---

(1)مجلة المجمع العلمي والعراقي / المجلد 3، ج1955/2م، ص 310.

الرغم من عيشهم بين ظهراني دولة ترعى العلم والأدب فإنه لا يمكن تزكيتهم من تأثير عصور الانحطاط التي اصطبغت بها حياة كل العرب آنذاك فظهرت كتابات لعدد منهم تميزت بالضعف والجمود والاسفاف ودخلت العامية بين ثنايها بل وجد بينهم من كتب بالعامية وخاصة في مجال الرسائل الأخوانية - ولكن يبقى الطابع العام للنثر الفني الأحوازي في هذه العصور هو طابع النثر العربي الأصيل الذي يحتفظ بالخصائص والمميزات الفنية السليمة في الصياغة والأسلوب والفصاحة وهو ما سنطلع عليه في أغراض النثر.

- أغراض النثر الفني:

طرق الكتّاب الأحوازيون أغراضاً متنوعة وكانت كتاباتهم الفنية تتسم بالموضوعية والواقعية فتناولوا أموراً تخص مجتمعهم وأحداثاً تجري من حولهم وقضايا عاشوها، والقليل من نثرهم سوانح وتأملات فنية بحتة ليس لها صلة بحياة المجتمع أو حياة الناثرين أنفسهم وأغراض النثر هي:

أولاً: تصوير الحوادث والوقائع:

عنى عدد من الأدباء الأحوازيين بالحوادث المعاصرة لهم فصوروها تصويراً بارعاً واستطاعوا بخيالهم الرحب وأسلوبهم المرن وثرائهم اللغوي أن يجسموا أجواء المعارك بإنشاء بديع رائع يملك المشاعر ويسحر النفوس يتجاوز السرد التاريخي الجامد إلى الوصف الفني العذب الموشى بالزينة اللفظية ومن ذلك ما كتبه ابن رحمة الحويزي يصف إحدى المعارك التي وقعت بين أمير البصرة علي بن أفراسياب وإمام قلي خان أحد قواد الشاه عباس الصفوي في عام 1034هـ-1634م في مدينة الدورق الأحوازية وكان ابن رحمة برفقة علي بن أفراسياب، اعتمد السجع والبديع لتزيين

وصفه ورصعه بأبيات مـن شـعره وسـجعاته تـتراوح بـين الـقصر والطـول ليضـفي عـلى أسلوبه رونقاً جذاباً ونغماً موسيقيًّا مؤثراً فقال: (فنزلت الأمراء ورؤساء العساكر منازلها، وحلت صناديد الأبطال في محالها، وأقام يومـه يـدبر أمـر القتـال، وينظـر أوائـل الحـال وتوالي المال، وبث الجواسيس لاستخبار أمور العـدو القريـب والبعيـد، فبلغـه الخـبر أن الخان الأعظم في الدورق يخرج إلى الصيد على جاري عادته مع جمع غفير مـن خواصـه ومقربي خدمته، فأخذ رأيه الذي عوده النظر في الأمور البعيدة في أن يجهـز إليـه جيشـاً كثيفاً وعسكراً كبيراً يأخذه من وراء عساكره المتقدمة عليـه، ويشـن عليـه غـارة تذهلـه عن معرفة يديه من رجليه، فانتخب من حماة رجاله، وكماة أبطاله، قوماً لو قذف بهـم البحر لسكنت أمواجه، ولو رمى بهم يذبل أو رضوى لهـدت أبراجـه، رجـال يهشـون إلى القراع هشاشة الأطفال للرضاع، ويرتاحون للكفاح، ارتياح العشاق للملاح:

آساد موت مخدرات مالها أملها ... إلاّ الصـوارم والقـنـا آجــــام

آســاد مــوت مخدرات مالـها ... ســكــانها الأرواح والأجــســام

....

فلم يتم هـذا الـرأي حتـى بلغـه الخـبر، ففقـد الصـيد منـه العـين والأثـر، وامتنع من الركوب إلى متصيداته، والركون إلى متنزهاتـه، واعتقـل نيـاق السرور في معتقله، وأقام قيام الجيش في منزله، فلما كان في اليوم... ركب من الأتـراك عسـاكر كالسيل المنحدر أو الجراد المنتشر، قـد غصـت الأرض ببـوارق أسـنتهم وصـوارمهم، وأَرقت البيداء بإمعان دروعهم ومغافرهم، ومـروا مـن وراء الشـط بحيـث تـراهم العساكر المنصورة، والجحافل التي هي بذمام اللـــه مخفـورة، فشـمرت خنزوانتـه ([1])، وأنفت شـيمته مـن أمهـالهم إلى الرجـوع إلى معسـكرهم آمنـين، والقفـول إلى

(1)خنزوانته = كبره / القاموس - خنز.

مضاربهم غير مذعورين، فأمر رجاله بالعبور إليهم، والوصول إليهم، فعبر رجال كأن الأمواج أبناؤهم والبحار آباؤهم، كائهم التنانين والتماسيح واستجنبوا جبائبهم فكأنها خيل البحر لا خيل البر، قد أمتطوا مطايا من أدم يقطعون بها جواري المياه واستجنبوا الجنائب فكل فرسه وراءه فعبروا، وركبوا، وركضوا، حاملين حملة منكرة يهتز لها شنآخيب[1]الجبال فما حال الرجال؟ فانهزم الأعداء من بين أيديهم لا يلوي أحد منهم على آخر يدق بعضهم بعضاً، لا يعرفون سماء ولا أرضاً، يدفع الثاني الأول فيطرح، ويصدم الثالث الثاني فيبطحه، فلما فصل الليل مسافة أبصارهم وصرفهم إلى استقرار أفكارهم، أمرهم بالمبيت في طرف العدو وأيدهم من رماة السهام، والبنادق بجمع كثيف، ورهط منيف، وسمعت منه يقول أطمع الأعداء في لقائنا اليوم الثاني قلة ما شاهدوا من العسكر وأطمع العسكر فيهم خورهم وجنبهم مع كثرتهم فلما أصبحوا أردفهم بمن عنده من الأجناد وضراغم تلك البلاد، فلما أخذت الشمس في الارتفاع لم يشعروا إلاّ الأرض قد ماجت ببحور الدروع والمناصل، وغصت بجبال الكتائب والجحافل، وأقبلت الأتراك بأسرها قد ملأت الخافقين بالسلاح، متداعين إلى التصادم والكفاح، لا يقع البصر إلاّ على فرس صاهل، أو فارس جائل، أو بيضة ساطعة أو حربة لامعة فتهافتت فرسان الصدام، وملوك ديار النجدة والاعتزام مستصرخين بعضهم بعضاً، يبكي كل في وجه صاحبه غيرة ومسابقة إلى بذل النفوس والسماح بالرؤوس ذبا عما يوجب وصمة النقص من ذل الانكسار وشناعة العار، يتخيل كل منهم استيلاء هذه الفرقة التي تهلك النسل والحرث، يقتلون الرجال ويستبيحون العيال، ولا يفرقون فيهم بين حرام وحلال، ودنا الفريقان بعضهم من بعض ضرباً بالسيوف البواتك وطعناً بالرماح الفواتك ورضا

(1)شناخيب = رؤوس الجبال.

للهامات تحت النزائل وظلت رحى الحرب تعركهم بثقالها، وتدور عليها بأثقالها، وتكاثرت الأتراك حتى كادت الدائرة أن تكون لهم، ومولانا ينظر إليهم والشط حائل بينهم وبينهم، فلما أحس منهم الهون صرخ بمن معه من خواصه المتخلفين عنده من الذين أعدهم لتفليق الهام، والحام الصدام، وأمرهم بالعبور، واستجنب هو بنفسه حصانه المشهور بغزالان الذي قلت فيه عند قدومه من الأحساء.

أتانــا الهنــا لمــا أتانــا غــزلان حصان إذا شافوه أهل الغزالا نوا

....

وعبر الشط. فما نظرت رجاله إلى إلقائه بنفسه لاسعادهم، وأقدامه بروحه إلى امدادهم، وحملوا متنادين بالشعار الذي أعدوه في المضايق، وركضوا الركضة التي عودها لتفليق هامات الفيالق، متراكضين إلى لقاء الموت، متسارعين إلى النصر أو الموت.

متســابقين إلى الحــمام كأنمــا يتســابقون إلى لقــاء حســان

....

فتداعت الزحوف، وتخالطت الصفوف، وخطبت على منابر الرقاب فصحاء السيوف وثارت عجاجة أخذت الأرواح من الأشباح، وأذهلت النفوس عن الأرواح، ونثرت الرؤوس بأكف الصفاح، وعطلت الرجال من وقع السلاح، وظلت السن السيوف تروي حدث النفوس، وأيدي الخيل تلعب بأكر الرؤوس، ترد الجياد من القتلى على جبل، ومن دمائهم يخضن في وجل، ومن جماجمهم يصعدون في نشز، ومن ذوائبهم يقمصن في شكل، فلم يلبث أسفر قتامها من مساقط أبدان تحت أبدان، وأجسام فوق هام فانكشف فلهم الذي افلتتهم الصوارم، وأخطأتهم أنياب الضياغم، عن مضاربهم، وانزاحوا عن مرابضهم، ورجعت عنهم الخيل المنصورة، بالرجال المعروفة المشهورة يتلاعبون

تحت القتام، تلاعب النجوم تحت الغمام، بـل الأشـبال في الأجـام، قـد أسـكرتهم خمـور الـنصر، وأمـالتهم كالغصـون أرواح الظفـر، فيالـك مـن يـوم ثلجـت فيـه القلـوب بعـد الاضطرام، وسكنت النفوس بعد الاضطراب والاصـطدام، وعـاد مولانـا بمـن معـه ظـافراً منصوراً، وعزم على أن يركب في اليوم الآخر بجميع ما يحويه المعسكر هاجماً عليهم إلى مستقرهم الذي هم فيه، وموضعهم الـذي عرجـوا عليـه، وأن يلقـى علـيهم الحـرب في طرفي البر والبحر، ملتقيًّا إياهم بالصدر، الـذي تضـيق الأرض عـن رحبـه، والعـزم الـذي تتباعد الصوارم عن قربه، فجمع الرجال، وفرق الأسلحة والأموال، وذكر لي أنه بينما كان مشـتغلاً في ذلـك سـمع أصـوات المـدافع والاتفـاق، وقـد طبقـت الآفـاق، فأصـغى هـو والحاضرون إلى ذلك الهول. وظن الناس ظناً متاخم الاعتقاد أن القلعة قد أفتتحت، وأن الأمم التي فيها قد قتلت، فبعث جاسوساً يأتي بالخبر، وحلول هذا الأثـر، فأتـاهم بشـيراً بالنصر والظفر، وأن العدو قد انكسر، وقد ترك الخيام، والميرة والطعام، والخيل والإنعام، بل الجواري المنشآت في الجبال كالأعلام، فغنم ما في معسـكرهم وأقـام مـدة يصـلح مـا اختل من أمور تلك الأطراف، وينعم بالتلاقي لما حصل فيه الأتـلاف وكـر راجعـاً يسـوقه النصر ويقدمه الظفر إلى مستقر عزه، ومستند مجده...)([1]).

وكتب الأديب فتح الـلـه بن علوان الكعبي مقامة صوّر فيهـا مهاجمـة الأتـراك لحكومة حسين بن علي أفراسياب في سنة 1078هـ/1667م وما رافق ذلك من إجـراءات قام بها حسين أفراسياب لمواجهة الموقف وحينما وجد نفسه عـاجزاً عـن الصـمود أمـام قوة الأتراك انهزم من البصرة إلى بهبهان في الأحـواز وكـان الكاتـب المـذكور ممـن شـهد الحادث فألفّ هذا الأثر الفني ملتزماً بأسـلوب المقامـة في السـجع والازدواج، والمقابلـة

(1)السيرة المرضية، ورقة 29، 32.

واستخدام الغريب والزخرفة البديعية ووشحها بآيات وتعابير من القرآن الكريم وضمنها عدداً من الأبيات الشعرية والأمثال وقسّمها إلى مقدمة وعشرة فصول صغيرة وجعل حسين أفراسياب بطلاً للقصة والكاتب نفسه راوية لإخباره وبذلك استكمل شروط المقامة، ولكن مقامته واقعية بينما مقامات بديع الزمان خيالة ومن فصول هذه المقامة قوله: (قال المخبر بهذه الحكاية وكنت في ذلك اليوم ممن سمع الندوة وكان له بالمرتحلين أسوة. وفي اليوم الذي حق فيه الرحيل. وصح القيل وجادت السماء. وصحت الأنواء. حتى امتلأت بطون الطرق. بالسيل المندفق. وحين تحقق الوحى. وحشر الناس ضحى. قلنا نفخ في الصور. وبعث من في القبور وحلّ في الناس من شدة الوحل ما يكل عن معاينته الطرف. وعن بعضه الوصف فبينما أنا واقف عند جسر بريهه إذ من بهيم. على ظهره هرم. وهو ينوء بثقله. وينوء بحمله. يقوم ويقعد. ويلح ويعقد. فتعجبت غاية العجب. وجعلت أتنكر بأبي العجيب. وازدحم الناس على الجسر. وطلعت المخدرات حسر وظن أنه يوم الحشر. فبعدا للظالمين وخسر. ولما جزت العبرة. أجريت العبرة. لامرأة سقط ولدها من يدها في وحل. ثكل منه الرجل. ولا يعبر منها إلاّ رجل. وكان معي رفيق ذو نجده. مطيع لما أعده. فأنقذها مع ولدها. وخرج آخذاً بيدها. ثم جزنا إلى دروازة المناوي. والناس بين قائم وهاوي. وقد عدم الحيا لكثرة الحيا. فكم من رجل قد فر من أخيه، وأمه وأبيه. وصاحبته وبنيه وفصيلته والتي تؤويه وهو يقول نفسي نفسي. ولامرأته لست بعرسي. هذا وهلال بن سنبل رائد الشرطة يدور في الأسواق. من زقاق إلى زقاق. راكباً على حصانه. حول جملة من غلمانه. وهو معلن بلسانه إلاّ من أصبح عليه ليلة. ففي غد شؤمه وويله. فحينئذ أعلن الناس بالبكاء والجور. لفقدان السفن والجوار. ولم يسعهم دون أن يشرعوا في تقويض بيوتهم الصحاح. وجعلوها كالسطاح وحملوا عليها النساء

والأولاد. بعد أن تركوا الطارف والتلاد. ويومئذ اجتمع في العشار من سطايح القصب ما يعجز العداد أحصا. والرواة له استقصا وما مضت الأيام الثلاثة واقترنت بالرابع. إلاّ والبصرة خالية المرابع. قد رحل عنها الساكن. وخلت منها المساكن. فأما المدارس. فدوارس. والمحافل. من أهلها حوافل. والنادي. بالويل ينادي. ولم يرد بالمساجد. ساجد. ولا للقهاوي. هاوي. ولا للمحافل حافل. فتمثلت والشجون تعرقني عرق الندا. ولو ناديت لما أجيب الندا.

دارت على دار الهوى أيدي الحيا	وربعت ربع الظبا ريح الصبا
إذا أصبحت بعد الأنيس قفرة	لا يسمع الطاوي بها إلاّ الصدا
وأربعت في ربعها عفر الضبا	بعد أمهات الدل وأمثال المها
فارقتها فرقة روحي جسمها	ولا حياة بعدها إلاّ اللقا

....

ثم أمر بالارتحال. لأصحاب الشمال. وقد نادى بهم منادي الرحيل. على سبيل التعجيل. إلاّ أن من قرن يومه وتؤمه. ولم يعبر حرمه وحشمه. فقد أبحنا ماله ودمه. ومزقنا أدمه. فأخلوا ناحية الشمال حتى لم ير بالمنازل نازل. ولا من يجيب مسائل السائل. ثم دارت الدوائر. على أهل الجزائر. وأتى أمر الوزير عليه بالإجلاء عن الوطن. ونهب من قطن. فما مضى إلاّ اليوم الذي له يوم الترحل الخامس. إلاّ والطول بعد الأنيس بسابس. وما غبر اليوم الذي بعد واقترن بالثاني. إلاّ وحق في الديار قول الذبياني. فجنان سباسب([1]). وبيوت الهباة هباهب([2])وتفرقوا أيدي سبأ. وبعد الاجتماع صاروا غرباً. حتى ملأوا الأرض حزناً وسهلاً. والبلاد عرضاً وطولاً. فكم منهم بسحاب قوم ولا قطع السحاب.

---

(1)سبأ: مدينة بلقيس، سباسب: بعيدة، والسبب: المفازة، القاموس: سبأ.

(2)الهباة: قليلو العقل، هباهب: مزعزة مهزوزة، القاموس هبو.

وكم بالسويب من مال سايب. وكم حازت الحويزة. من ذليله وعزيزه. فيا لها من واقعة ما أجلها. وحادثة لم نسمع بمثلها...)([1]).

ثانياً: الرسائل السياسية:

غرض قديم في النثر العربي عرف منذ بداية القرن الأول الهجري، وكان الخلفاء الراشدون والأمويون والعباسيون يكتبون الرسائل والعهود إلى عمالهم وولاتهم وأمراء الجيوش والقضاة وعامة الناس، تحمل وصاياهم وآراءهم لمعالجة المعضلات السياسية التي وقعت في عصورهم، وفي الوقت نفسه كان الولاة والقادة يخاطبون الخلفاء والحكام برسائل مماثلة، وقد تكون الرسائل السياسية بين الثوار أو الخارجين على الحكومة وبين الحكام أو الولاة أو قادة الجيوش وغيرهم، ومن التقاليد الأصلية في هذا النوع من الرسائل أن تكون لغتها خالية من الأغراب سهلة التركيب مفهومة الأسلوب والصياغة، ويبدو أن القوة البيانية والبلاغية للرسالة تتأثر بأمرين هما: أهمية الهدف الذي من أجله تصاغ الرسالة، ومكانة الجهة المخاطبة فكل ما كان الهدف كبيراً والجهة المخاطبة رفيعة كان التوجه نحو عناصر التجميل والتفخيم أكبر وأوسع، فيورد الكاتب السجع والازدواج والمقابلة والجناس والطباق والاستعارة والتهويل والتكبير وغيرها من عناصر التجميل البديعي والسحر البياني، وعن طريق المحسنات البديعية والزينة اللفظية غير المتكلفة غالباً، تتخذ الرسالة السياسية طريقها للتأثير في نفس القارئ أو السامع فيستجيب لها رغبة أو رهبة بفعل وسائل فنية مرتبة وفي ضوء هذه المقاييس لرسائل القدماء السياسية يتوفر نموذجان من رسائل الأحوازيين السياسية، نموذج يتمسك بالنهج القديم في رسم هذه الرسائل، فيبدأ بالتحميد ويقتبس من آي الذكر الحكيم ويستعين بالأمثلة والشعر ويلجأ

(1)زاد المسافر، ص 21، 12، 23، 27.

إلى السجع والزينة البديعية الأخرى، والآخر يجافي التصنيع والسجع ويجري بأسلوب مرسل غير متكلف مع الالتزام بفصاحة الألفاظ ووضوح التعبير.

ومن هذه الرسائل ما كتبه الشيخ محمد بن الحارث المنصوري نيابة عن أهل الجزائر جواباً على رسالة القائد العثماني أسكندر باشا التي أرسلها إلى أهل الجزائر سنة 975هـ - 1567م([1]) يهددهم فيها ويتوعدهم على خروجهم وحملهم السلاح بوجه الحكومة العثمانية بقيادة الأمير علي بن عليان والشيخ محمد بن الحارث المنصوري.

فأجابه الشيخ المنصوري برسالة افتتحها بالدعاء والثناء على الباري سبحانه بما هو أهله، ثم أخذ يفند مزاعم أسكندر باشا بأٍسلوب رزين، ويناقشه بما انطوت عليه رسالته من مساوئ وتهديد.. واستخدم السجع والجناس والازدواج والاستعارة، وأكثر الاقتباس من القرآن الكريم. والرسالة على قصرها قطعة موشاة بالزينة اللفظية، نذكر منها:

> بسم الله الرحمن الرحيم، قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد وآله الطيبين الطاهرين..

أما بعد فقد ورد إلينا كتاب محبر عن الحضرة الخاقانية والدولة الرفيعة السلطانية الإسكندر باشا نصره الله وأرشده، فهو عندنا صدر صريح وذو عقل رجيح، ولسان فصيح، أعلم هداك الله إلى طريق الرشاد، أما قولك فأننا مخلوقون من سخطه ومسلطون على من حل عليه غضبه لا نرق لمن بكى، ولا نرحم لمن شكا، قد نزع الله الرحمة

(1)التحفة النبهانية، ص 267-268.

من قلوبكم، فذلك من أكبر عيوبكم لأن هذا من صفات الشياطين لا من صفات السلاطين وكفى هذا شاهداً وموعظة. (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ {1/109} لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ {2/109} وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ {3/109} وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ {4/109} وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ {5/109} لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ) وقلتم إننا أظهرنا البدع وضيعنا الجمع ونكّسنا الأديان وأظهرنا الفسوق والعصيان، فإن كان الشرك بفرعون معكزاً فأنتم صرفتم (كذا) للشر مركزاً([1])، إلاّ أنكم أشر من قوم لوط وصالح وما علمكم بنافع ولا صالح، فنحن الموفون حقاً.... فالعجب العجب تهددون الليوث والسباع بالضباع، والكماة بالقراع، خيولنا سوابق برقية، وترسنا مصرية وأسيافنا يمانية، وأكتافنا شديدة المضارب، وسلطاننا شاع ذكره بالمشارق والمغارب، فرساننا ليوث إذا ركبت، وخيولنا سوابق إذا طلبت وسيوفنا قواطع إذا ضربت، ودروعنا جلودنا، وحواشينا صدورنا، قلوبنا قوية لا تفزع وجمعنا لا يروع، وقولكم عندنا تهديد، فنحن أهل الوعد وأنتم أهل الوعيد بقوة الله العزيز الحميد، لا يهولنا منكم تخويف، ولا يرجفنا منكم ترجيف، فإن أطعناكم فذلك طاعة، وأن قتلناكم فنعم البضاعة، وإن قتلتونا فبيننا وبين الجنة ساعة، وأما قولكم قلوبنا كالجبال ووعدنا كالرمال فأعلموا أن القصاب لا يهوله كثرة الغنم وكثير من الحطب يكفيه قليل من الضرم أيكون من الموت فرار، وعلى الذل قرار الأساء ما تحكمون، الفرار من الرازيا لا من المنايا فنحن إن عشنا سعداء وأن متنا شهداء.. تريدون منا طاعة لا سمعاً، ولا طاعة قلتم إن سلمتم، لنا أمركم قبل أن يكشف الغطاء، ويحل عليكم منا الخطاب، فهذا الكلام في نظمه تركيك وفي سلكه تشكيك فقولوا لكاتبكم الذي وصف مقالته أن يحسن رسالته، والله ما كان جوابكم عندنا إلاّ كصرير باب، أو كطنين

(1)اعتقد أن الصواب = صرتم.

ذباب، أنكم أسخففتم النعمة، وأستجوبتم النقمة، ولكم منا الخطاب وسيأتينا منكم رد الجواب أتى أمر اللـه فلا تستعجلوه والسلام على من اتبع الحق المبين»([1]).

ومن الرسائل السياسية رسالة أمير الحويزة عبداللـه بن فرج اللـه المشعشعي كتبها إلى أهل البصرة يدعوهم للدخول في نفوذ حليفه نادر شاه سلطان العجم في سنة 1156هـ- 1743م([2]) بدأها بالتحميد والسلام على وجهاء أهل البصرة يتحبب إلى قلوبهم بالنصائح والآيات الكريمة والحديث الشريف ثم ينتقل إلى وصف قوة سلطان العجم وفتوحاته في بلاد الهند والترك، ويدعوهم إلى الرضوخ للأمر الواقع، وفتح أبواب مدينتهم لهم خشية العواقب في ما لو دخلوها عنوة، والرسالة على طولها يتكرر فيها الوعد والوعيد ويكثر التهديد والتهويل ويتصف أسلوبها بالمتانة وقوة الأسر، وفيها دلالة واضحة على قدرة منشئها الكتابية وطول باعه في الثقافة الأدبية، ولا بد أن تكون له رسائل أخرى في فن النثر. وهذه الرسالة لا تختلف في بنائها الفني بشيء من النثر القديم، اعتمد كاتبها على السجع واللفظ المزدوج واستعان بالزينة البديعية وبالتطويل والتهويل لبعث الترغيب والترهيب في نفوس من عنتهم الرسالة، منها:

> بسم اللـه الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، والصلاة على رسوله الأمين وعلى آله والصحابة الأكرمين بعد إفشاء السلام، وإهداء التحية والإكرام، إلى العلماء الكرام والنقباء العظام، والأشراف والمشايخ من أهل البصرة، خصوصاً الشيخ درويش والشيخ إبراهيم والسيد رمضان والسيد طالب، ومن يحذوا

---

(1)زهر الربيع، ج 128/2-129.

(2)مجلة الأستاذ، ع 1، سنة 1977-1978، ص 271.

حذوهم، أحسن اللـــه تعـالى أحـوالهم، وأصـلح بـالهم وتقبـل أعمالهـم وبلغهم آمالهم. فقد روى عـن رسـول اللــه (صـلى اللــه عليـه وسـلم) بالأسنايد الصحيحة أنه قال (حق المسلم عـلى المسـلم النصـيحة) ونحـن وإياكم من جمعتنا بحمد اللـــه تعـالى كلمـة الإسـلام عـلى الصـادع بهـا صفوف الصلاة والسلام، فحق علينا جميعاً إهداء النصائح وإبداء المصالح وأنتم وأن كنـت ذوي الأنظـار الثاقبـة وألـوا الأبصـار الصـائبة، والعـالم لا يحتاج إلى التعليم، والفهم مستغن عن التفهيم، إلاّ أنـه لا بـأس بالتـذكير والتبيين امتثالاً بقوله تعالى في كتابه المبين {(55) وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِكْرَى تَنْفَـعُ الْمُؤْمِنِينَ } وقد بلغكم جمعنا اللـه تعالى وإيـاكم عـلى الهـدى وعصـمنا جميعاً عن مواقع الرّدى.

وقد كان أهل البلدة وهم السواد الأعظم بمـن فيهـا مـن أولى الأحـلام والنهـي وأرباب العلم والفهم والحجا، وهـم المجربـون للأمـور، والنـاظرون في مصـالح الجمهـور أولى بهذا الاستصلاح، ومعرفة الفساد من الصلاح وأجرى بالنظر في الأغوار والتحفظ عن الأخطار، وأعلم بأن الدورة الإلهية لا تحارب، وأن الأمـور السـماوية لا تغالـب، وأنـه مـا وقع قوم من الحصار إلاّ فلّوا وما غزا قوم قط في عقر ديارهم إلاّ ذلوا وأن الاحتصار إنما ينفع من كان لـه مـدد قريـب أو فئـة يـدعوها فتجيـب، دون مـن هـو في أضـيق مـن عقـد التسـعين، ولا أمـل لـه بنـاصر ولا معـين... وأنـتم يـا إخـوان الـدين وأولي الأبصـار المهتدين، بقية السلف وحجة الخلـف وقـدوة الأنـام ومفـزع الخـاص والعـام وحصـون السلام، العارفون بالحقـائق المنتبهـون للـدقائق، الهـداة إلى الخـيرات الـدعاة إلى مـنهج النجـاة، الفـارقون بـين الخـير والشر، الآمـرون بـالمعروف والنـاهون عـن المنكـر، عـنكم تصدر الآراء وإليكم ترد، وبكم تنحـل الأمـور وتنعقـد، وإلـيكم تطمـح الأبصـار وترمـق

الأنظار وتشد الرحال وتخفق النعال وتوطئ الأعقاب وتمد الرقاب وإليكم المرجع في جميع الأمور وعليكم المعول في المأمول والمحذور، وبكم يسد الخلل وتتقي مواقع الزلل ويرقع الخرق، وتنظم مصالح الخلق، وفي الحديث الشريف العلماء أعلام الدين، وأوتاد الأرض ولولاهم لماجت بأهلها... فبادروا رحمكم الله تعالى إلى تقويم الأدب وإصلاح ما فسد، قبل أن يتسع الخرق على الراقع ويحل عذاب واقع ليس له دافع، وطبوا هذه القالة، وأردعوا الجهالة عن الجهالة قبل أن تطيرهم المنايا كالطيور عن أوكارها وعجلوا غفر الله تعالى لكم أن تدخل عليكم المدينة من أقطارها فحينئذ لا تنفع شفاعة الشافعين، وإذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين، ولينظروا بعض من يثقون به من أهل الخير والصلاح فليستقروه للاستصلاح يلتمس لهم الأمان ويتوثق لهم بالعهود والإيمان على الأموال والعيال والنفوس والدين والمذهب والناموس وحسن السلوك مع عموم الرعايا سيما الأعيان والأشراف وأرباب المزايا وترتيبهم على مراتبهم ونصبهم على مراكزهم ومناصبهم وأن لا يغير شيء من القواعد القديمة، حقيراً كان أو جليلاً ولا يؤاخذون بما سلف إلاّ يظلمون (كذا)([1]) فتيلاً وإلاً فليوقنوا أنهم مستضعفون مغلوبون ومتهورون مخذولون منكوبون، ونفوسهم مسلوبة وأموالهم منهوبة ونسائهم مأسورة وديارهم خربة غير معمورة، سنة الله تعالى في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تحويلاً. وأيم الله تعالى رب العالمين أني لكم ناصح أمين، ليس لي هواء([2])فيما رسمت، أن أريد إلاّ الإصلاح ما استطعت، فإن وقع منكم موقع القبول فهو غاية المرجو والمأمول وإلاّ فأنني أديتها، وحاجة في النفس قضيتها، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»([3]).

(1)افتقد أن الصحيح (ولا يظلمون).

(2)اعتقد أن الصحيح (هوى).

(3)مجلة الأستاذ، ع1/ سنة 1977-1978، ص 297، 298، 302، 303، 304.

ومـن الرسـائل السياسـية رسـالة الشـيخ خزعـل أمـير عربسـتان إلى الممثلـين السياسيين في أمارته وضح فيها خلافـه مـع حكومـة رضـا شـاه بهلـوي، وهـي مـن النـثر الحديث المطلق غير المقيد بسجع أو تصـنيع بـديعي أو تكلـف. بـدأها بالموضـوع دون مقدمة، وأسلوبها فصيح يسير مع الطبع لتوضيح الهدف الذي كتبت من أجله. قال:

«لا شك أنكم لاحظـتم أن جميـع العشـائر ومشـايخ العـرب اليـوم قـد عرفـوا مقاصد دولة إيران السيئة ويعلمون ما تنويه الحكومة الحاضرة نحوهم، وأهم نوايـاهم استملاك: أراضيهم والاستحواذ على أموالهم وأجلاسهم على الأرض البلقاء، وقـد اتخـذت الحكومة قضية الفرمانات ذريعة لأعمالهم ومظالمهم، وسألوني - أنا العربي الأصـيل - ألا يمكن الاتفاق معهم ومشاركتهم لحفظ حقوق ومصالح الطرفين؟ فـأجبتهم: أني مسـتعد لبذل آخر نفس في سبيل منفعة الوطن ولكن كـان مـا يبطنـون غـير مـا يظهـرون، وقـد اجتمعت جموع القبائـل كلهـا وبعـد تـلاوة القـرآن الكـريم، أقسـموا الإيمـان المغلظـة، وحلفوا بالطلاق وصمموا على وقوفهم في صفنا وعدم مخالفتنا مطلقاً.

انه هذه الثورة لا تشبه الثورات السـابقة، لأن الغـرض مـن هـذه الثـورة دفـع الخطر، والوقوف بوجه الدولة الإيرانية التي تريد أن تغصب أموالنا وأراضينا وأملاكنا.

إننا جميعاً لا نعتمد على تأكيدات رئيس الوزراء ولا نؤمن بأقواله وربما كانـت تأكيداته على الأكثر للخـداع والمكـر بنـا كـما مكـر بالحكومـة البريطانيـة، بعـد أن أكـد لممثليها أنه لا يسوق الجيوش إلى أرض عربسـتان، بيـنما كانـت جيوشـه في الطريـق إلى هذه الأراضي. كما أن الموظفين الذين أرسلهم إلى هذه الجهة ما جاؤا ألا لاغتصابي ونهب أموال عشائري، أفراد هذا الشعب العربي الذي مضت عليـه القـرون وهـو سـيد نفسـه وليس للشاه عليه إلاّ السيطرة الرسمية فقط. وأن أعمال موظفيـه كلهـا تضر بمصـالحي

بينما أكد أن هؤلاء الموظفين أرسلوا لنفع الدولة ولتأمين أموال الناس وأرواحهم وفوق ذلك فإن هؤلاء أخذوا يبشرون بين الأعراب بآراء تضر العرب، وقد سمموا أفكار العشائر نحوي وألبوهم ضدي مما يخالف الواجب الذي أرسلوا لتأديته، وأن أعمالهم هذه خارجة عن نطاق اختصاصهم. وها هو ذا يلعب بنا، فيوماً يرسل أحد الحكام إلى عبادان، وفي اليوم الثاني يشيع بأنه يود إسناد منصب الولاية لفلان على الجهة الفلانية، ومرة يريد تعيين رئيس بلدية وأخرى يريد أن يرسل رئيساً إلى المحمّرة. وهكذا لا يمر يوم إلاّ ويتدخل في أعمالي. إن الصحف التي وقفت ضدي وكالت لي التهم الشنيعة ووصمتني بأشياء لا حقيقة لها لم تنل عقابها، ولم يقدم أحدها إلى المحاكم وحتى لم يتنازل لتوقيف المتطاولة منها عليّ، وكذلك تلك الصحف التي شنعت عليّ فإنها لم تؤدب، وقد كان ظهيراً لهذا الصحف، إذ لو لم تكن تستند القوة منه لما تجاسرت على نشر هذه الأقوال المكذوبة والأخبار المختلقة. ولهذا فأني لا أعتقد بأقوال رئيس الوزراء ولا أعتبر تأكيداته...»[1].

ثالثاً: الرسائل الوصفية:

وهي من الأغراض النثرية التي أبدعوا فيها لما جبلوا عليه من أخيلة متدفقه وذوق سليم وفكر ثاقب فوصفوا مشاهد الطبيعة وتناقضات الحياة المادية والمعنوية فأفصحت أقلامهم عن معاني نفسية وألفاظ رشيقة تستوعب الموصوف وتضفي عليه رونقاً بليغ الأثر ومن ذلك رسالة الأديب نور الدين الجزائري في وصف السيف والتي أسماها (الرسالة السيفية) عني فيها بالجانب الموسيقي فجاءت عباراتها متوازنة ومتعادلة تشبه الشعر أو ما اصطلح عليه بالشعر المنثور، ووشاها بالزينة البديعية والزخرفة اللفظية، وأكثر من الاستعارات والتشبيهات ورصعها بالعبارات

(1)مذكرات رضا شاه، ص 149-152.

القرآنية الكريمة وأبيات من الشعر وأمثلة وطرزها بأسماء وصفت عدد من العلوم والفنون منها:

بسم اللـه الرحمن الرحيم {وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللـهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللـهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ}([1]).

دليل على إثبات صانعه، قاطع برهان على كمال مبدعه، ساطع عابد أفنى دهره في طول الركوع والقيام، فشرح صدره بلمعة من شرايع الإسلام، متنسك لا يفارق المحراب، متقشف منيب، منقطع إلى ربه قد ذابت منه الأحشاء، وبكى منه دماً سلفت منه الفحشاء، مجاهد: لا تعتريه في الجهاد دعة، ألا محترفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة مرابط يحفظ الثغول، لا يمسه دأب ولا فتور، كاتب: طال ما كتب صحائف حتوف على جبين شقيقه، ومحى سطور صنوف برق بريقه، نجومي: يحكم بتفريق الأصحاب واستخراج طالعه، حكمي: يستدل على جسمه الطبيعي بشرح مطالعه، متعالم. يكلم اللسان، عروضي دأبه تقطيع الأوزان، شارح: ينحل بكشفه مغلق المهاج، واضح تعارضه التلويحات الشمسية للإزعاج، عضدي: يصعد الفحول في تقرير الأصول، له فوايد في الأمر والنهي وسائر الفصول، تقي بأعماله من أصحاب اليمين فهو سديد، فكشفنا عنه غطاءه فبصره اليوم حديد، شاهد: في دعوى القصاص لكنه ذو جرح مؤد بلسانه ما يقول، وفيه قدح، موضوع لا يستنتج في المقدمات الجزئية محمول على الوسط للأصغر والأكبر في القضايا الكلية، محاسب: يضرب الصحيح في الكسير للمجادلة، علم: في باب الجبر والمقابلة، لبيب: يلازم البيت في الأمن ويطلع في الأهوال، بياني: يراعي المطابقة لمقتضى الحال، بارع: يستند إليه الخطباء ويقطع بلسان

(1)القرآن الكريم سورة الحديد، آية 25.

عرب العرباء، محقق: في قطع المحاكمات عديم النظير مدقق: يشـق غبـار كـل نحريـر، صحيح المزاح مع أنه معلول، دموي الطبيعة وهو مسلول، فاعل: فعله من الجوازم وقد يكسر في الكفاية، ولا يحفظه عن الكسر ما فيه من نون الوقاية، اسم: يجـر مـع الأعـلام للفتح، مصدر: يشتق منه أفعال التعجب والمدح، صبصـب[1]في قالـب القطـع والعـزام، وينشد للوعته من بدايع النظام:

ومـا تطابقــت الأجفــان عــن ســنة	إلاّ رأيتــك بــين الجفــن والحــدق
وهـــل ينـــام حـــزين موجـــع قلـــق	أجفانــه وكلــت بالســهر والأرق
شــغلت قلبــي عــن الــدنيا ولــذتها	فأنــت والــروح شيء غــير مفــترق

....

شقي: حق عليه العذاب فسقى شراباً من صديد، وأدخل النار فضرب بمقامع من حديد، فتّاك: لا يواجه في يوم الحراب، سفّاك: تخضع لـه الـرؤوس والرقـاب ملـك تخفق الألوية على رأسه، وتهاب الأبطال شديد بأسه، عزيز مصري: كأنه كوكب دري، يمير أهله ويحفظ أخاه، ويوفي الكيـل لمـن توخـاه، مصـباح: كصـم أوضـح بـه للحـق منهاجاً، مفتاح كم فتح به باب الدين حتى دخل الناس فيه أفواجاً، غيور: يدخل النار ويأبى العار، صاحب قتيل: قد تجرد لدرك الثأر، ناري: إذا أنتسب، هوائي إذا أنتصـب، بليد: في حدة. ضعيف: فيه شدة، علامة: يمسك الخلق ن الأكل والشرب للزجـر حتـى يتبين خيط الأبيض من الخـيط الأسـود مـن الفجـر، صـبور: في النوائـب لمـا فيـه مـن التجليد، مجتهد في القطعيات وهو ملازم للتقليد، ذو أقتدار طـال مـا أمـات وأفنـى، صاحب جوهر يريد عرض هذا الأدنى، مقدام: له في الحـرب كـرات مكـررة، فجعلـت الرقاب تحت قبضته مسخرة، مفاخرة: يكشف عن نسـبه بـين البرايـا، قـائلاً: أنـا ابـن

(1)صبصب: فرق ومحق.

جلا وطلاّع الثنايا، رفيق: خفيف المؤنة، كثير المعونة، جمعت عوايده لحامليه..»([1]).

ومن الرسائل الوصيفة ما كتبه العلاّمة محمد مؤمن الجزائري في وصف القلب واللسان، أعتمد في رسالته على السجعات القصيرة والاستعارات. قال:

«أيّها الإنسان هل تدري ما الإنسان. وما أدارك ما الإنسان؟ إنما هو قلب ولسان، فما الإنسان إلاّ بمضغتيه، مقوله وجناته وإنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه، إن قال بلسان، وأن قاتل قاتل بجنان، قلبه صندوق سره، ولسانه مفتاح ذكره، قلبه مشكاة نوره ولسانه مصباح ظهوره، قلبه مخزن سريرته، ولسانه مظهر سرته، قلبه قهرمان نفسه، ولسانه ترجمان عمله، ألا والقلب كنز دفين، واللسان ثعبان مبين، القلب ليستر الأسرار، واللسان يهتك الأستار، والقلب جوهر قابل، واللسان ناطق قاتل، ذلك عارف مستقر وهذا معترف مقر، ذاك ينشئ وهذا يحرر، وذاك يفتي وهذا يكرر، ذاك غدير وهذا سابح، وذاك قليب وهذا ماتح، ليكن فكوراً ولسانك ذكوراً، حتى يتعادل كفتاك ويتقابل حافتاك، فإذا عزمت فتوكل على اللـه، وكفى باللـه وكيلا..»([2]).

وله في وصف المحبة والحب:

«إعلم أنه اختلفت الأقوال في تفسير المحبة وشرحها وتعريفها وحدها ووصفها، فقيل: المحبة: سكر لا يصحو إلاّ بمشاهدة المحبوب، وقيل: المحبة: إيثار ما تحب لمن تحب، وقيل: المحبة: نسيان ما سوى المحبوب، وقيل: المحبة: الميل الدائم بالقلب الهائم: وقيل: المحبة: طائر لا يلتقط إلاّ حبة القلوب، وقيل: المحبة ثمن كل

(1)فروق انتغات، 265-276.

(2)خزانة الخيال، ص 9.

جنس وأن غلا، وسلم كل مكان وأن علا، وقيل: المحبة: طائر لا يلتقط موافقة الحبيب في الشهود والغيبة وقيل: المحبة: إفناء الحياة في أمر المحبوب، وقيل: المحبة: علّة فيها كل شفاء، وقيل: المحبة: محو الإرادات واحتراق جميع الصفات والحاجات، وقيل المحبة: إيثار المحبوب على كل مطلوب وإيثاره بذاته، والمحو بصفاته ومعانقته الطاعة، ومبائنة المخالفة، وقيل: المحبة: عبارة عن الميل إلى الشيء الملذ، وإنما يحصل بعد المعرفة بذلك الشيء وإدراكه إما بالحواس أو بالقلب، وكل ما كانت المعرفة به أقوى واللذة أشد وأكثر كانت المحبة أقوى.......»([1]).

رابعاً: السيرة الذاتية:

عرف أدبنا العربي كتابة السيرة الذاتية في عصوره المتقدمة وحتى عصرنا الحاضر فترجم عدد كبير من الأدباء والعلماء والقادة العرب لأنفسهم أو ترجم لهم، وتختلف كتابة السيرة باختلاف نزعات واختصاصات وميول أصحابها والدوافع التي دفعتهم إلى كتابة سيرهم، فترجمة القادة السياسيين والعسكريين غير ترجمة الفلاسفة والأدباء وهناك فرق بين من يكتب ويترجم له وبين من يكتب ويترجم لنفسه.

وعرف الأديب العلاّمة نعمة الله الجزائري من بين الكتّاب الأحوازيين بترجمة نفسه ولم يخصص لهذه الغاية كتاباً مفرداً وإنما جعلها فصلاً في آخر كتابه (الأنوار النعمانية) وترجمته في واقعها قصة طالب علم أفنى ردحاً من حياته في تحصيل المعرفة فواجهته في سبيل ذلك مصاعب جمّة قلّما يحتملها إنسان، فارق الأهل وابتعد عن الديار وعانى من شظف العيش وضآلة الرزق ومشقة التنقل والسفر بين المدن والقرى لارتياد مراكز العلم ومحال الشيوخ.

(1)خزانة الخيال، ص 47-48.

ومن خلال هذه الترجمة يمكن معرفة وجوه من النظام التعليمي والتربوي الذي كان سائداً في عصر الكاتب وعلاقة الأساتذة بالطلاب والمصاعب التي كان يتجشمها طلبة العلوم والفنون في العيش والدراسة وصبر الطالب المثابر على كل هذه الآلام، فيكون نفع القارئ لسيرة هذا الأديب هو تحمل الشدائد والمكاره لبلوغ الأهداف السامية وكذلك التعرف بشكل مختصر على الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي عاصرها الكاتب.

أما أسلوب الكاتب في هذه الترجمة فهو السهل المرسل الذي ليس فيه تصنيع أو ترصيع أو سجع، يتناول أمور حياته بشكلها الواقعي ويعرضها على سجيته دون كلفة أو تهويل أو أسراف خيال، فلا يسهب في وصف المواقف التي عاشها وهي قابلة للمط والاتساع ولم يطلق لعاطفته العنان في توشية أفكاره بألفاظ عذبة رقيقة ولعل ثقافته العلمية وتخصصه في علوم الفقه والمنطق والنحو وغيرها جعل نثره يفتقر إلى الفيض العاطفي.

ومما قاله في سيرته:

«اعلم أطال الله بقاك أن مولد الفقير هو سنة خمسين بعد الألف، وسنة تأليف هذا الكتاب هي السنة التاسعة والثمانون بعد الألف، فهذا العمر القليل قد مضى منه تسعة وثلاثون سنة، فانظر لي ما أصاب صاحبه من المصائب والأهوال، ومجمل الأحوال هو أنه لما مضى من أيام الولادة خمس سنين وكنت مشغوفاً باللهو واللعب الذي يتداوله الأطفال، فكنت جالساً يوماً مع صاحب لي ونحن في بعض لعب الصبيان إذا أقبل إليّ المرحوم والدي فقال لي: يابني امض معي إلى المعلم وتعلم الخط والكتابة حتى تبلغ درجة الأعلام فبكيت من هذا الكلام وقلت: هذا شيء لا يكون، فقال لي: إن صاحبك هذا نأخذه معنا ويكون معك يقرأ عند المعلم، فأتى بنا إلى المكتب وأجلسنا فيه فقرأت أنا وصاحبي حروف الهجاء، فأتيت اليوم الآخر إلى والدتي

وقلت لها: ما أريد المكتب بل أريد اللعب مع الصبيان فحدثت والدي فما قبل منها فأيست من قبوله فقلت ينبغي أن أجعل جدّي وجهدي في الفراغ من قراءة الكتب، فما مضت أيام قلائل حتى ختمت القرآن وقرأت كثيراً من القصائد، والأشعار، وفي ذلك الوقت وقد بلغ العمر خمس سنين وستة أشهر.

فلما فرغت من قراءة القرآن جئت إلى والدتي وطلبت منها اللعب مع الصبيان، فأقبل إليّ والدي تغمده الله برحمته وقال لي: يا ولدي خذ كتاب الأمثلة وامض معي إلى رجل يدرسك فيها فبكيت فأراد أهانتي وأخذني إلى رجل أعمى لكنه كان قد أحكم معرفة الأمثلة والبصرويّة وبعض الزنجاني فكان يدرسني وكن أقوده بالعصا وأخدمه وبالغت في خدمته لأجل التدريس، فلما قرأت الأمثلة والبصروية وأردت قراءة الزنجاني انتقلت إلى رجل سيد من أقاربنا كان يحسن الزنجاني والكافية، فقرأت عليه وفي مدة قراءتي عنده كان يأخذني معه كل يوم إلى بستانه ويعطيني منجلاً ويقول لي: يا ولدي حش هذا الحشيش لبهائمنا، فكنت أحش له وهو جالس يتلو عليّ صيغ الصرف والإعلال والأدغام، فإذا فرغت شددت الحشيش حزمة كبيرة وحملته على رأسي إلى بيته، وكان يقول لي: لا تخبر أهلك بهذا. فلما مضى فصل الحشيش وأقبل فصل رود البرسيم فكنت كل يوم أحمل له حزمة من خشب التوت حتى صار رأسي أقرعاً فقال لي والدي: ما لرأسك؟ فقلت: لا أعلم، فداواني حتى رجع شعر رأسي إلى حالته....

وأتينا إلى الحويزة وقد كان أخي قبلي ضيفاً عند رجل من أكابرها ويقرأ في شرح الجامي عند رجل من أفاضلها فتشاركنا في الدرس وبقينا نقرأ عنده في شرح الجاربردي على الشافية، وهذا الأستاذ أيضاً رحمه الله تعالى قد أستخدم علينا كثيراً واسمه الشيخ حسن بن سبتي، وكان قد عيّن على كل واحد منا أنا إذا أردنا الحاجة ومضينا إلى جرف الشط أن يأتي كل

واد منا بصخرتين أو أجرتين من قرب قلعة الترك، فربما ترددنا إلى الشط مراراً وهذا حالنا... وكنا إذا أردنا كتابة حاشية من كتابه ما يأذن لنا، ولكن ربما أخذنا الكتاب سرقة وكتبنا منه بعض الحواشي، وهكذا كان حاله معنا، وكنا راضين بخدمته غاية الرضا لبركات أنفاسه الشريفة في الدرس وكان طاب ثراه حريصاً على الكتب....

وأما بالنسبة إلى المأكل فقد قلنا أننا كنا في بيت رجل من أكابرها وفي أكثر الأوقات كنا نبقى في المدرسة لأجل المباحثة لوقت الظهر فإذا مضينا إلى منزل الرجل وجدناهم فرغوا من الغذاء فنبقى إلى الليل.. وكنا في تلك المدة نطالع على نور القمر، وكنت تعمد حفظ متون الكتب مثل الكافية والشافية والفيه ابن مالك ونحوها، فإذا كانت الليالي مقمرة كنت أطالع وإذا جاءت الليالي السود كنت أكرر قراءة تلك المتون علي ظاهر قلبي حتى لا أنساها، وكان أهل المجلس يجلسون وأنا معهم وكنت أظهر لهم صداع رأسي فأضع رأسي بين ركبتي وأقرأ تلك المتون وهكذا كان حالي....»([1]).

خامساً: الخطب والمواعظ:

احتلت الخطابة مكانة رفيعة في حياة العرب في الجاهلية والإسلام وتطورت تطوراً سريعاً في مطلع القرن الهجري الأول على عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وكانت إحدى الدعائم التي اعتمد عليها الدين الجديد لنشر أفكاره في السلم والحرب فهي فرض في صلاة الجمعة والعيدين ووسيلة التهذيب والتثقيف بالفكر الإسلامي وفي حروب الرسول (صلى الله عليه وسلم) والخلفاء الراشدين لنشر الإسلام كانت الخطابة وسيلة لبعث الحماسة وتحريك الهمم في نفوس المقاتلين المسلمين لدحر قوى الشرك وفي العصر

(1)الترجمة كاملة في الأنوار النعمانية، ج 4/ص 302-326.

الأموي أسهم الصراع السياسي بين الأحزاب التـي شـهدها ذلـك الـعصر في اتسـاع دائـرة الخطابة وازدهارها، وفي العصر العبـاسي إذ هـدأت الأحـوال السياسـية وانتهـت أعـمال الفتوح وعم البلاد رخاء واستقرار برزت الحاجة إلى الخطـب الوعظيـة لتهـذيب الـنفس عن الإغراق في الملذات وتوعية الناس في علوم الدين.

كان خطباء العـرب يعتنـون بتـأليف خطـبهم ويحسـنون صـياغتها ويجملـون ألفاظها لاستمالة السامع وأبطال حجة الخصم وتأليب الناس حول الغاية التي من أجلها يتحدث الخطيب وكانوا يـدركون سـحر البيـان البليـغ في إغـراء النفـوس، ولـذلك كـانوا يسكبون فيها صوراً من الجمال الفني عن طريق الخيال والزينة اللفظيـة فيعمـودن إلى السـجع والأزواج والمقابلـة والتشـبيهات والاسـتعارات والاقتبـاس مـن القـرآن الكـريم والحديث الشريف وتضمين الشعر والأمثال.

وقـد انـحصرت خطـب الأحـوازيين بالمناسـبات الدينيـة والأمـور الوعظيـة والتوجهية ومنها خطبة نور الدين الجزائري في يوم الجمعة، وكان غرضها توجيهاً يدعو مستمعيه إلى التمسك بأهداب الدين والاقتداء بسنة سيد المرسلين، وقـد زينهـا بآيـات من القرآن الكريم والحديث الشريف، واستخدم السجع والاسـتعارة فقـال: «الحمـد لله ذي المجد والجلال، والجود والنوال والعز والجمال، عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال أبدع بقدرته فلكا دواراً، وأوجد بحكمته ليلاً ونهاراً، وهو الذي مـد الأرض وجعـل فيهـا رواسي وأنهاراً، أحمده على مواهب النعم، وموائد الكرم، واستدفاع النقم، وأشـهد أن لا إله إلاّ الـلـه، وأشهد أن محمد رسول الـلـه، خير من وطئ الـحصى، وأشرف مـن أظلتـه السـماء، الهـادي إلى أصـول العقـاد، والموضـح لفصـول القواعـد، صـلى الـلـــه عليـه وآلـه معـادن العلـم والتأويـل، مهـابط الـوحي والتنزيـل مـا زينـت السـماء بنجومهـا، وصينت برجومها، عباد الـلـه أوصيكم ونفـس الخاطئـة بتقـوى الـلــه، الـذي أكـرمكم

بالنعم الكوامـل، والمـنح الشـوامل، وأبـان لكـل نفـس سـبيل هـداها فألهمهـا فجورهـا وتقواها فأطيعوه في أحكامه، ولا تجاوزوا عـن حلالـه وحرامـه، وعلـيكم بعمـل الأبـرار، وطول الاستغفار، ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وصححوا في الأعمال النيات، وأخلصوا فيها الطويات، ولا تفسدوا بالسمعة والرياء ولا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى، وراعوا الأخوان في اللـه، وأقيموا الشهادة لله واجتنبوا قطع الأرحام والعقوق، وأدوا مـن الأموال الحقوق، لازموا الجمعة والجماعات وداوموا على الخـير والطاعـات، ولا يصـدكم عن ذلك أولياء الشياطين، أنهم عن الصراط لناكبون أولئـك الـذين طبـع اللـــه قلـوبهم فهم لا يعقلون....»([1]).

ومن أشـهر خطبـاء المـواعظ العلاّمـة الأديـب محمـد مـؤمن الجزائـري، ومـن خطبـة لـه يقـول: «أيهـا المشـغول بالـذات، المشـغوف بالشـهوات، المنهمـك بالشـبهات المنذهل عن البليات، الغفل عن نزول المصيبات، إن الدنيا محل آفات ومنـزل مخافـات وسجن الأتقياء وجنة الأشقياء كما روى عن سيد الأنبياء (صلى اللـــه عليـه وسـلم) أنـه قال: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر» وهذا الحديث متواتر المعنى عند الأكابر، وقـد ورد في التوراة ما ترجمته إنما الدنيا دار لمن لا دار له، ومال لمن لا مال لـه، وبـه يجمـع من لا عقل له، وبها يفرح من لا يقين له، وعليها يحرص من لا توكل له ويطلب شهواتها من لا معرفة له، فمن أخذ نعمة زائلة حياة منقطعـة وشـهوة فانيـة فقـد ظلـم نفسـه وعصى ربه ونسى آخرته وغرته حياته. يا ابن ادم كم من سراج أطفأته الـريح، وكـم مـن معابد أفسده العجب، وكم مـن فقـير أفسـده الفقـر، وكـم مـن غنـي أفسـده الصـحة، وكم من عالم أفسده العلم، يا بني آدم زارعوني ورابحوني وأسـلفوني وعـاملوني، أربحكـم عندي ما لا عـين رأت ولا أذن سـمعت ولا خطـر عـلى قلـب بشر ولا تنفـذ خزانتـي ولا

(1)فروق اللُّغات، ص 295، 296.

ينقص ملكي، أنا الوهاب ورب الأرباب.. يا ابـن آدم لا تفـرح بـالغنى فلسـت بمخلـد ولا تجزع من الفقر فليس عملك بحتم واجب، ولا تقنط بالبلاء فإن الذهب يجـرب بالنـار، المؤمن يجرب بـالبلاء فـإن الغنـي عزيـز في الـدنيا ذليـل في الآخـرة، وعـز الآخـرة أبقـى وأبهى...»([1]).

سادساً: القصص والحكايات والطرائف:

عرف أدبنا العربي ثلاثة أنواع من القصص والحكايات وهي:

1-القصص الديني: ومصدره الرئيس هو القرآن الكريم وما يـروى عـن الرسـول (صلى اللـه عليه وسلم) وما ينقل عن الديانات السماوية الأخرى.

2- القصص الواقعي: وهو ما حصل للكاتب نفسه أو لغيره برموز حقيقية.

3-القصص الخيالية: وهي نوع من الأساطير والخرافات تـدون لغـرض إشـغال الفراغ والـلـهو.

وظهر في القرن الأول الهجري عدد كبير من القصاصين في مراكـز المـدن وبـلاط الخلفـاء والأمـراء، وكـانوا يـروون قصصـهم في أول أمـرهم مشـافهة، وفي عصر التـدويين ظهرت مجاميع قصصية كبيرة وفي أساليب مختلفة، فمنها ما اعتمد الأسلوب المرسل غير المتكلف ومنها ما اعتمد على أسلوب التصنيع والزخرفة اللفظية، ومنها مـا اعتمـد عـلى فن المقامة.

وقد استهوى الفن القصصي عدداً من الكتّـاب الأحـوازيين فـألفوا فيـه بأنواعـه وأساليبه على اختلافها وكان الأديبـان نعمـة اللـــه الجزائـري ومحمـد مـؤمن الجزائـري أشهر من اختص وصنف فيه.

ومن قصص نعمة اللـه الجزائري قولـه: حـدث مـن أثـق بـه أنـه رأى رجلاً من الأعراب مقطوع الرجل وسأله عن سـببه، فقـل: أني صـاحب إبل وقـد خرجـت يومـاً إلى البريـة وهـي ترعـى وكـان منهـا جمـل هـائج

(1)الخطبة كاملة في خزانة الخيال، ص 403.

مغتلم، فكان باركاً على ناقة فلما رآني أقبل إلى ليعضني وعلمت أنه يقتلني فعدوت عنه وعدى خلفي حتى وصلت إلى شيء كالبئر فألقيت نفسي به ولم يكن به ماء وما كان عميقاً، فجلست فهي وبر الجمل على رأسه حتى إذا أخرجت رأسي منه قتلني، فرأيت وإذا في البئر أفعى سوداء نائمة فقلت: الجمل ما قتلني ولكن هذه الأفعى تقتلني، نظرت إلى عقرب قد خرج من أطراف البئر فدب على رأسها ولسعها فتناثر لحمها، ثم عمد إليَّ ودب على ساقي حتى أتى إلى عمامتي فرفعت رأسي ورقت حتى وصلت عمامتي إلى رأس الجمل، فتحول من رأسي إلى الجمل ولدغه فورم الجمل ومات من ساعته، فخرجت من تلك الحفرة ورفست الجمل برجلي غيضاً عليه فورمت رجلي ثم قطعت بعد أيام»([1]).

ومن طرائفه قال: «وحكى أن رجلاً غريباً جاء إلى قرية وأراد الضيافة من أهلها، فوقفت على باب رجل فخرج إليه صاحب الدار فقال له: أنا رجل غريب أما في هذه القرية رجل يقرى الضيف؟ فقال: نعم، تجاوز هذا الباب فكلهم يقرى الضيف»([2]).

ومن حكايات محمد مؤمن الجزائري قال: «قال بعض السائحين في البراري اجتزت في بعض أسفاري بحي بني عذرة انظر إلى كل جانب نظرة، فنزلت في بعض بيوت الحي فرأيت جارية لم تر مثلها عين حي، قد ألبست من الجمال حلل الكمال فأعجبني حسنه وكلامها وقدها وقوامها فخرجت في بعض الأيام أدور في الحي وإذا أنا بشاب حسن الوجه والزي عليه أثر الوجد والغرام والعشق والهيام أضعف من الهلال وأنحف من الخلال وهو يوقد ناراً تحت قدر بين يديه ويردد أشعاراً ودموعه تجري على خديه، فما حفظت منها قوله:

---

(1)زهر الربيع، ج 2/ص 220.

(2)المصدر السابق، ج2/ص 149.

فلا عنك لي صبر ولا عنك حيلة ... ولا عنك لي بد ولا عنك مهرب
ولي ألف باب قد عرفت طريقها ... ولكن بلا قلب إلى أين تذهب
فلو كان لي قلبان عشت بواحد ... وأفردت قلباً في هواك يعذب

....

فسألت عن الشاب وشأنه وسبب حنينه وأشجانه، فقيل: يهوى الجارية التي كنت نازلاً في بيت أبيها وهي محتجبة عنه منذ أعوام من أجل أنه يهواها، فرجعت إلى البيت وحكيت لها ما رأيت، فقالت ذاك ابن عمي ولأجله حزني وغمي، فقلت لها: يا هذه أن للضيف حرمة فنشدتك بالله إلاّ متعته بنظرة ينظرها إليك، وجلسة يجلسها لديك ويأنس بك ساعة ويتكلم معك بكلمة أو كلمتين.

قالت: صلاح حاله في أن لا يراني ويصبر على غيبتي وهجراني، فحسبت إن امتناعها خسة منها فما زلت أقسمها عليها حتى أظهرت القبول وإنجاح المأمول وهي متكرهة، فلما قبلت ذلك مني، قلت: انجزي الآن وعدك فداك أبي وأمي، فقالت تقدمني ناهضة في أثرك، فأسرعت نحو الغلام وقلت أبشر بحضور من تريد فإنها مقبلة نحوك الآن في هذا المقام فبينما أنا أتكلم معه إذ خرجت من خبائها مقبلة تجر أذيالها، وقد أثارت الريح غبار أقدامها حتى ستر الغبار شخصها ومثالها، فقلت للشاب: ها هي قد أقبلت، فلما نظر إليها صعق وخر على النار بوجهه فما أقعدته إلاّ وقد أخذت النار من صدره ووجه، فتأسفت على حالته واحتراقه بالضرام، وندمت على ما فرط في حق الغلام.

حسب المحبين في الدنيا عذابهم ... والله لأعذبهم بعدها سقر

....

فرجعت الجارية وهي تقول: من لا يطيق مشاهدة غبار نعلنا، فكيف يطيق مطالعة صفحة جمالنا؟»([1]).

ومن طرائف محمد مؤمن قوله: «اشترى رجل داراً فقال للبائع: لو صبرت لاشتريت الذراع بعشرة دراهم.

فقال البائع: لو صبرت لبعت مئة ذراع بدرهم.

وقيل لشيخ فان: ما أحرصك على الدنيا مع بلوغك هذا السن؟ قال: لا عجب فإن الحرص حرفتي التي أزاولها منذ سبعين سنة.

وركب نحوي في سفينة فقال للملاح: أتعرف النحو؟

قال: لا، قال: ويحك ذهب نصف عمرك، فهاجت الريح واضطربت السفينة، فقال الملاح: يا شيخ أتعرف السباحة قال: لا، قال: ويحك ذهب جميع عمرك»([2]).

سابعاً: المناظرات:

نشأت المناظرات الكلامية في النصف الثاني من القرن الأول الهجري بين أصحاب الأحزاب السياسية والدينية المتصارعة آنذاك، وتبلور الخلاف بينها إلى مذاهب فكرية وفقهية، واتسعت دائرة المناظرات الكلامية لتشمل حقولاً أخرى غير الدين والسياسية، كأن تكون بين البهائم أو النباتات أو الآلات وغيرها من الجهات التي في واقع الحال لا تتناظر ولكن الكتاب اخترعوا لها مناظرات.

ومن شروط التفوق في هذه المناظرات الإلمام الواسع في مفردات اللغة وفنونها وآدابها والتبحر في كافة العلوم لكي يكون المناظر قادراً على إسكات الخصم وجذب المناصر فيما يمتلكه من حجج وأدلة توصل إليها بثقافته الرفيعة وبلاغته المتناهية.

(1)خزانة الخيال، ص 445- 446.

(2)المصدر السابق، ص 352.

وبعد أن هدأت جذوة الحماسة بين المتخاصمين من الكلاميين بقيت آثار حوارهم وكتاباتهم على مسيرة النثر في العصور التالية، واتخذ عدد من الناثرين أسلوب المناظرة هواية يعبر فيها عن تصوراته وأحاسيسه وليثبت مقدرته الكتابية والثقافية ما دام فحول الكتاب المتقدمين قد صنفوا بهذا الفن، فلا بد له من مجاراتهم لكي يستكمل شخصيته الكتابية.

ومن أشهر الكتاب الأحوازيين الذين ألفوا في هذا الغرض الأديب محمد مؤمن الجزائري، فقد عقد مناظرات عدة في مؤلفاته منها مناظرة لطيفة بين النجم والطبيب نذكر منها:

«ساقني طول السياحة في طلب العلم إلى ساحة الكمال، ودلني هادي الشوق لتحصيل المعارف إلى مدرس الخيال فرأيت بين النوم واليقظة كأني حللت في قرار مكين، ودخلت روضة كأنها جنة الخلد التي أعدت للمتقين فوجدت محفلاً منيعاً مشحوناً بالخواص والعوام، ومجلساً وسيعاً محفوفاً بأصناف طوائف الأنام وبينهما شيخان يتناظران وبعلمهما يتفاخران، أحدهما منجم فارسي ماهر عنده تقويم واسطرلاب، والآخر طبيب يوناني حاذق بين يديه أدوية وكتاب، وكل منهما يفضل نفسه على صاحبه ويطعن فيه ويذكر نقائصه ومثالبه والناس حولهما مجتمعون وإلى أقوالهم مستمعون، فاقتحمت بين ذلك الجمع وجلست لأسترق السمع، فسمعت هذا يصف النجوم والسماء وذاك يذكر الداء والدواء، وهذا يبين القطب والآفاق وذاك يحقق السم والترياق هذا يوضح كرات الفلك والسماك إلى السمك والثريا إلى الثرى والسهيل إلى السها وذاك يشرح سوء المزاح ودستور العلاج وتشريح الأبدان وأنواع البحران، هذا يبحث عن الآثار العلوية والحوادث السفلية والآفات السماوية، والأحكام النجومية والتأثيرات الفكلية وأحوال الأمصار ونزول الأمطار وذاك يتكلم في الحميات والمسهلات والأسباب والعاملات والمفردات والمركبات والأطلية والضمادات والمعاجين والمفرجات وأنواع الأدوية والأشربة والأغذية. فتناظرا وتشاجرا من كل

باب، حتى أغلظ المنجم في الخطاب وقال: أيها الطبيب الجاهل والمكثار من غير طائل، ما أقل درايتك وأجل غوايتك وأخس صناعتك واخسر بضاعتك، ألم تعلم أنك من دواعي الفوت وخليفة ملك الموت ورسول قابض الرواح، ومفرق النفوس عن الأشباح، وأنك منذر إلى الممات وذئب في جلد الشاة، وظالم في زي مسكين وذابح بغير سكين وعدو في صورة صديق وحشيش يتشبث به الغريق، قد ضاع عمرك في ملاحظة الفضلات والقاذورات، وطال فكرك في تركيب المدرات والمسهلات، هل أنت بمعرفة القارورة تتبختر، أم بقتل نفس بغير حق تتكبر؟ جهلك مركب وحمقك مجرب، تحسب كلام ابن سينا في القانون كالوحي المنزل، وزعم قول ابن زكريا بمنزلة خبر النبي المرسل، وتعد جالينوس في كل ما أخبر به صادقاً، وكفى بك ذماً حديث: الطبيب ضامن ولو كان حاذقاً، فتعسا لجالينوسك وسقراطك وتباوتبا لا سقليوسك وابقراطك، وأنفا لتشخيصك وتدبيرك، وتفا لتجويزك وتقريرك. فلما سمع الطبيب هذا الشهاب التهب غضباً وقال اخسأ أيها المنجم الجاهل، وليبك على عقلك الثواكل، ألم تدر أنك أكذب الناس والخناس الذي يوسوس في صدور الناس، وأنك أبين كذباً من الفجر الأول، وأغلظ حساً من عين الأحول، أخلف في الوعد من عرقوب وأشهر بالكذب من أولاد يعقوب، وأخس طبعاً من ضبع وضبعه، وأنقص قدراً من قيراط وحبة، وكفى بك ذماً خبر كذب المنجمون ورب الكعبة، وما أشبهك بمسيلمة الكذاب، وما أكثر غلطك في الحساب، خطأك أكثر من صوابك، وأثمك أجل من ثوابك، تتقرب بالأكاذيب الأحكام النجومية رجماً بالغيب إلى الأمراء والسلاطين، وقد فسر الشياطين بالمنجمين، وبالرواية المعتبرة عن بعض الفضلاء السلاطين في قوله تعالى: {وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ} وهب أن علم التنجيم معجزة باهرة لنبي كريم إلاّ أنه يحصل كثيره ولا ينفع يسيره، فالموجود منه غير نافع والنافع منه غير موجود

وصاحبه لا ينفك عن أفلاس وأدبار لما يلزمه من تعمد الكذب في الأخبار، فتعساً لزيجك ورصدك، وبعداً لعددك وعددك، وأفا لحسابك، وتفاً لتقويمك واسطر لابك...»([1]).

ثامناً: الإخوانيات:

تختص الرسائل الأخوانية بمعالجة النواحي الوجدانية والصلات الإنسانية بين الأقارب والأحبة والأصدقاء لتطييب الأشجان وتهدئة الخواطر، فيعبر بها عن الشوق والعتب والتهنئة والثناء والعزاء، وهي لا تختلف عن الشعر في هذا الباب إلاّ في الوزن والقافية، ومن رسائلهم الأخوانية ما كتبه الأديب الشيخ محي الدين بن حسين آل أبي جامع إلى صديقه الأديب معتوق ابن شهاب الدين الموسوي سنة ستة عشر بعد المئة والألف.

والرسالة قطعة مصنوعة فيها شيء من التعقيد، تدل على أن كاتبها عمل فكره فيها لتجميلها واختيار ألفاظها وأغرابه في أسلوبه لبيان ثقافته وعلمه باللغة، واعتمد السجع المزدوج وكثف من الاستعارات والتشبيهات ورصعها بالشعر وهي:

مالي سوى عفو يغطي على	عبد عصا مولاه محقوق
فهاك رقا لم يكن رائقا	كم سامح بالرق معتوق

....

معاذاً بالجانب الخطير، وملاذاً بمشكاة الشهاب المنير، فلقد تنأيت فتأنيت([2]) عن مالكي، وقلدت بكبار الذنوب. وعلقت بصغار الغيوب ولست كمن يقول:

(1)المناظرة كاملة في خزانة الخيال، ص 118- 124.

(2)تنائي: بعد. وتتأني: تلبث وتخلف.

كيف تروق مقارضة الأحباب من أريـق منـه مـاء الشـباب؟ وأني يستحن([1])إلى النديم من أضحى مستش الأديـم([2]) لأني في سـابلة الغـرام جذع البصيرة قارح([3])الأقدام. أحفظ نشبي من الخلان كما أحفظ نسبي من الأخوان ولا كالحرون([4]) الذي لا يبرح بـالمخصرة([5])والـركض الهجـين الذي لا يسرح إلاّ بالهمزة والمـخصرة([6])، فـأني كنـت في إنشـاء المكاتـب سليك المقالب، يدعوني ليل الهوجل([7]) ويحدوني صوت الحيعل، مـع أني فهمت من الحواشي القديمة فرض الكتّـاب، وعملـت بـالحواشي الجديـة عرض الجواب، على أني لم أنـس عهـدكم فأحتـاج إلى مـذكر، ولا تغـيرت بعدكم فاهتاج مـن مغـير، وأني لا تلـدد([8])كمـداً بكـم، وأتبلـد([9]) حزنـاً لكـم، وأتيــه كــالحيران ضــل ســبيله وأهــيم كــالحران([10]) غــل غليلــه، وكأم فرخ شببت عن الوكر وراعـى خيـال يسـتطيف([11])بـلا فكـر، لكـن لما رأيت ما أطلب حليف بعد عن الطالب وما أخطب أليف صـد عـن الخاطب يقص الحليم عن أدناه ويحسر العليم قبـل أن يـراه، فـلا غـرو أن طاشت سهامي عـن الغـرض المقصـود، وتهافـت مرامـي دون المـورد

---

(1)استحن: مثل حن: أي طلب الطرب.

(2)الأديم: الجلد. واستش الأديم: أخلق وبلى.

(3)القارح: الذي لم يجرب، ومن الإبل ما استتم الخامسة.

(4)الحرون: الدابة خاص بذات الحافر، وهي التي إذا استدرجها وقفت. القاموس (حرن).

(5)المخصرة: ما يتوكأ عليها أو يساق بها.

(6)المخصرة والمهمزة: جديدة مدببة ينخس بها الفرس.

(7)الهوجل: المفازة البعيدة لا علم فيها.

(8)تلدد: تلبث وتحير.

(9)تبلد: صار بليد ضعيفاً مستكيناً.

(10)الحران: العطشان بيست كبده.

(11)يستطيف: يطرف بالشيء وحوله.

المورود. كيف لا وكتابي أم قائلاً مصقعاً إذا عن الكلام، وهادياً مصدعاً إذا جن الظلام، صيرف اللسان، وصيقل الجنان، ليس بذلك المعنى، بل بكل لفظ ومعنى، ما كل غريب في سمعه بغريب ولا كل عجيب بعينه بعجيب، لا يحرم الإحسان والكرم مجالسه ولا الكم([1]) الحسان مجالسه، تتوقر الخلفاء إذا رأته، وتتحفظ العلماء إذا ارتاته أخف من الهذر في الميزان وأشف من الهجر في البيان، وكلماته قبائح لام اللوم بينها، وعباراته فضائح طرف الذل عينها فعرض للبال الفاتر ما يعرض لدى الرأي الثاقب، وراعي النظر في العواقب، فعزمت أن أتوقف إلى أن أتعرف مرجماً للظنون، مرجحاً بين الشك واليقين كواله لا ينظر قصده، ودالة([2])لا يبصر ورده، وكلافظ دنيا يجتر في حرفها، وحافظ حمقي يحتار في صرفها.

ولعمري، على هذه العلات، وبعدها هاتي المعللات، إن من لا تعد له نفسي لقليل في جنبيه طرسي، وهل أنا ألا أبخل من مادر، إن ألحقت الجناب العاطر بمحض الدفاتر:

ليس في الأقوام أبخل من	ذي هوى أوهى الهوى عنقه
حين يهدى شاحطاً ومقا	لم يطأ سلوانه طرقه
نائباً عن حرف مهجته	رق قول للذي عتقه

....

هذا والعذر عند كرام الناس مقبول، والغفور منك - رضيع المجد - مأمول والمرجو تنبيه العبد على الغفلة، وتوقيفه عند الزلة، ولا زلت للسماحة إماماً وعليك مني أتم السلام، إلى مختتم الأيام والأعواد، بأبائك وأجدادك الكرام:

(1)الكم بالكسر: وعاء عظاء النورة جمعة أكمة وإكمام وكمام.

(2)الدالة من الرجال: الضعيف. والمتدلة: المتحير.

قسماً بالوداد أني لمن	لا تساويك في المودة نفسه
فعزيز على أخ البعد مثلي	أن يرى قبله جنابك طرسه
ليتني في اللقاء قاسمت طرفي	وله يومه وحظي أمسه[1]

....

تاسعاً: الإجازات العلمية:

تقليد علمي درج عليه أساتذة وطلبة العلوم الإسلامية وكانت مختصة في أول أمرها في علم الحديث الشريف، ثم تطورت لتشمل علوماً وفنوناً أخرى، والذي يعنينا من أمر الإجازات العلمية هو أسلوب كتابتها وطريقة عرضها، وهل هي من النثر الفني أم لا؟

الذي يبدو لي أن مسوغ إطلاق صفة الفنية على هذا النوع من النثر هو عناية مانح الإجازة أو كاتبها بصياغتها ورصف عباراتها على نحو يبرز فيه السجايا الحميدة للمجاز ومكانته العلمية، ومن أجل ذلك يدخل الكاتب عناصر التجميل اللفظي في أسلوب الإجازة فيستعين بالسجع والمبالغات والتشبيهات ليكسبها رونقاً جذاباً وقبولاً حسناً لدى القارئ والسامع.

والملاحظ في إجازات الأحوازيين الإسهاب والتطويل، ومنها الإجازة الكبيرة، للعلاّمة السيد عبدالله التستري التي منحها لأربعة من شيوخ الحويزة، ومنها:

بسم الله الرحمن الرحيم، وبعد فيقول الضعيف المعترف بذنبه المفتقر إلى رحمة ربه عبدالله بن نور الدين بي نعمة الله بن عبدالله الحسيني الموسوي التستري غفر الله بفضله ذنوبه وستر عوراته وعيوبه، إن

---

(1)الحالي والعاطل، ص 92-95.

مواهب اللـه تعالى خارجه عن الحصر والتعـداد كـما قـال سبحانه: {وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللـهِ لاَ تُحْصُوهَا} وكان من أجزل فضله عليّ وأتم الخير الذي ساقه عنه إلى أن شرفنـي في هـذا العام بتجديد العهد لصحبة المـولى المقـدس الإمـام المخـدوم الجليـل والحـبر المعظـم النبيـل مسـتجمع المكـارم الفاضـلة والملكات المرضية العادلـة صـاحب المـآثر المتضـاعفة بـالبكرة والأصيل وحائز صنوف المفاخر بـالإجمال والتفضـيل الفاضـل المرشد الكامل شهاب المجد الثاقب ودرى فلك المناقب العـالم النحريـر البـارع في التقريـر والتحريـر الفـالح بالسـهم الأوفى قداحه، الفائق برحيق التحقيق أمداحـه، ذي النظـر السـديد والباع المديد والذهن الوقاد، والطبع النفاذ، والقلـب السـليم والحظ الجسـيم علـم الأعـلام وشـيخ الإسـلام المؤيـد المسـدد الشيخ محمد بن الشيخ كرم اللـه الحـويزي، لا زالـت مرابـع العلم الشريف بوجوده معمـورة، وريـاض الفضـل بسـحائب فيوضـه ممطـورة، والمـولى العـالم، العامـل العـارف المهـذب الأديب الأريب اللبيب، المدقق السعيد المجيد الوحيد، الـزكي، التقي النقي، الرضي الوفي، كهف الحجاج والمعتمـرين، عمـدة الأبـرار، وخلاصـة الأخبـار الأخ في اللــه الشـيخ إبـراهيم بـن الخواجا عبداللـه بن كرم اللـه الحويزي أصلح اللـه أحوالـه وحقـق بفضـله آمالـه. وكـثر في الأوليـاء أمثالـه. وذلـك بعـد تقـادم العهـد وطـول البـين وتـوفر الأشـواق مـن الجـانبين. فاستنارت بهما ساحة أحوالي وأثمرت أغصان آمالي وقر ناظري

قرة عين المهجور بوصل الأحباب وارتاح قلبي ارتياح قلب الشيخ أو أعيد عليه الشباب، فقضينا أيام أنس وأما، وقد عميت عنها عين الزمان نتفاوض في الصحبة من كل باب، واستفيد من بركتها من لب الألباب ملأ الجيب والكم والجراب، وكان كل غداة أسعد عليَّ من صباح العيد، وكل عشي أبرك من ليلة الهاشمية على الرشيد، وعرضت عليهما بعض ما حضر من مسفوراتي مما كان لم يعثروا عليه قديماً، فرأيت من كرم أخلاقهما رغبة في الخوض فيها ونهمته في مطالعتها وتعاطيها فزادني حسن التفاتهما نشاطاً...»([1]).

والإجازة طويلة وفيها يذكر العلوم التي أجازها فيها ومصادر هذه العلوم وترجمة لعدد من حملة هذه العلوم، الإجازة في واقعها كتاب يقع في (150) صفحة.

وهناك إجازة العلاّمة نعمة الله الجزائري للشيخ حسين بن محيي الدين بن عبد اللطيف آل بي جامع([2]).

---

(1)الإجازة الكبيرة لعبدالله، ورقة 1-4، نسخة المكتبة الشوشترية تحت رقم 76/ 113 والمودعة حاليًا في مكتبة المتحف العراقي.
(2)الحالي والعاطل، ص 72.

الفصل الثاني

دراسة لأبرز شعراء النثر

....

نعمة اللـه الجزائري

- اسمه ولقبه:

هو نعمة اللـه بن عبداللـه بن محمد بن حسين الجزائري التستري، ينتهي نسبه بالإمام موسى الكاظم _عليه السلام([1]).

نسب إلى الجزائر، وهي منطقة في بطائح جنوب العراق وغرب الأحواز محاذية لأطراف شط العرب، لأنها مسقط رأسه([2])، ونسب إلى تستر لأنها دار هجرته، ومحل سكنه في النصف الثاني والأخير من عمره ([3]).

- نشأته:

من فضائل هذا الأديب أنه كتب ترجمته لنفسه في نهاية كتابه

---

(1)الإجازة الكبيرة، ورقة 45.

(2)روضات الجنات 8/ 150، كنز الأديب ج1/ ورقة 180.

(3)الأنوار النعمانية (المقدمة).

«الأنوار النعمانية»([1])، وترجم له حفيده الأديب عبدالله نور الدين بن نعمة الله الجزائري التستري في كتابه «الإجازة الكبيرة»([2]).

ومما أفدناه من هاتين الترجمتين، أن نعمة الله الجزائري ولد في سنة خمسين بعد الألف هجرية (1050هـ - 1640م) في قرية الصباغية من قرى الجزائر في شط المدك، ولما مضى من عمره خمس سنين أدخل إلى المكتب، ومنذ ذلك الحين أخذت حياته تتأثر بجهوده لتحصيل العلم، فكان ينتقل من قرية إلى قرية، ومن قصبة إلى قصبة طلباً للدراسة، فقصد قرية كارون ونهر عنتر وشط بني أسد ونهر صالح، ثم مدينة الحويزة والبصرة، وقد بلغ عمره السنة الحادية عشرة([3]). ثم سافر في أول الترعرع إلى شيراز وهي يومئذ دار العلم ومجمع فضلاء الأمصار، ومقصد الطلبة من جميع الأقطار، فنزل في المدرسة المنصورية وكان معظم شيوخها وأساتذتها من البحرين والأحساء والأحواز([4]).

وبقي في شيراز تسع سنين أصابه فيها من الجوع والتعب ما لا يعلم به إلاّ الله، وكان يكتب بالأجرة لمعاشه وكاغده، ويقرأ على ضوء القمر... ثم عاد إلى الجزائر ومكث فيها سنة، فألزمه والداه على الزواج، ثم سافر إلى أصفهان، وهناك تعرف على العلاّمة المجلسي صاحب موسوعة (بحار الأنوار)، فأقام عنده في منزله أربع سنين، واستمر مكوثه في أصفهان ثماني سنين يقرأ ويدرس، بعد ذلك توجه نحو العراق فمكث بضعة أشهر، ثم عاد إلى الجزائر وأخذ في الإرشاد والإفادة حتى دخلت سنة 1078هـ - 1667م، وفيها بعث سلطان الأتراك

---

(1)المصدر نفسه 302/4-326.

(2)الإجازة الكبيرة، ورقة 43-46.

(3)الأنوار النعمانية 307/4.

(4)الإجازة الكبيرة، ورقة 45، روضات الجنات 151/8.

جيشاً جراراً لمحاربة والي البصرة حسين آل أفراسياب، ففرضوا حصار على القرنة، وكان نعمة الله الجزائري من بين المحاصرين، وكلما طلب الإذن من حسين آل أفراسياب للسفر والتخلص من الحصار لم يأذن له لمكانته عنده، وقبل انكسار آل أفراسياب بأيام أذن له بالسفر، فرحل إلى الحويزة واستقبله سلطانها علي بن خلف وأكرمه غاية الإكرام ورحب به والتمسه على السكن في الحويزة، لكنه اختار عليها تستر، فاتخذها دار وطن فتولى فيها مشيخة الإسلام وإمامة الجمعة والجماعة وسائر المناصب الشرعية، وقام ببناء المساجد والمدارس في المدينة المذكورة، ولم تمض مدة حتى صارت تستر تقصد لتحصيل العلم بجهود هذا الأديب الكبير، وهو مداوم على التدريس والتعليم حتى تكمل من تلامذته جماعة وصلوا إلى أعلى مقام من الفضل والعلم.

وكانت بينه وبين سلطان الحويزة علاقة ود ومحبة يرسل إليه السلطان في كل سنة كتابات متعددة يطلب منه القدوم إليه، فإذا قدم عمل معه أفضل الإحسان.

- وفاته:

تشير المصادر التي تناولت سيرة نعمة الله الجزائري إلى أنه توفي في سنة 1112هـ - 1700م في قرية جايدر وهو في أثناء سفر ([1]).

- ثقافته:

ارتبط نعمة الله الجزائري منذ نعومة أظفاره بالعلم والثقافة، «كان واحد عصره في العربية والأدب والفقه والحديث، وأخذ حظه من المعارف الربانية بحثه الأكيد، وكده الحثيث، لم يعهد مثله في كثرة

(1)الأنوار النعمانية (المقدمة)، كنز الأديب، ج 1/ ورقة 180، أعيان الشيعة 22/50، الكني والألقاب 2/ 299.

القراءة على أسانيد الفنون ولا في كسبه الفضائل من أطراف الخزون.. صاحب قلب سليم، ووجه وسيم، وطبع مستقيم، ومؤلفات مليحة، ومستطرفات في السير والآداب والنصيحة، ونوادر غريبة في الغاية، وجواهر من أساطير أهل الرواية»([1]).

وقال حفيده فيه: «كان من مبدأ نشوئه إلى آخر عمره مولعاً بطلب العلم ونشره وترويجه كدوداً لا يفتر عنه ولا يمل، وكان في أسفاره يصطحب ما يقدر عليه من الكتب، فإذا نزلت القافلة وضعها واشتغل بها إلى وقت الرحيل، وربما كان يأخذ الكتاب بيده يطالع فيه وهو راكب في المسير...»([2]).

وكان من شدة ولعه في العلم والمعرفة قد ساح في كثير من البقاع وهو لم يزل صبيًّا وواجه أصنافاً من المشتقات والمصائب في سبيل التحصيل حتى بلغت فيه الحال أنه لم يجد ما يسد به رمقه ويضيء فيه سراجه للمطالعة.. وكان يواجه الحياة القاسية بتصميم عجيب وإرادة عالية وعزم لا يفل، دؤوب مثابر، يزداد تعلقاً وافتتاناً في كتبه، فنبغ في كثير من العلوم والفنون، وصنف في الحديث والتفسير والمنطق والفقه والنحو والأدب، ومعظم مؤلفاته نافعة للناس لأنها تمس حياتهم وتعالج سلوكهم، وتزرع فيه حب الفضيلة والخير.

إن نظرة عاجلة في أحد أجزاء كتابه (الأنوار النعمانية) تجعل من اليسير تصور المكانة الفكرية الرفيعة التي وصلها هذا الأديب، كتب في العقائد والأخلاق والتاريخ والطبيعة والتربية والحيوان وغيرها، وفي كل أمر يتناوله يستقصي أغلب أطرافه، فيتوسع في عرضها ويغور في دقائقها وتفاصيلها على نحو ينم عن ثقافة عالية وإلمام واسع بهذه العلوم.

(1)روضات الجنات، 150/8.

(2)الإجازة الكبيرة، ورقة 43.

أما مصادر ثقافته فهي القرآن الكريم وتفاسيره ودراساته، والحديث الشريف وكتب الأدب واللغة والتاريخ والحكمة والأخلاق وهو ما نجده واضحاً في مؤلفاته.

- شيوخه:

قال حفيده السيد عبدالله بن نور الدين الجزائري في الإجازة الكبيرة: «أخذ العلم أولاً في الجزائر من العلماء الذين كانوا بها، وذكر في بعض حواشيه عدداً منهم كالشيخ قاضي المسلمين يوسف بن محمد بن البناء الجزائري، والفقيه محمد بن سليمان الجزائري، والمحدث فرج الله بن سليمان الجزائري، ثم انتقل إلى الحويزة واشتغل على علمائها وسمى منهم العالم الفاضل الثقة الأديب الشاعر الشيخ حسين بن سبتي الحويزي، وفي شيراز اشتغل على الأستاذ المحقق أبو الولي بن تقي الدين محمد الشيرازي والفاضل إبراهيم بن صدر الدين الشيرازي، والمحدث صالح بن عبد الكريم البحراني وغيرهم، ثم انتقل إلى أصفهان واتصل بمن فيها من العلماء الربانيين، وقرأ عليهم، ثم اختص بالمولى الجليل الثقة العلاّمة محمد باقر بن محمد تقي المجلسي.. فأحله محل الولد البار من الوالد الشفيق الرؤوف والتزمه بضع سنين لا يفارقه ليلاً ولا نهاراً، وكان ممن يستعين بهم في تأليف كتابه بحار الأنوار.. ويخصه من سائر الأصحاب والأتراب بمزيد اللطف والإكرام ويثني عليه في المحافل ويوقره ويرفع منزلته على أقرانه ويحسن الظن فيه جدًّا ويصوب تحقيقاته ويميل إلى ترجيحاته، ثم عاد إلى الجزائر وقد عبأ من كل بحر ونهر وقلب كل فن بطنا لظهر...»[1].

ومن أساتذته السيد هاشم الأحسائي والشيخ جعفر البحراني والشيخ

---

(1)الإجازة الكبيرة، ورقة 46.

عبد علي بن جمعة الحويزي صاحب تفسير نور الثقلين، وعماد الدين اليزدي([1]).

- آثاره:

وذكر المؤلف أغلب مؤلفاته في كتابه (زهر الربيع)([2]) وهذه المؤلفات هي:

1-غاية المرام في شرح تهذيب الأحكام، (ثمانية مجلدات).

2-كشف الأسرار في شر الاستبصار (مجلدان).

3-شرح عوالي اللئالئ.

4-الأنوار النعمانية.

5-نوادر الأخبار (مجلدان).

6-رياض الأبرار في مناقب الأئمة الأطهار. (ثلاث مجلدات).

7-أنيس الفريد شرح كتاب التوحيد.

8-لوامع الأنوار لشرح عيون الأخبار.

9-منبع الحياة في اعتبار قول المجتهدين من الأموات.

10-قاطع اللجاج في شرح الاحتجاج.

11-شرح الصحيفة السجادية.

12-مقامات النجاة.

13-عقود المرجان في حواشي القرآن.

14-الهداية في علم الفقه.

---

(1)زهرة الربيع 233/1، روضات الجنات 151/8، أعيان الشيعة 25/50 الكنى والألقاب 299/2.

(2)زهرة الربيع 2/ 2085-2090.

15-مسكن الشجون في وجوب الفرار من الطاعون.

16-مفتاح اللبيب في شرح تهذيب النحو للبهائي.

17-زهرة الربيع. (مجلدان).

18-حاشية على شرح الجامي في علم النحو.

19-شرح مغني اللبيب.

20-النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين.

وذكر له صاحب الأعيان مؤلفات أخرى([1])زيادة على ما تقدم وهي:

1-شرح توحيد الصدوق.

2-شرح روضة الكافي.

3-رسالة منتهى الطلب في النحو.

4-حواشي نهج البلاغة.

5-حواشي شرح ابن أبي الحديد.

وذكر ناشر كتاب الأنوار النعمانية في مقدمته للكتاب مؤلفات أخرى، وهي([2]):

1-حاشية أمل الآمل.

2-حاشية نقد الرجال.

3-شرح كافية ابن الحاجب.

4-الفوائد النعمانية.

---

(1)أعيان الشيعة 24/50.

(2)الأنوار النعمانية (المقدمة).

- نماذج من نثره:

يعد الأديب نعمة اللـه الجزائري من كبار الكتـاب في عصره لما تميـز بـه مـن كثرة المؤلفات والدراسات وتنوع الأبحاث والموضوعات التي طرقها واستوعب عناصرهـا، واستقصى دقائقها، فلا يقف عند موضـوع ذي بـال تناولـه في الكتابـة إلاّ وضـح معالمـه بصور وافية وعلى نحو يفيد القارئ، وهو في إٍسلوبه قد ابتعد كـل البعـد عـن التصـنيع والزينة اللفظية، فغايته بسط أفكاره بألفاظ واضـحة دون كلفـة أو تنميـق، ولم يشـغل ذهنه بسجع أو ازدواج أو تشبيه أو استعارة، وإنما كان يستعين بالترسل لتوضيح أفكـاره بلغة لينة فصيحة ليس فيها توعر أو التواء، فإذا تجاوزنـا أبحاثـه العلميـة وهـي الأكـثر، وتصفحنا مؤلفاته الأدبية لوجدناها تصب في مجار ثلاثة، وهي:

1-السلوك الرفيع والأخلاق الفاضلة:

رصد الكاتب الظواهر السيئة في المجتمع فخصص قسماً مـن ثقافتـه ومؤلفاتـه في تربيـة الإنسـان وتقـويم أخلاقـه، فعـالج عـدداً مـن الموضـوعات كالحسـد والنميمـة والتبختر والفخر والظلم والكذب وغيرها، وحرص على نشر الفضـيلة والسـلوك السـليم، كالعدل والصبر والصدق والأمانة وغيرها من الفضائل.

فمن ذلك ما كتبه في الحسد:

«اعلم أن الحسد من أعضل الأدواء وأكبر المعاصي وأفسدها للقلب، وكفـى بـه شرًّا إنه أول خطيئة عصي اللـه تعالى بها، وذلـك هـو حسـد إبلـيس لأبينـا آدم _عليـه السلام فاستمرت تلك البلية إلى يوم القيامة، وقد أمر اللـه نبيه بالاستعاذة منـه فقـال: «ومن شر حاسد إذا حسد»، بعد أن اسـتعاذ مـن الشـيطان والسـاحر فأنزلـه منـزلتهما، وقال (صلى اللـه عليه وسلم): (الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطـب)... فـإن ميزان الحاسد أبدا خفيف يثقل ميزان المحسود، والـرزق مقسـوم فـماذا ينفـع الحسـد الحاسد، والحسد يهيج خمسة أشياء:

أحدها: إفساد الطاعات، لما عرب من أنه يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب، والثاني: فعل المعاصي والشرور، والثالث: التعب والغم من غير فائدة بل مع كل وزر، والرابع: الحرمان والخذلان فلا يكد يظفر بمراد ولا ينصر على عدو، وكيف يظفر بمراده، ومراده زوال نعم الله عن عباده، وكيف ينصر على أعدائه وهم عباد الله الذين ساق إليهم النعم لتأهلهم لها،...

فاعلم قد بقي هنا أمور. الأول: حقيقة الحسد: هو انبعاث القوة الشهوية إلى تمني ما للغير أو حاله التي هو عليها وزوالها عن ذلك الغير وهو مستلزم لحركة القوة الغضبية ولذلك قال علي _عليه السلام: (الحاسد مغتاظ على من لا ذنب له)، وقد اتفق العقلاء على أن الحسد مع أنه رذيلة عظيمة للنفس فهو من الأسباب العظيمة لخراب العالم إذا كان الحاسد كثيراً ما يكون حركاته وسعيه في هلاك أرباب الفضائل وأهل الشرف والأموال الذين تقوم بجهودهم عمارة الأرض، إذا لا يتعلق الحسد بغيرهم من أهل الحسنة والفقر.

وأما الغبطة المحمودة فهي أنك لا تتمنى زوال تلك النعمة عنه ولكنك تشتهي لنفسك مثلها كما قال الصادق _عليه السلام: «وانما نغبطكم يا أهل العراق على الأرز»...) ([1]).

وقال في الصبر:

«اعلم وفقك الله تعالى أن القرآن والحديث قد إكثر من مدحه، حتى أنه سبحانه وصف الصابرين بأوصاف، وذكر الصبر في القرآن في نيف وسبعين موضعاً، وأضاف أكثر الخيرات والدرجات إلى الصبر وجعلها ثمرة له، فقال عز وجل: {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا}...

وأعلم أن محامد الأخلاق كلها ترجع إلى الصبر، لكن له اسم بكل

(1)الأنوار النعمانية 3/19-21.

واحد من موارده، فإن كان صبراً عن شهوة البطن والفرج سمي عفة، وإن كان على احتمال مكروه اختلفت أساميه عند الناس باختلاف المكروه الذي عليه الصبر، فإن كان في مصيبة اقتصر على اسم الصبر ويضاده الجزع، وإن كان في احتمال الغنى سمي ضبط النفس ويضاده البطر، وإن كان في حرب ومقاتلة سمي شجاعة ويضاده الجبن، وإن كان في كظم الغيظ والغضب سمي حلماً ويضاده السفه، وإن كان في نائبة من نوائب الزمان سمي سعة الصدر ويضده الضجر والتبرم وضيق الصدر، وإن كان في إخفاء كلام سمي كتمان السر، وإن كان عن فضول العيش سمي زهداً ويضاده الحرص، وإن كان صبراً على قدر يسير من الحظوظ سمي قناعة ويضاده الشره...»([1]).

2-الكتابة عن الطبيعة والحيوان والإنسان:

شغف بعجائب الطبيعة بما فيها من أرض وفضاء ورياح وإجرام وكواكب وشمس وقمر، فوصفها وصفاً أدبياً يعتمد على القرآن الكريم وأقوال الرسول (صلى الله عليه وسلم) والأئمة والصحابة ثم الحكماء والفلاسفة، وتناول غرائز الإنسان والحيوان بأسلوب لطيف. فذكر نزعات كل منها وميوليه في الخير والشر وحب البقاء والتكاثر وغيرها.

ومن ذلك قوله في تربية الهرة أولادها:

«... فإذا وضعت اشتدت بها الحراسة للخوف عليهم - يعني أولادها - فشرعت تنقلهم من مكان إلى مكان ما داموا لم يفتحوا أعينهم، فإذا فتحوا وأمنوا من الشرور شرعت في تعليمهم أنواع العلوم وتربيهم ألطف تربية، فأول ما تعلمهم الحذر من الناس إذا لم تكن من أهل البيت بل كانت ضيفاً على أهله، فمن رأته انهزمت من بين يديه مع

---

(1)المصدر نفسه 3/198-199.

أنها ما كانت تعتاد الهزيمة وإنما ذلك تعليماً لفراخها خوفاً عليهم من أخذ الصبيان فيتقنون علم الحذر والفرار من الناس، وفي المثل أحذر من الغراب، لأنه قال لولده: إذا رأيت من أخذ بيده حجراً فطر من بين يديه، فقال: يا أبتا أطير عنه قبل أن ينحني لأخذ الحجر، ثم تعلم أولادها علم السؤال والطلب وهو علم عريض طويل. حدثني شيخنا صاحب التفسير الموسوم بنور الثقلين في شيراز في منزله الواقع بجوار المساجد الجامع، إن علم السؤال والطلب يشتمل على اثني عشر مقاماً يشمل كل على اثني عشر ثم فصل المقامات والشعب تفصيلاً غريباً موافقاً للواقع والوجدان، ولو أن أهل السؤال اطلعوا على بعض تلك المقامات وعرفوا شيئاً من تلك الشعب لاستغنوا في زمن قليل.

والحاصل أنها تأتي بأفراخها وتبسط يديها على الأرض مثل الأسد، لأنها خلقت من عطسته في السفينة لما كثر الفأر وأفسد حبال السفينة، يكون جلوسها بناحية عن الآكلين لذلك الطعام، فترقق قلوبهم على إعطائها أولاً بالسكوت، وذلك أن السكوت تارة يرقق قلوب الناس وأخرى يحملهم على قضاء الحاجة تنفراً واستكراهاً من جلوسه، وهذا السكوت من أعظم الأسباب لقضاء الحوائج..... فإذا قضت الهرة حاجتها بالجلوس المشتمل على الأدب والسكوت فذاك المطلوب، وإن رأت التغافل عنها تدرجت على أخبارهم والطلب بالصياح ميوميو قليلاً، ثم تسكت ثم تصوت، فإن استمروا على التغافل صرخت بعالي صوتها كما هو طريقة العارفين بأدب السؤال من المكادي، وإن استمر منهم الأعراض عنها قدمت على السرقة وأحالت الحيل فيه حتى تقع على مطلوبها، فإذا سرقت شيئاً أمعنت في الهرب لأنها عارفة بأنه حرام تعاقب عليه.

كان في بلادنا رجل من الأفاضل فسأله رجل يوماً عن الحلال والحرام وطال الكلام حتى قال لسائل: إن الهرة تفرق بين الحلال والحرام وأنتم لا تميزون بينهما، فقال له السائل: وكيف هو؟ فقال: إنها

إذا أعطيت قطعة من الخبز أكلته في مكانها، وإذا أخذتها سرقة هربت بها كما يهرب السارق.

أقول: ثم إذا لم تمكنها الفرصة شرعت في الاختلاس والغارة فتغافل الآكل حتى تثب على الطعام، وربما وثبت فأخذت اللقمة من يد الآكل، وهذا كله تعليم لأولادها كيفية طلب المعاش وتحصيلاً لقوتها....»([1]).

- الحكايات والطرائف:

أفرد لها في كتابه «زهرة الربيع» بجزئية، وهذا الحكايات حصلت حقيقة في عصر المؤلف فشاهدها بنفسه أو نقلت إليه، ومنها ما نقله من كتب المتقدمين بأسلوبه الخاص أو نقله حرفيًّا، وفي مقدمة كتابه المذكور، ذكر سبب تأليفه فقال: «لما فرغت من آخر مؤلفاتي كتاب مقامات النجاة، وكتاب مسكن الشجون في حكم الفرار من الطاعون، نظرت قول الصادق المصدق: «إن الأرواح تكل كما تكل الأبدان، فابتغوا لها ظرائف الحكمة». وما روى عن أمير المؤمنين إن للقلوب إقبالاً وأدباراً، فإذا أقبلت فأقبلوا على النوافل وإذا أدبرت فدعوها. وما روى عن رئيس المفسرين عبدالله بن عباس أنه كان إذا فرغ من التدريس ورواية الحديث يقول لتلاميذه: حمضوناً حمضوناً، فيخوضون عند ذاك في الأخبار والأشعار والطرائف والحكم، فأردت أن أضع كتاباً مختصراً يروح الخاطر عند الملال، ويشحذ الأذهان عند عروض الكلال، متضمناً للظرائف الرقيقة والطرائف الأنيقة والأشعار الفائقة والحكم الرائقة والأخبار الغريبة والآثار العجيبة، كربيع الأبرار للزمخشري والكشكول لبهاء الملة والدين للعاملي، وإن كنا قد ذكرنا فصلاً وافياً منه في المجلد

(1)زهر الربيع 134/1-135.

الثاني من كتاب الأنوار ونبذاً منه في مقامات النجاة وكتاب مسكن الشجون لأنها منقسمة على ما فيها من الأبواب والفنون وسميناه زهر الربيع لما فيه من المقال البديع، ورتبناه على فصول وأبواب وحررنا فيه كثيراً من فنون الآداب»([1]).

ومن الطرائف التي وردت في هذا الكتاب: «أخبرني من أثق به أن رجلاً من أهل جيلان أمسى عليه الليل وضاف عند رجل منهم، فلما جلس عنده قليلاً قال له صاحب الدار: إن كان عندك شيء من المال فحله من حزامك وأودعه زوجتي إلى غد لعلك تخرج ليلاً لقضاء الحاجة، ونخف عليك من ملاقاة اللصوص، فحل هميانه وكان فيه أربعمائة محمدية، فما وضعه عند المرأة خرج لقضاء الحاجة، فما أقبل سمع الرجل يقول لامرأته: أنا نريد أن نزوج ولدنا فلاناً، وكان المانع الخرج، فهلمي أن نقتل هذا الرجل ونأخذ هذه الدراهم لزواج الولد، فاتفقا على ذلك، فعمدا إلى بيت ينام فيه الضيف، وفرشا له فرشاً ووسادة، فما مضى من الليل مقدار خرج الرجل من ذلك البيت وصعد إلى السطح حذراً من القتل وللنظر إلى ما يصنعون، ثم أن ولده كان عند رجل من الجيران فأتى أهله، فما وصل إلى بيت الضيافة رأى فرشاً وسراجاً وكان قد أخذه النوم فنام على ذلك الفراش فلما اتصف الليل أتى الرجل زوجته، فأرسلا رجلاً من خارج البيت وأطفأ السراج، ودخلا وفي يد كل واحد منهما منجل عريض فتوارداه على رأسه حتى مات، فقطعاه في الليل ورموه في بئر لهم وهم يعلمون أنه الضيف، فلما طلع الفجر، عمد إلى رئيس تلك المحلة وقال له: امض معي مع جماعة حتى أوقفك على أمر غريب، فأتوا معه إلى باب ذلك الرجل، فطرق الباب وخرج الرجل ورأى الضيف فتعجب، فقال له الضيف: أعطني دراهمي، فدخل على زوجته

(1)زهر الربيع، ج1، ص 2.

وقال: أن الذي قتلناه ليلاً جاء هذا الوقت، ولا أظنه إلاّ من الجن، فاخرجي له دراهمه، فلما قبضها حكى الحكاية كلها لرئيس المحلة فعمدوا إلى البئر وأخرجوا قطع المقتول، وإذا هو ولدهم الذي عزما على زواجه من تلك الدراهم، ومن حفر بئراً لأخيه أوقعه الله فيه...»([1]).

ومن طرائفه: «اجتمع محدث ونصراني في سفينة فصب النصراني من زق كان معه وشرب، ثم ناولها المحدث فتناولها من غير فكر ومبالاة، فقال: النصراني وإنما هي خمر، قال: من أين علمت ذلك؟ قال: اشتراها غلامي من يهودي، فشربها المحدث على عجل وقال للنصراني، ما رأيت أحمق منك، نحن أصحاب الحديث نتكلم في مثل سفيان وعيينه ويزيد ابن هارون، أفتصدق نصرانيًّا عن غلامه عن يهودي؟ والله ما شربتها إلاّ لضعف الإسناد»([2]).

فتح الله بن علوان الكعبي القباني الدورقي

- اسمه ولقبه:

هو أبو علي جمال الدين فتح الله بن الشيخ علوان بن الشيخ بشار بن الشيخ محمد بن الشيخ عبد الحسين الكعبي نسبا، القباني الدورقي مولداً ومنشأ ([3]).

نسب إلى مدينة قبان لأنها مسقط رأسه، ونسب إلى مقاطعة الدورق الواقعة في جنوب غربي الأحواز لأنها موطن قبيلة كعب([4]).

(1)زهر الربيع 2/218-219.

(2)زهر الربيع 2/205.

(3)زاد المسافر، ص 3، أعيان الشيعة 42/260.

(4)قلائد الغيد، ص: ب، ز.

- حياته:

ولد سنة 1053هـ- 1643م في مدينة قبان موطن قبيلة كعب في جنوب غرب إقليم الأحواز يوم كانت قبيلته وممتلكاتها تابعة للإمارة الأفراسيابية في ولاية البصرة، وكان أبوه من وجهاء كعب ورجال العلم فيها، فنشأ تحت رعايته وعنى بتثقيفه وتعليمه في وقت مبكر من عمره وقام بعدة رحلات لطلب العلم.

وفي منتصف العقد الثالث من عمره تولى قضاء البصرة مدة، فرأى القضاء مخلاً في دينه، فعافه ورجع إلى القبان. وكانت تربطه علاقة وثيقة بأمراء الحويزة وعلمائها وأعيانها، وكان يشاركهم بأفراحهم وأتراحهم ومجالسهم الأدبية والعلمية، وله مدائح ومراث فيهم([1]).

- وفاته:

توفي سنة 1130هـ- 1718م([2]).

- ثقافته:

بدأ تعليمه في وقت مبكر من عمره في مدينة قبان، وفي عمر الترعرع شد الرجال لغرض التزود بالعلم، فقصد البصرة والحويزة وشيراز وحصل على معارف جمة في النحو واللغة والأدب والفقه وتتلمذ على كبار شيوخ زمانه وأساتذة عصره، ثم استقر في وطنه قبان يتصدر حلقات التدريس ومجالس الإفتاء، ويشارك العلماء والمفكرين في ندواتهم، فعرفوا له هذه المنزلة وأشادوا به وأثنوا على مقامه، فقال الأديب عبدالله التستري: «كان عالماً أديباً وقوراً حسن التصنيف ذكرته

---

(1)زاد المسافر، ص 6، 7، 348. قلائد الغيد: ص ز، الإجازة الكبيرة، ورقة 99، 100.

(2)أعيان الشيعة 42/ 260، معجم المؤلفين 52/8.

في تذييل السلافة بفقرات منها: ذو باع في الأدب مديد، ونظر في إدراك اللطائف حديد، وفهم في مواضع النكات سديد، وكد في اقتناص المعارف شديد، ويد تلعب بالمعاني لعب الراح بالعقول، وذهن انطبع فيه فنون المعقول والمنقول...»([1]).

- شيوخه:

اشتغل على عدد كبير من الشيوخ والأساتذة، فأخذ الصرف والنحو عن العلاّمة نعمة الله الجزائري والشيخ حسن بن محمد الجزائري والشيخ محمد بن عبد الحسين الجزائري، وأخذ العروض عن الشيخ أحمد المدني وأخذ العربية عن السيد عزيز الجزائري بن عم السيد نعمة الله الجزائري، والمنطق عن ميرزا علي رضا وأبي الولي الشيرازي، وأصول الفقه والحديث ومعرفة الرجال عن السيد نسيمي، واشتغل على أبيه في علم الكلام والفقه وبعض الحديث([2]).

- آثاره:

1-الدرر البهية في شرح الأجرومية في النحو.

2-شرح الفتوحات في المنطق.

3-رسالة في العرض.

4-رسالة في سبب الخلف والخلافة.

5-رسالة في القراءة.

6-شرح شواهد قطر الندي.

---

(1)الإجازة الكبيرة، ورقة 100، وينظر أيضا: أعيان الشيعة 260/42.

(2)زاد المسافر، ص2، تاريخ الأدب العربي في العراق 124/2.

7-زاد المسافر([1]).

8-تحفة الأخوان في فقه الصلاة.

9-رسالة في التجويد.

10-الإجادة في شرح القلادة، وهي في شرح قصيدة السيد علي بن باليل الموسومة بالقلادة ومطلعها.

ردّى عليّ رقادي أيها الرود   عليّ آراك به والبين مفقود

....

سلك فيها مسلك الصفدي في شرح لامية العجم للطغرائي([2]).

ومع كثرة مؤلفات هذا الأديب، إلاّ أننا لم نقف إلاّ على كتاب واحد وهو زاد المسافر الذي طبع في سنة 1924م. وهذا الكتاب يتضمن مقامه في حوادث البصرة عام 1078هـ- 1667م، وقد تقدمت شواهد منها في الفصل السابق.

الحكيم الجزائري

- اسمه ولقبه:

هو محمد مؤمن بن محمد قاسم بن محمد ناصر بن محمد الجزائري أصلاً ومحتداً، الشيرازي منشأً ومولداً ([3])، لقب بالحكيم من قبل ملك الدكن اعترافاً بفضله في الطب والعلوم الأخرى([4])، ولقب بالجزائري لانحداره من جزائر الأحواز المحاذية لشط العرب([5]).

---

(1)ذكرها ناشر كتاب زاد المسافر في مقدمته، ص 4.

(2)أعيان الشيعة 260/42.

(3)خزانة الخيال، ص 2، 206.

(4)المصدر السابق، ص 191.

(5)أعيان الشيعة 263/7، 90/9، أدب الطف 138/5.

- حياته:

ولد في ضحى السبت سابع عشر رجب من سنة أربع وسبعين وألف للهجرة (1074هـ- 1663م)([1]) في مدينة شيراز لأسرة عربية قدمت من جزائر الأحواز لأسباب مجهولة، ويرجح أن يكون الدافع علميًّا، خاصة إذا علمنا أن والده من رجال العلم الذين يقومون في مهمة التدريس في تلك الديار، زيادة على ذلك أن وجود العرب في مدينة شيراز كان أمراً مألوفاً آنذاك لغرض التجارة والدراسة لقربها من سواحل الخليج العربي وجنوب العراق والأحواز.

ومما يسهل معرفة سيرة هذا الأديب أنه كان يذكر لمحاً من حياته في أثناء كتاباته، وفي ضوء ما كتبه عن نفسه نستخلص أن حياة الأديب محمد مؤمن الجزائري مرت بمرحلتين.

المرحلة الأولى: وهي المرحلة التي قضاها في مدينة شيراز وتقع بين عامي 1074- 1102هـ/ 1663- 1690م عاشها على أحسن ما يكون من رخاء ويسر وراحة بال، وكان فيها موسراً، ثم بعد ذلك كاد له الزمان وقلب له ظهر المجن فتعثرت حياته في مسقط رأسه وذهبت أمواله واستحال فقيراً حتى اضطر أخيراً إلى الرحيل هرباً من الفاقة، فقصد بلاد الهند. أشار إلى هذه الأمور في مقدمة كتابه (طيف الخيال في مناظرة العلم والمال)، فقال: «... فنشأت والوقت معين وماء الشبيبة معين، ونشر البشر فائح، ونور الهناء لائح، والحبيب مجيب، والرقيب غير قريب، وغصن الصبا رطيب، ومطرق الظرف قشيب، والفؤاد عن نار الشباب عربيب([2])، عشت زمناً محظوظاً بالثراء محفوفاً باليسر والرخاء، في أمر مطاع، ورحابة باع، ولم أشعر ألا وأفنت الحدثان مالي، ونفد

(1)أدب الطف 138/5.

(2)عربيب: الصافي أو النشاط، القاموس: عرب.

بالحوادث جميع مالي، فغر النبع، ويبس المرتع، وراح التراحة، وصفرت الراحة، وتقفـرت الساحة، واستحال الحال وأعول العيال، وخلت المرابط، ودق بها الغابط، وتلف النـاطق والضـامن، ورثـاني الحاسـد والشـامت، وبـت محسـوراً بعـد مـا كنـت محسـوداً، وعـدم موجودي فصرت حيًّا من الأموات معدوداً... فغربت في الأسفار والسياحة، لأستهب مـن مهاب اليسر رياحة، ظناً مني أن السفر ينـتج الظفـر، فوهبـت زاويـة البيـت لعناكبهـا، واستخرت بقوله تعالى: «فامشوا في مناكبها» وشددت الرحال، وتهيأت للترحال....»([1]).

المرحلة الثانية: قضاها في بلاد الهند وتقـع بـين عـامي 1102-1130هــ/1690-1717م عاشها في ظل ملـوك الـدكن المسـلمين، وأن وصـوله إلى عتبـة السـلاطين لم يـأت بسهولة، وإنما بعد جهد جهيد وسعي صعب ويشير إلى هذه المرحلة من عمره في بضـع صفحات من كتابه خزانة الخيال فيقول:

«وأما مجمـل أحـوالي ومخـتصر أهـوالي، فهـو أني احتملـت في الهنـد شـدائد لا تحملها متون الجبال، وكل تلك النكاية والشكاية والعسرة والحسرة، إنما كانـت في أوائـل دخولي في الهند.... فما تبين عند الملك حالي، أكرمني ساعتئذ بالتشريف، ولم يمـاطلني في عطاء المنصب بالتشويق والتسويف.... وأمر لي بجائزة... وولاني طبابة أعز أحفاده الولد الخلف لأكبر أولاده السلطان الباذل المتوكل على اللـه محمد معز الدين جهان دارشـاه بهادر الغازي في سـبيل اللــه... وكلـما زدت في خدمتـه زودني جـائزة وزاد... ولم أزل في جناب جوازئه أغدو وأروح، وأتروح بنشـوة مكالمتـة في غبـوق وصـبوح... فطبـت نفسـا بنعمتي الغنى والرفاه حتـى نسـيت الأهـل والأوطـان، وملئـت عجبـاً بقـرب السـلطان

---

(1)طيف الخيال في مناظرة العلم والمال، ورقة 1-10.

والجاه... وبالجملة صت محسود الأقران، ومقصود الأعيان، وصارت تصورات الآمال والأماني مقرونة بتصديقات التأييد الرباني، وخرجت من مضيق فقري وذلي، وظل الغنى والعز أتبع من ظلي، حتى لم يبق لي في الهند مأرب، ولا في الإقامة بها مرغب، وليس طلب الزيادة إلاّ الاعتداء والله لا يحب المعتدين، ونعم الرزق الكفاف، نعم الكنز القناعة، والله خير الرازقين، على أني لم أزل من بلية الغربة في بكاء وحنين، ومن طول فرقة الأحبة في محنة وأنين، وما أفعل بالمنصب وغير المنصب مع البعد عن الأهل والأوطان... وأي انتفاع من جمع الألوف مع فراق الألوف، وبعد الوطن المألوف... فمن يضمن لي أن يرضى السلطان، بترخيص منه للعود إلى الأوطان... وقد التمست من جنابه العالي مراراً، واستأذنت سابقاً في الانصراف طوراً، فأجبرني على المقام شئت أو أبيت، وخصني بجزيل الإنعام وبه تسليت، وأطعت أمره المطاع على استحياء، وأقمت وفي القلب المهجور أشياء... والحاصل عزمت وأبت المقادير، ونويت وعرضت المعاذير، وكم صرفت الهمة والعزيمة، وعقدت النية والرتيمة([1])، وحرمت عن العود إلى الوطن المرغوب، وأعدت وعادت عوادي بيننا وخطوب... وقبلت المحنة الموجودة للراحة المفقودة، وتعب النفس المعلوم لخفض العيش المعدوم، فأي فائدة في الوصول إلى الأوطان، مع عدم البقاء الأهل والأولاد والأخوان، والأحبة والرفقاء والجيران، إلى تلك الآوان، مع أنه نعيت بموت أكثر أعزة عشيرتي الأقربين في مدة إقامتي بالهند وهي بضع عشر سنين....»([2]).

---

(1)الرتيمة: جمع أرتم. خيط يعقد في الإصبع للتذكير: القاموس / رتم.

(2)خزانة الخيال، ص 185-193.

- وفاته:

ورد اختلاف في سنة وفاته، ففي إيضاح المكنون ومعجم المؤلفين، أن وفاته هي سنة 1118هـ([1])، والمرجع ما ذكره صاحب أعيان الشيعة وأدب الطف، أن وفاته هي سنة 1130هـ- 1717م([2])، لأنه فرغ من تأليف كتابه خزانة الخيال سنة 1130هـ، كما نص على ذلك المؤلف نفسه نهاية الكتاب([3]).

- ثقافته:

نشأ محمد مؤمن في أسرة علمية وكان والده من أصحاب الفضيلة وشيوخ العلم وله مؤلفات وتصانيف. فترعرع الابن في أحضان العلم وفي وقت مبكر من عمره أخذ في أسباب المعرفة وتتلمذ على عدد كبير من الشيوخ والأساتذة في مدينة شيراز، وكان يمتلك استعداداً فطريًّا وقدرة فائقة على استيعاب العلوم والفنون، وفي بداية شبابه تجلت عناصر نبوغه وبدأت تظهر مؤلفاته، فصنف في الفقه والأصول والحديث والتفسير والكلام والأدب والتاريخ والتراجم والطب والحكمة وغيرها.

وعرف عدد كبير من العلماء والأعيان مكانته العلمية وشهدوا بفضله، فقره ملك الدكن وجعله من خاصته طيلة حياته في الهند ومنحه لقب (حكيم الممالك) تقدير لمهارته في الطب والحكمة والعلوم الأخرى([4]).

وقال العلاّمة الحر العاملي مشيداً به: «كان أديباً منشئاً محققاً مدققاً فاضلاً كاملاً»([5]).

(1)إيضاح المكنون 322/1، معجم المؤلفين 69/12.

(2)أعيان الشيعة 212/46، أدب الطف 139/5.

(3)خزانة الخيال، ص 634.

(4)المصدر السابق، ص 192.

(5)أمل الآمل، ج2، ص 299.

وقال الشيخ أحمد الشرواني اليمني فيه: «أديب ماهر سيف ذهنه باتر، حكيم حاذق، ثاقب فهمه، كاشف عن دقائق الحكمة والحقائق، حاز حظاً وافراً من الكمالات وحير الأفكار بما أبدع في صناعة السرقات، مجاميعه كنوز الفوائد، ومضامن رسائله فرائد»([1]).

وقال العلاّمة محسن الأمين العاملي: فيه: «كان من العلماء العرفاء والأدباء البارعين»([2]) .

إن الحديث عن معالم هذا الأديب الثقافية لا يمكن أن يتحدد ببضعة سطور أو ورقات، وإنما يحتاج إلى دراسة مفصلة تتناسب مع مقامه الرفيع في العلم والأدب.

- شيوخه:

ذكر ناشر كتابه خزانة الخيال: أنه قرأ النحو والعربية والفقه والحديث والتفسير على السيد محمد قاسم بن خير الله الحسني الحسيني، واللغة وفروع الفقه والأصول على زين العابدين الحائري الأنصاري والشيخ علي بن محمد التمامي والشيخ صالح بن عبد الكريم البحراني، وقرأ الحكمة والكلام وشيئاً من التفسير على المولى مسيح الزمان محمد بن محمد إسماعيل الفسوي والمولى شاه الأصطباناتي، والفنون، والرياضة والرمل على الشيخ لطيف، وبعض الفنون الكمية على شرف الدين علي ونصير الدين محمد البيضاوي والمولى محمد صالح الخفري، وأخذ الطب عن الحكيم محمد هادي، وذكر أن من مشايخه العلاّمة كمال الدين الفسائي صاحب شرح الشافية الصرفية لابن الحاجب([3]).

---

(1)حدائق الأفراح، ص 172.

(2)أعيان الشيعة، ج 46، ص 212.

(3)مقدمة خزانة الخيال، ص 6-7.

- آثاره:

ذكر أثاره ناشر كتابه خزانة الخيال في مقدمته للكتاب وهي:

1-بيان الآداب في شرح آداب المتعلمين.

2-قرة العين وسبيكة اللجين في شرح بعض الآيات والأحاديث المشكلة والمسائل العلمية.

3-وسلة الغريب.

4-تحفة الأخوان في تحقيق المذاهب والأديان.

5-تحفة الغريب ونخبة الطبيب في شرح كتاب قانونجا في الطب.

6-تحفة الأحبار، على نمط الكشكول للبهائي.

7-تميمة الفؤاد من ألم البعاد في اللطائف والأشعار.

8-جنات عدن في الفنون.

9-مشرق السعدين في تأويل الآيات المشكلة والأحايث المفصلة.

10-مجمع البحرين.

11-ثمرة الفؤاد وسمر البعاد.

12-ثمرة الحياة وذخيرة الممات في الحديث.

13-محاسن الأخبار ومجالس الأخيار (في (7) مجلدات).

14-جنات الفردوس في المصطلحات العلمية على نمط التعريفات للشريف الجرجاني.

15-طرب المجالس في اللطائف والفكاهات.

16-زينة المجالس.

17-مادة الحياة في حل بعض الآيات.

18-مدينة العلم.

19-طيف الخيال في مناظرة العلم والمال.

20-تعبير طيف الخيال.

21-خزانة الخيال.

22-جامع المسائل النحوية في شرح الصمدية.

23-الدر المنثور.

24-مصابح المبتدئين في النحو.

25-مشكاة العقول.

26-شرح مقامات الحريري.

27-التعليقة على أصول الكافي.

28-التعليقة على الشرائع.

29-شرح نهج البلاغة.

30-شرح الصحيفة الكاملة السجادية.

31-ديوان شعر.

32-مقامات العارفين في شرح منازل السائرين.

33-ما نزل من القرآن في شأن أمير المؤمنين علي.

34-منية اللبيب في مناظرة المنجم والطبيب.

35-تحفة الأطباء.

36-أسماء الكواكب المشعشعية.

37-التعليقة على تفسير أنوار التنزيل للقاضي البيضاوي([1]).

---

(1)مقدمة خزانة الخيال، ص 11-14.

- نماذج من نثره:

يعد محمد مـؤمن الجزائـري مـن عبـاقرة الكتـاب والمـؤلفين، لغـزارة مؤلفاتـه وخصوبة إنشائه وحسن تناوله للموضوعات، استوعب قواعد النثر العربي في أزهى أيامه فلم يتأخر عنها ولم يقلدها تقليداً مشوهاً، بـل رقـى إلى أجـل مراتبهـا وسـار بمحاذاتهـا، وحدد منهجه النثري بالفقرة التالية فقال: «يقول منشىء هذه الأساليب ومـنشىء هـذه الأعاجيب ومخترع هذه القوانين ومبتدع هذه الأفانين: إن من أبدع فنون البلاغة: سوق الكلام على الأساليب الغريبة، والانتقـالات البديعيـة مـن فـن إلى فـن، ومـن صـنف إلى صنف، ولتسمى بالواسطات وهي في عرف البلغاء والخطبـاء والأدبـاء أن يـزين المـتكلم أوساط كلامه، أو يعقب ما يستحق الكلام لأجله بدرر النظم وغرر النثر وإيـراد النـوادر الشريفة والملح الطريفة والتمثيليات المنيفة، كما يـزين نـاظم العقـد الثمـين بالواسـطة المتقومة وشاحه، وذلك بـين بيـان الأحـوال وشـدائد الأهـوال، ونوائـب الزمـان وشـكاية الأخوان، بالإنشاء والإنشاد والتمثيل والاستشـهاد كـالفص الملـون في الختـام المـثمن، ولا بأس بالأطناب وتطويل الكتاب فإن السحر الحلال لا يوجب الملال، والمعنى البـديع غـير ممل والفحوى المنيع غير مخل، ولا سيما في الأمر المرغوب، وطول الكـلام مـع المحبـوب محبوب...»([1]).

والذي نستخلصه مـن هـذه القطعـة أن محمـد مـؤمن مـن أصـحاب مـذهب التصنيع، يحفل بالصناعة اللفظية والزخرفة البديعية، ويـرى أن الكاتـب لا بـد أن يميـز بالمرونة والحيوية فينتقل في كتابه بين مختلف الموضوعات، ويرى ضرورة، تزيين وتنميق الموضوع الواحد وأن المبالغة في الصناعة تضفي على الأسلوب رونقاً خاصاً يزيد في تأثيره وقبوله لدى القارىء والسامع.

(1)خزانة الخيال، ص 181.

كتب في أغراض وفنون متنوعة، فأبدع في الوصف والمناظرات والتصورات والأخلاق والنصائح والحكم والأخوانيات والأمثال والحكايات والطرائف، وكان في معظم ما كتب غزيراً في تعبيره، متألقاً في تصويره، طويل النفس، لا تعيقه الصناعة عن الاسترسال والإحاطة بأطراف الموضوع.

ومن نثره في وصف الربيع:

«بينما كنت في عنفوان الآوان، ومستهل الشباب الذي بمنزلة ربيع الزمان، حين كان ليل الصبا مظلماً غاسقاً، وشجر الهوى راسخاً باسقاً، وشيطان الشوق متمرداً، وسلطان الصبوة متقلداً وأغصان العيش ناظرة، وراحات الروح حاضرة، تنزه مع جمع من أخوان الصفا، ورهط من خلان الوفا، بالمسير كل يوم من تبسم الصباح، إلى تنسم الرواح... نتفكه بطريق الارتياض، منزهات تلك الرياض، فنلتقط من كل روض، ونعترف من كل حوض ونجتني من كل غصن أزهاره، ونقتطف من كل فنن أثماره، ونتبع خضراء كل دمن، ونتعجب من هناء العيش والزمن، حيث كان العالم في الحلة الربيعية والخلة الطبيعية إذ وصلنا يوماً بمسانحة السعود، ومسامحة الجدود، إلى زهر جنان، وأبهر بستان أنزه وأظرف، يسمى بالمشرف، فلما نظرنا إلى ما فيه من الخضر، وأنواع الرياحين والثمر، قلنا: كذبت الزنادقة، وما هم بصادقة، وخذلت الملاحدة الدهريون، والفلاسفة الطبيعيون حيث قالوا: هذه الصنائع البدائع من نتائج أمهات الطبائع، وآثار الآباء العلوية، بالتحرك فوق الأمهات السلفية، وأن هذه النقوش والعجاب، من ازدواج الماء والتراب، لقد خسر وخاب، وكفر من زعم ذلك وسلك أضيق الطرق وإنما إسناد هذه التراكيب إلى طباع العناصر من الفكر الفاتر، والعقل القاصر، وإحالة هذه الإبداعات والاختراعات العجيبة الباهرة، إلى الهيولي والعلة الأولى عين الجهل والمكابرة، بل كل هذه الإبداع والإنشاء والاختراع والإفشاء متعلق

بمكون الأشياء... فالأرض قد لبست أخضر، تختال فيه بطيلسان أحمر، والغيم بين ممسك معنبر، والماء بين مصندل ومكفر... وتذيقنا بلطائف وظرائف من حسن منظرها وطيب المخبر، فبينما نسير كالنسيم المعطر الرياحين إلى أطراف ذلك البستان للارتياح، ونميد من الاهتزاز إلى كل جانب ميدان الأغصان المزهرة المتمايلة بهبوب الرياح...»([1]).

ومن تصوراته في الضحك:

«وقد أنشأت من الكلام المنثور، ما يليق أن يرسم بالنور، على صفحات وجوه الحور وهو قولي: إذا هبت رياح الارتياح، من مظان الانشراح نحو بساتين الصدور فتيجت مواد السرور، وهاجت الطروب، من رياض القلوب، صوب حدائق الحواس، فهيأت أسباب الإيناس، تحركت الأرواح، إلى الخارج بالأفراح، وأضاءت كالمصباح، في مشكاة الأشباح، واحمرت بورودها أوراد الخدود، واهتزت بهبوبها أغصان القدود، وانفتحت أزهار الفرح والنشاط، وتلونت أثمار المسرة والانبساط وانتفشت صور الضحك في مرايا الوجوه الناضرة، وابتلت بترطيب الدماغ كالطل نراجس الأحداق الناضرة وتلالأت أنوار لآلي الناس في أصداف أفواه المتبسمين، وضحكوا فرحين بما آتاهم الله من فضله ولنعم أجر العاملين، وتعقبوا القهقهة بالاستغفار والحوقلة والوقار، وهي كفارة المتقهقهين والله ذو الفضل العظيم»([2]).

ومن نثره في ذكر فجار التجار:

«ومنهم تجار فجار، بخلاء لؤماء، أغبياء همتهم البيع والشراء، وسنتهم الاحتكار للغلاء، ومذهبهم السلم والتجارة، وملتهم السلف والإجازة، قبلتهم صناعتهم وكعبتهم بضاعتهم، ودينهم دنانيرهم،

(1)خزانة الخيال، ص 167-168.

(2)خزانة الخيال، ص 33.

وسلعتهم دراهمهم وامتعتهم، وعـاداتهم الكـذب في الإيمـان، والحلـف المخـل بالإيمـان، والخلاف في رأس المال، والنزاع في الميزان، والمكيـال، وإذا اكتـالوا عـلى النـاس يسـتوفون، وإذا كـالوهم، أو وزنـوهم يـخسرن، شـأنهم بعـد اليمـين، والخيانـة في مـال المسـلمين، والدخول في سوم المؤمنين، فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين، ينكـرون الحـق وهـم يعلمون، ويحلفون وأكثرهم كاذبون، إذا حضروا أجارة أو بيعاً اختصموا لديها، وإذا رؤوا تجارة أو لهوا أنفضوا إليها، قل ما عند اللـه خير من اللـهو ومن التجارة، ولأجر الآخرة نفع من البيع ومن الأجارة، أشداء يعالجون المديون بالتعنيف، وأشراء يمـاطلون الـدامن بالتسـويف، لا فـراغ لهـم طـول الزمـان، عـن شـغل القلـب واللسـان، بحسـاب الـربح والخسران، وقدر الزيادة والنقصان، وموازنة الـدخل والخـرج ومواضـعة الجـرح والمـرح، تعساً لجمع مالهم متزحزح، عن جيفة الدنيا ولا متروح، إذا رأى الشيطان مـنهم واحـداً حيًّا وقال: فديت من لا يفلح، أفحش عيونهم الغش والتدليس، وبخلهم أشهر مـن كفـر أبليس، وإذا جاء أحدهم سائل وألح عليه من غير طائل، عم حواسه غم، وتمـم في قلبـه مأتم، وفزع من ذلك الصوت، كمن رأى ملك المـوت، يريـد المفـر وأيـن المفـر، ويتمنـى الخلاص ولات حين مناص..»([1]).

وقال في عالم المثال:

«زارني ليلاً طيـف خيـال، وزادني مـيلاً إلى عـالم المثـال، لاستكشـاف أسرار العالم العقلي، بالانخلاع عن قالب البدن الـحسي، والسـير الاختيـاري إلى الـوطن الأصـلي قبـل العـودة الاضـطراري بـالموت الطبيعـي، فرأيـت بـين اليقظـة والمنـام، كـأني تعلقـت بـذيل الأحـلام، وخلعـت أثـواب العلائق الجسمانية، ونزعت جلبات العوائق الظلمانية وتجـردت عـن قشر

(1)خزانة الخيال، ص 16.

الجسد المسترذل، وطرحت هذا اللباس الخلق المستعمل، وخلصت نفسي من سجن هذا البدن، وطهرت شخصي عن لوث هذا الدرن، ولبست حلل التجـرد والانفـراد، وخرجـت مـن ظلـمات عـالم الأجسـاد، ومشـيت بقـدم الإحسـاس، إلى منتهـى معمـورة الحـواس، ودخلت في طرفة عـين، عالماً بـين العـالمين، برزخـاً بـين النشـأتين متوسـطاً ذا جهتـين، لا بالعقلي الصرف المجرد اللطيف في الغاية، ولا بالحسي المحض المادي الكثيف إلى النهاية، فوجدت عالماً نوريًّا حضوريًّا ظهوريًّا شعوريًّا معنويًّا صـوريًّا عقليًّـا علويًّـا سـفليًّا مثاليًّـا خياليًّا برزخيًّا مقداريًّا روحانيًّا نور أنياً أفـاد الإشراقيـون مـن أربـاب المكاشـفات، وأخـبر المرتاضون من أصحاب المجاهدات: أن العالم المثالي الخيالي، هو عالم روحاني مـن جـوهر نوراني، وليس بجسم مادي، ولا جوهر عقلي، لأنه برزخ فاصل بينهما، وكل ما هو بـرزخ بين الشيئين فهو غيرهما وله جهتان يشبه بكل منهما ما يناسب عالمه، ويظهر به في ذلك العالم البرزخي في علائمه، الـلـهم إلاّ أن يقال: أنه جسم نوري خال من الكثافـة، في غايـة ما يمكن من اللطافة، فيكون حدًّا فاصلاً بين الجواهر المجـردة اللطفيـة، وبـين الجـواهر الجسمانية الكثيفة، وإن كان بعض هذه الأجسام ألطف من بعض كالسماوات بالنسـبة إلى غيرها كالأرض، ورأيت في ذلك العالم سماء وأرضنا وإنساناً وبحراً وبرًّا وحيواناً ونباتـاً، وناساً سماويين وأشباحاً وأمثـالاً روحـانيين، فعرفـت صـحة الاسـتدلال عـلى وجـود عـالم المثال...»([1]).

---

(1)خزانة الخيال، ص 94-95.

نور الدين الجزائري

- اسمه ولقبه:

نور الدين بن نعمة الـلـه بن عبد الموسوي التستري الجزائري([1]).

- حياته:

ولد ببلدة تستر عام 1088هـ- 1677م في بيت العلم والكمال وتـربى في حضـن العز والجلال([2]). كان والده السيد نعمة الـلـه الجزائري يحتل مكانة مرموقـة في مدينـة تستر بعد أن ألقى رحاله فيها، واتخذها موطناً دائماً نزولاً عند رغبة أهالي مدينة تسـتر، فآلت إليه زعامة المدينة الدينية والاجتماعية، فكان وجهها في المناسـبات والمقـدم عـلى مواطنيها لدى أمراء وحكام الإقليم وغيرهم من أصحاب الِشأن والنفوذ، وصلته بـالأمراء المشعشيين وثيقة وعلى وجه الخصوص بالأمير علي بن خلف وابنه حيدر، فكانوا يجلونه ويصلونه بإحسان.

وبناء على جهوده الخيرة تحولت مدينة تستر إلى مركز من مراكـز العلـم تشـد لها الرحال لغرض التحصيل.

إن المقام الرفيع الذي تمتع به نعمة الـلـه الجزائري لم يـنحصر في مدينـة تسـتر وحدها، وإنما انتشر في كافة مدن الإقليم، بل وتجاوزها إلى الأقطار المجاورة.

في هذه البيئة الصالحة التي تجمع بين سهولة العيش وأمان المسكن وتوفر العلم وسـمو المكانـة الاجتماعيـة نشـأ أديبنـا نـور الـدين الجزائـري، وكـأن المتاعـب التـي واجهها والـده في حياتـه وشـبابه في طلـب العلـم قـد

(1)فروق اللُّغات (المقدمة ص: ب) الإجازة الكبيرة، ورقة 34.

(2)فروق اللُّغات (المقدمة ص: ب) أعيان الشيعة، ج 50/ص 28.

عوضه اللـه بدلها دعة ورخاء ومجداً، وإلى هذه الناحية يشير ابنة الأديب عبداللـه بن نور الدين في كتابه الإجازة الكبيرة فيقول في نشأة والده: «.. وكان موفقـاً سـعيداً في أول عمره إلى آخره عاش في سعة ونعمة موفورة مستمرة، وقد سـافر إلى بـلاد العجـم مـراراً مقبولاً معظماً عند أربـاب الـدنيا والـدين، واجمـع في حجـه وزياراتـه بفضـلاء الحجـاز والعراق وخراسان فعرفـوا فضـله وأذعنـوا لـه... مهـذب الأخـلاق محمـود السـيرة كثـير المروءة متواضعاً هيناً ليناً سهل العريكة مع ما عليه من الوقار، وكانت أوقاته مضـبوطة موزعة على مشاغله الدينية والدنيوية، لا يدخل شغلاً على شغل»([1]).

وبعد وفاة والده نعمة اللـه الجزائري في سنة 1112هـ تولى مناصبه الشرعيـة والاجتماعية والتربوية، ويقول ابنه عبداللـه بهذا الشأن: «قد ذرف على السبعين ويعين ولا يستعين، ويقوم بفصل الخصومات، وتنفيـذ الأحكـام والأمـر بـالمعروف والنهـي عـن المنكـر، وإقامـة الجماعـات وإمامـة الجمعـات، وقضـاء الحقـوق والتـدريس والخطابـة والنقابة، والنظر في مصالح الخلق ومراقبة الوفود وصلتهم»([2]).

- وفاته:

جاء في الإجازة الكبيرة «انتقـل مـن هـذه الـدار الفانيـة إلى دار القـرار وجـوار أجـداده الأطهـار في الليلـة السادسـة مـن شـهر ذي الحجـة الحـرام في السـنة الثامنـة والخمسين بعد المائة والألف، 1158هـ- 1748م ودفن عند المسجد الجامع بوصية منـه، وله قبة تزار»([3]).

---

(1)الإجازة الكبيرة، ورقة 34، 35.

(2)أعيان الشيعة، ج 5، ص 28.

(3)الإجازة الكبيرة، ورقة 35.

• ثقافته:

نشأ في بيت علم وأدب، فبدأ بأخذ أسباب المعرفة ولما يبلغ الخامسة من عمره على يد والده العالم المتبحر والأديب الفذ «حتى برع في زمن يسير وفاق على الأتراب والأقران، ثم غادر تستر إلى أصفهان وتتلمذ على جهابذتها في المعقول والمنقول حتى برز بكل الفضائل، وانتشر صيته بين فطاحل تلك الديار، فأجازه كل من أولئك الأعلام وشهدوا بفضله ثم كر راجعاً إلى مسقط رأسه تستر متضلعاً بشتى العلوم والفنون حتى أصبح يستضيء به السالكون، ومناراً يهتدي به التائهون ومرجعاً يقصده الوافدون... وكان دقيق الفهم متوقد الذهن حسن التعبير جيد الشعر...»([1]).

عرف له العلماء والمفكرون فضائله فأشادوا به وأكبروا جهوده، فقال ابنه وتلميذه عبدالله التستري في الإجازة الكبيرة: «كان حافظاً ذكيًّا دقيق الفهم، متوقد الذهن مستقيم السليقة، حسن اللهجة، فصيح الكلام، حلو المنطق، جيد التعبير فطناً للنكات والدقائق، عارفاً بأساليب الكلام، شاعراً منشئاً، أديباً خطيباً مجيداً وكان فائزاً ببركة الأقوات، وكان إذا توجه إلى مطالعة درس والتأمل في عبارة مشكلة يقبل عليه بجميع حواسه وهمته لا يقطعه عنه قاطع حتى ينهيه على وجهه ويستخرج من مكنونه مالا يطيقة غيره، وربما كان يدرس دروساً متعددة، فكان يراجع شروحها وحواشيها ومتعلقاتها أجمع، ويلقي جميع ذلك وقت التدريس مع الرد والقبول: لا يغرب عنه حرف واحد، وكان مع غاية جدة ذهنه وقوة مادته وفهمه كثير التثبت لا ينطق إلاّ بعد التروي وملاحظة الأطراف..»([2]) وذكر من بين شيوخه العلاّمة محمد بن الحسن الحر العاملي([3]) إضافة لوالده.

---

(1)فروق اللُّغات (المقدمة ص: ج، د).

(2)الإجازة الكبيرة، ورقة 35.

(3)أعيان الشيعة، ج 50/ص 28.

- آثاره:

1-كتاب في النحو مبسوط إلى باب التمييز.

2-رسالة في شكوك الصلاة.

3-رسالة في حل بعض الأحاديث المشكلة.

4-رسالة في أحكام الطهارات.

5-مفتاح الصحبة في شرح النخبة.

6-ترجمة الشرح الزبور.

7-ترجمة قصص الأنبياء لوالده.

8-ترجمة وصية هشام.

9-فروق اللغات. (وهو مطبوع).

10-كتاب السيفية في اللغز([1]).

- نماذج من نثره:

أنشأ الأديب نور الدين الجزائري بضعة نماذج نثرية في مؤخرة كتابه فروق اللغات، تتراوح موضوعاتها بين الوعظ والحكاية والإخوانية واللغة وغيرها.

والإطار الفني الذي بنيت فيه هذه الإنشاءات هو اعتماد أسلوب التصنيع البديعي والزخرفة اللفظية، فاستخدم السجع والأجناس والطباق والازدواج والاستعارة والتشبيه، ورصع عباراته بآيات وعبارات من القرآن الكريم، وضمنها أبياتاً عن الشعر والأمثال، وحرص على التناسق النغمي بين الألفاظ والعبارات، فكان يعادل ويقابل بينها ليكسب أسلوبه لوناً

(1)الإجازة الكبيرة، ورقة 34. أعيان الشيعة، ج 50/ص 29. وفروق اللُّغات (المقدمة ص: و-ز).

موسيقيًّا جذاباً قريباً من الشعر المنظوم وسجعاته قصيرة وألفاظه عذبة، وأحسبه يقلد مذهب ابن العميد في كتابته.

ومن هذه النماذج حكاية ظريفة سمعها فأوردها إنشاء فقال: «روى أنه كان رجل في حلة قد حل من ذرى المال أرفع حلة، ولبس من ملابس الغنى أثمن حلة، وكان قد مال إلى جمع المال، فنال جميع الآمال، واجتمع له من العين ما كل عن أدراكه العين، ومن النقدين ما أعجز تعداده اليدين، وأعطى من الأموال ما حدا فيه أرباب الفكر والفتوة، ومن الكنوز ما أن مفاتحة لتنوء بالعصبة أولى القوة، حتى قارن قارون، وازدوج زوجة هارون، فما خرج من حد الحياة رسمه، ومحي من صفحة الوجود اسمه، وأغار الأجل شهبه وقضى نحبه، خلف من بعده خلف طالح، وعمل غير صالح، وكان يسمى الحارث، ولكنه بؤس الوارث، فطمس على تلك الأموال، ولم يفكر في المآل، وأتلف النفائس المعظمة، والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة، والخيل المسومة، فباع العقار لشرب العقار، وأفنى الضياع، لشهوات ضياع، وصرف ما غاب وحضر، حتى لم يبق ولم يذر، فعاد أفلس من ابن يومين، وأخيب ممن رجع بخفي حنين...»([1]).

وله خطبة في يوم الجمعة:

«الحمد لله مدبر الأمور، ومقدر الأزمنة والدهور، الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور، سبحت له الأفلاك في السماء، والحيتان في لجج الماء، والخضراء وما أظلت، والغبراء وما أقلت، والليل في غسقه، والصبح في فلقه، والسحاب في برقه ورعده، والبحر في جزره ومده، وأن ما من شيء إلاّ يسبح بحمده، ونشهد أن لا لاله إلاّ الله مالك الملك، ومجرى الفلك، الحي القيوم، القديم الديوم،

(1)فروق اللُّغات، 276-278.

ونشهد أن محمداً، ورسوله ونجيه، أرسله للخلق بشيراً ونـذيراً، وداعيًّا إلى اللــه بأذنـه وسراجاً منيراً، فرض عـلى العبـاد طاعتـه، وقبـل فـيهم شـفاعته صـلى اللــه عليـه وآلـه الكرماء، ما سكنت الأرض ودارت السماء، عباد اللـه عليكم بتقوى اللـه الذي حبـائكم بالهدى، ولم يترككم سدى، وأوضح لكم المحجة وأتم اللـه عليكم الحجة، فاجعلوا الحق لكم دليلاً، ولا تشتروا بآيات اللـه ثمناً قليلاً...»([1]).

وله لغز انشأه باسم ياقوت فقال: «الحمد لله على نواله والصلاة والسـلام على محمد وآله وبعد فيقول فقير رحمة اللـه الغنـي نـور الـدين الموسـوي، قـد عرض في بعض الأحوال، ملال للبال، من مطالعة المهم من العلوم، وتفقد المنطـق والمفهوم، فأطلقت عنان القلم في بعض الأيام، ليلفظ ما فيه مـن عجائـب الكـلام وغرائب النظام، فخاض ساعة في بحر الحقيقة والمجـاز، وجـال في مجـال التعميـة والألغاز، فكتب وقد أغرب، أيها الأخ الأعز، الموفق في حل المعمـى واللغـز أخـبرني عن اسم ثنائي الكلمات، خماسي الحروف، وهو بين النـاس مشـهور ومعـروف أول حروفه مع معكوسه رضيعاً لبـان، وثلاثـة اسـم سـورة في القـرآن، ورابعـه يشـارك خامسه في وضعه وعمله ومعجم حروفه أكثر من مهمله، رأسه في البيوت، ورجله في الحانوت قد ركب من جزئين فصـار علـماً، فـاز مـن جـادَ بـه كرمـاً إن فككـت شطره الأول قرب لديك البعيد، بل هو أقرب إليك من حبل الوريد وشطره الثـاني مطلوب الخلق إلى الأبد، فإذا صحفته خاف منه كـل أحـد، قـد اخـتص مـن علـم المعـاني والبيـان بالوصـل والفصـل المبـان، ومـن فـن البـديع، بصـناعة الترصـيع ، إن نصـب إلى ظـرف ارتفـع، وأن كسر للضـعف قـوي عملـه ونفـع، أصـله مـن الحجر، وينتسب إلى بعض الشجر، نافع العلاج، يدفع به الغـم، قـوى المـزاح قـد

(1)الخطبة كاملة في فروق اللُّغات، ص 298-301.

غلب عليه الدم لم يفرق بين نظمه ونثره إلاّ الحريري، ولم يعرف معتلّه مـن صـحاحه إلاّ الجوهري فقد كشف لك عن مزاجه من بدنه، فعليك باستخراجه من معدنه»[1].

(1)فروق اللُّغات، ص 288-289.

ملحق بأسماء عدد من أدباء الإقليم
مصادرهم وتراجمهم

....

1-إبراهيم بن علي بن باليل الجزائري، ت 1150هـ-1737م. ترجم له في الإجازة الكبيرة، ورقة 112، وأعيان الشيعة 5/ 331، وقلائد الغيد (في المقدمة).

2-أحمد بن خلف بن مطلب المشعشعي، أخو علي بن خلف، المتوفى سنة 1088هـ/1677. ترجم في أعيان الشيعة 8/ 261، وتاريخ المشعشعين ص223.

3-أحمد بن مطلب بن علي بن خلف المشعشعي، ت 1168هـ/1754م. من آثاره ديوان شعر، الأسئلة الأحمدية في الفقه، الدر المنثور في موازين البحور.

ترجم له في الإجازة الكبيرة، ورقة 115، وأعيان الشيعة 136/10، 213، أدب الطف 9/6، تاريخ المشعشعين، ص 225، معجم المؤلفين 180/2.

4- إسماعيل بن سعد الحسيني الحويزي. ترجم له في أمل الآمل 34/2.

5-جعفر بن عبدالله إبراهيم الحويزي، ت 1115هـ/1703م.

ترجم له في روضات الجنات 193/2، وأعيان الشيعة 458/15، ومعجم المؤلفين 140/3.

6-جعفر بن باقر بن حسين التستري، ت 1335هـ/1917.

تـرجم في في أعيـان الشـيعة 453/18، أعـلام الشـيعة 280/1، معجـم المـؤلفين 144/3.

7-حسن بن حسين بن محيي الدين آل أبي جامع، 1130هـ/1717م.

ترجم له في ماضي النجف وحاضرها 307/3، والحالي والعاطل، ص 34.

8-حسين بن محيي الدين بن عبد اللطيف آل أبي جماع، المتـوفى آواخـر القـرن الحادي عشر الهجري.

من آثاره: شرح قواعد العلامة، كتاب في الفقـه، كتـاب في الطـب، ديـون شـعر وغير ذلك.

ترجم له في ماضي النجف وحاضرها 309/3 العاطل والحالي ص 70.

9-سلمان بن محمد بن حسن بن أحمد الإحسائي الفلاحـي، 1341هــ/1922م.

ترجم له في معارف الرجال 339/1.

10-عبدالـلـه بن حسين التستري، ت 1021هـ/1612م.

من آثاره: جامع الفوائد في شرح القواعد، شرح قواعد الألفية، كتاب الرجال.

ترجم له في أمل الآمل 159/2، روضات الجنات 236/4، هدية العارفين 474/1، أيضاح المكنون 1/ 356، أعيان الشيعة 100/38. مصفى المقال، ص 242، معارف الرجال 8/2.

11-عبدالـلـه بن علي بن خلف المشعشعي، ت 1097هـ/1685م.

ترجم له في أعيان الشيعة 21/39، تاريخ المشعشعين، ص154.

12-عبدالله بن فرج الله بن علي المشعشعي، كان حيًّا سنة 1156هـ/1743م. ترجم له في حديقة الزوراء 72/1، وتاريخ المشعشعين، ص 156.

13 -عبدالله بن نور الدين نعمة الله الجزائري التستري صاحب الإجازة الكبيرة، ت 1173هـ/1759م. من آثاره: مفاتيح الأحكام، نخبة الفقيه، الذخيرة الباقية، الذخيرة الأحمدية، الأنوار الجلية، معترك المقال، تذييل سلافة العصر، تذكرة تستر، الإجازة الكبيرة. ترجم له في: روضات الجنات 257/4، أعيان الشيعة 86/29، الكنى والألقاب 332/2، معارف الرجال 875/2. معجم المؤلفين 180/6، مصفى المقال، ص 246.

14-عبد الرشيد التستري، ت 1078هـ/1667م. ترجم له في أعيان الشيعة 23/38.

15-عدنان بن شبر الفريفي المحمري، ت 1340هـ/1921م.

من آثاره: جامع الجوامع في النحو، الأنساب في النحو، أرجوزة في مسالك الحجج، رسالة في الوضع، رسالة في وكثير في مختلف العلوم والفنون.

ترجم له في شعراء الغري 178/6، معارف الرجال 82/2، مجلة كلية الآداب، العدد 1969/12.

16-عبد الوهاب بن خلف المشعشعي، كان حيًّا سنة 1071هـ/1660م.

من آثاره: كتاب الكشكول في الأدب.

ترجم له في أعيان الشيعة 189/39، تاريخ المشعشعين، ص 291.

17-علي بن باليل الجزائري الدورقي، ت 1100هـ/1688م.

من آثـاره: المسـتطاب في النحـو لشرح كتـاب سـيبويه، نبـذة بنـود قصـيدة في الحكمة اسمها القلادة، قلائد الغيد.

ترجم له في الإجازة الكبيرة، ورقـة 99، وأعيـان الشـيعة 5/ 322 مقدمـة كتـاب قلائد الغيد.

18-عيسى بن صالح الجزائري المحمري، كان معاصراً لحكم الشيخ خزعل.

ترجم له في معارف الرجال 153/2.

19-فرج الـلـه بن محمد حسين التستري، ت 1128هـ/1715م.

ترجم له في سلافة العصر، ص 492، ونفحة الريحانة ص 217، وأعيـان الشـيعة 268/42، ونزهة الأبصار، ص 655.

20-فرج الـلـه بن محمد بن درويش الحويزي، ت 1141هـ/1728م.

من آثاره: ديوان شعر، إيجاز المقال في الرجال، كتاب في الكلام، كتاب الغابـة في المنطق، كتاب الصفوة في الأصول، تذكرة العنوان في عدة علوم، منظومة المعاني والبديع، شرح تلخيص المفتاح للتفتازاني وغيرها. ترجم له في أمل الآمـل 215/2، هدايـة العـارفين 816/1، إيضـاح المكنـون 275/1، 309، 499، 2/ 256، روضـات الجنـات 355/5، أعيـان الشيعة 266/42، أدب الطف 213/5.

21-محمـد بـن جعفـر شرع الإسـلام الحلفـي الحـويزي، ت 1307هــ/1886م. ترجم له في معارف الرجال 256/3.

22-محمد بن الحارث المنصوري الجزائري، كان حيًّا سنة 975هـ/1567م.

ترجم له في أمل الآمل 254/2، زهر الربيع 128/2.

23-محمد بن محمد بن حماد الجزائري، ت 1020هـ/1611م.

ترجم له في أمل الآمل 274/2، أعيان الشيعة 334/45.

24-محمد عباس التستري الجزائري، ت 1206هـ/1887م.

ومن آثاره: ديون شعر يسمى رطب العرب.

ترجم له أعيان الشيعة 17/37، معجم المؤلفين 52/10.

25-محمود بن أحمد الحويزي، كان معاصرا لصاحب نشوة السلافة المتوفى سنة 1188هـ.

ترجم له نشوة السلافة ج 2، ورقة 72، أعيان الشيعة 161/47.

26-محمود الحويزي، كان معاصراً للشاعر نصر الله الحائري، المتوفى سنة 1155هـ/1742م. ترجم له في أعيان الشيعة 161/47.

27-محيي الدين بن حسن بن محيي الدين بن عبد اللطيف آل أبي جامع، كان حيًّا سنة 1119هـ/1707م.

28-معتوق بن شهاب الدين الموسوي، كان حيًّا سنة 1116هـ/1704م. ترجم له في نشوة السلافة ج2 / ورقة 16، أعيان الشيعة 85/48، الحالي والعاطل، ص 91.

29-موسى بن الشيخ حسن بن أحمد بن محمد الإحسائي الفلاحي، ت 1289هـ/1872م. ترجم له في معارف الرجال 41/3.

30-القاضي نور الدين المرعشي التستري، ت 1019هـ/1610م.

من آثاره: حاشية علي المختصر للعضدي، حاشية علي تفسير البيضاوي، الكشكول، رسالة في نجاسة الماء، وغيرها.

ترجم فه في أمل الآمل 336/2، روضات الجنات 159/8، أعيان الشيعة 30/50، شهداء الفضيلة، ص 171.

31-هاشم بن حردان الكعبي الدورقي، ت 1223هـ/1808م.

ترجم لـه في الكشـكول للبحـراني 3/، الطليعـة ج1/ ورقـة 225 أعيـان الشـيعة 57/5، أدب الطف 6/ 213، معارف الرجال 256/3.

المصادر والمراجع

- الكتب المخطوطة:

- الإجازة الكبيرة: عبدالله بن نور الدين بن نعمة الله الجزائري، نسخة المكتبة الشوشترية في النجف، رقم 112/76.
- إمارة المشعشعين: محمد هليل الجابري، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، 1973م (مطبوعة على الآلة الكاتبة).
- تحفة الأزهار وزلال الأنهار في نسب الأئمة الأطهار: ضامن بن شدقم بن علي الحمزي كان حيًّا سنة 1073. مخطوطة مكتبة المتحف العراقي، رقم 1382.
- الحجة البالغة: خلف بن عبد المطلب، مخطوطة مكتبة المتحف العراقي، رقم 14708.
- الحماسة الأحوازية: حسين علي محفوظ، بحوزته.
- ديوان علي بن خلف مخطوطة مكتبة المتحف العراقي، رقم 522.
- ديوان فرج الله محمد بن درويش الحويزي، مخطوطة مكتبة الإمام الحكيم - النجف، رقم 633.
- ديوان هاشم الكعبي: مخطوطة مكتبة المتحف العراقي، رقم 9109.

- رياض العلماء وحياض الفضلاء: ميرزا عبدالـلــه أفنـدي، مخطوطـة مصـورة في مكتبة الإمام الحكيم في النجف.

- السيرة المرضية: عبد علي بن رحمة الـلـه الحـويزي، مخطوطـة الشـيخ محمـد الخال عضو المجمع العلمي العراقي.

- الطليعـة إلى شـعراء الشـيعة: محمـد السـماوي، مخطوطـة مصـورة في مكتبـة الدراسات العليا في كلية الآداب، ج 1، رقم 2002، وج 22، رقم 2013.

- طيف الخيال في مناظرة العلم والمال: محمد مؤمن الجزائري، مخطوطة مكتبة الحكيم العامة في النجف، رقم 287.

- عربستان أو بلاد ألف ليلة وليلة: أم. بيري - أي - أم فوك كان حيًّا سنة 1875م (مطبوعة على الآلة الكاتبة). في مكتبة الدراسات العليا في كلية الآداب، رقم 59.

- الفيض الغزير في شرح موال الأمير: عبد عـلي بـن رحمـة الحـويزي، مخطوطـة تحت رقم 9110 في مكتبة المتحف العراقي.

- الكشكول: عبد الوهاب بن خلف، مخطوطة مكتبة كاشف الغطاء في النجـف، رقم 893.

- كنز الأديب: الشيخ أحمد بن الشيخ درويش بن علي البغـدادي، ت 1327هــ مخطوطة مكتبة المتحف العراقي، رقم 14322.

- لطائف الظرائف (محاسن الاخبار ومجالس الاخيار): محمـد مـؤمن الجزائـري مخطوطة مكتبة المتحف العراقي، رقم 33243.

- مدارج النمل في علم الرمل: عبد عـلي بـن رحمـة الـلــه الحـويزي، مخطوطـة ضمن مجموع تحت رقم 33252 في مكتبة المتحف العراقي.

- المشعشعة في علم العروض: عبد علي بن رحمة الحويزي، مخطوطة ضمن مجموع تحت رقم 33252 في مكتبة المتحف العراقي.
- المشعشعيون في التاريخ: عبد المطلب الموسوي المشعشعي النجفي، المخطوطة بحوزة المؤلف.
- معارج التحقيق ومناهج التوفيق: عبد علي بن رحمة اللـه الحويزي، ضمن مجموع خطي تحت رقم 33252 في مكتبة المتحف العراقي.
- مناهج الصواب في علم الإعراب: عبد علي بن رحمة اللـه الحويزي، ضمن مجموع الخطي تحت رقم 33252 في مكتبة المتحف العراقي.
- مناهل الضرب في أنساب العرب: جعفر بن محمد بن جعفر الأعرجي البغدادي كان حيًّا سنة 1911م، مصورة في مكتبة الدراسات العليا عن نسخة مكتبة آغا برزك الطهراني في النجف، رقم 1397.
- مواهب الفياض في الجواهر والأعراض: عبد علي بن رحمة اللـه الحويزي، ضمن مجموعة خطي تحت رقم 33252 في مكتبة المتحف العراقي.
- نشوة السلافة ومحل الإضافة محمد بشاره آل موحي، مخطوطة مكتبة المتحف العراقي تحت رقم 27649.

▪ الكتب المطبوعة:

- آثار الشيعة الأمامية: عبد العزيز الجواهري، مطبعة مجلس الشورى، طهران، 1348هـ.
- الإجازات العلمية عند المسلمين: عبداللـه الفياض. مطبعة الإرشاد، بغداد، 1967.
- الأحواز أرض عربية سليبة: إبراهيم خلف العبيدي، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 1980.

- الأحواز في أدوارها التاريخية: علي نعمـة الحلـو، مطبعـة دار الـبصري، بغـداد، 1969.
- أحوال الـبصرة: إبـراهيم فصـيح بـن صـبغة اللــه بـن الحيـدري، مطبعـة دار البصري، بغداد، 1961.
- أدب الطـف (أو شـعراء الحسـين) عبـد الحسـين أحمـد الأمينـي، دار الـتراث الإسلامي، بيروت.
- الأدب العراقـي في الـعصر المغـولي: مصـطفى جـواد، مجلـة المجمـع العلمـي العراقي، م،3، ج2، لسنة 1955.
- الأدب في العصر العـثماني: الـدكتور عـلي الزبيـدي، مجلـة كليـة الآداب، ع 26، لسنة 1979.
- أربعة قـرون مـن تـاريخ العـراق: اسـتيفن همـلسي لونكـوك / ترجمـة جعفـر الخياط، ط4، مطبعة المعارف، بغداد، 1986.
- أساليب المقالة وتطورها في الأدب العراقي الحديث والصحافة العراقية د. منير بكر، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1976.
- الأعلاق النفيسة: أبو علي أحمد بن عمر بن جعفر بـن رسـتة، مطبعـة إبريـل، 1891م.
- الإعلام: خير الدين الزركلي، ط2.
- أعيان الشيعة: محسن الأمين العاملي، ط1، مطبعة العرفان، صيدا.
- أمل الآمل: محمد بن الحسـن الحـر العـاملي، تحيـق أحمـد الحسـيني مكتبـة الأندلس، بغداد.
- الأنوار النعمانية: نعمة اللـه الجزائري، مطبعة شركة جاب، تبريز.
- إيضـاح المكنـون: إسـماعيل بـن محمـد البغـدادي، مطبعـة وكالـة المعـارف، إستنبول، 1366هـ.

- البابليات: محمد علي اليعقوبي، مطبعة الزهراء، النجف، 1951م.
- بلاد الأحواز علي نعمة الحلو، مطبعة دار البصري، بغداد.
- بلدان الخلافة الشرقية: كي لسترنج، تعريب بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مطبعة الرابطة، بغداد، 1954م.
- البند في الأدب العربي: عبد الكريم الدجيلي، مطبعة المعارف، بغداد، 1959.
- تاريخ آداب اللُّغة العربية: جرجي زيدان، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1967م.
- تاريخ الأدب العربي في العراق: عباس العزاوي، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1962م.
- تاريخ إقليم الأحواز: محمد رؤوف طه الشيخلي، مطبعة البصرة، 1972.
- تاريخ الإمارة الأفراسيابية: محمد الخال، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغدد، 1961م.
- تاريخ إمارة كعب العربية في القبان والدورق والفلاحية: مشايخ كعب، تحقيق علي نعمة الله الحلو، مطبعة الغري، النجف، 1968م.
- تاريخ بانصد سالة خوزستان: أحمد كسروي، مطبعة حمد، طهران، 1943م، (باللُّغة الفارسية).
- تاريخ بغداد: الخطيب البغدادي، مطبعة دار الكتاب العربي، بيروت.
- تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني: عبد الرزاق الهلالي، مطبعة شركة الطبع والنشر الأهلية، بغداد، 1959.
- تاريخ الرسل والملوك: الطبري، محمد بن جرير، مكتبة خياط، بيروت.

- التاريخ السياسي لإمارة عربستان/ مصطفي عبد القادر النجار، مطبعة دار المعارف، القاهرة، 1971م.
- تاريخ العراق بين احتلالين: عباس العزاوي، مطبعة بغداد، 1956.
- تاريخ العمارة وعشائرها: عبد الكريم الندواني، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1961م.
- تاريخ كربلاء: د. عبد الجود الكليدار، مطبعة المعارف، بغداد، 1949م.
- تاريخ الكويت السياسي: حسين خلف الشيخ خزعل، طبع بيروت، 1962-1965م.
- تاريخ المشعشعين وتراجم أعلامهم: جاسم حسن شبر مطبعة الآداب، النجف، 1965م.
- التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية (البصرة): محمد بن خليفة النبهاني الطائي، مطبعة المحمودية، القاهرة، 1980م.
- تلخيص الآثار وعجائب الملك القهار: عبد الرشيد صالح بن نوري الباكوي، ترجمة ضياء الدين بونياتوف، مطبعة دار النشر للعلم، موسكو، 1971م.
- حالة الشعر في القرن السابع الهجري: نوري شاكر الآلوسي، مجلة الاستاذ، ع1، السنة 1878م.
- الحالة العلمية والحركة الفكرية في النجف: علي الشرقي، مجلة لغة العرب، م4، لسنة 1926م.
- الحالي والعاطل: عبد الرازق محيي الدين، مطبعة الآداب، النجف، 1971م.
- حديقة الأفراح لإزاحة الأتراح: أحمد بن محد بن علي الأنصاري اليمني الشرواني ت 1837م، المطبعة اليمنية، القاهرة، 1902م.

- حديقة الزوراء في سيرة الوزراء عبد الرحمن بن عبدالله السويدي، 1786م، تحقيق د. صفاء خلوصي، مطبعة الزعيم، بغداد، 1962م.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أبو نعيم الأصفهاني، ت 430هـ مطبعة مكتبة الخانجي، القاهرة، 1932-1938م.
- خزائن الكتب العربية في الخافقين: فيليب دي طرازي، بيروت، 1947م.
- خزانة الخيال في الأدب والحكم والمواعظ والمناظرات: محمد مؤمن الجزائري، ت 1130هـ مكتبة بصيرتي، رقم 1393هـ.
- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر: محمد أمين بن فضل الله المحبي، ت 1111هـ مطبعة مكتبة خياط، بيروت.
- دائرة معارف البستاني: بطرس البستاني، مطبعة المعارف، بيروت، 1883م.
- الدرر الحسان في منظومات ومدائح خزعل خان: عبد المسيح الأنطاكي مطبعة العرب، مصر، 1908م.
- دليل الخليج العربي (القسم التاريخي): ج. ج لوريمر، مطبعة علي بن علي الدوحة - قطر.
- دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء: حاوي رسول الكركوكلي، ت 1242هـ مطبعة كرم، بيروت.
- ديوان أبي البحر الخطي: أبو البحر جعفر بن محمد الخطي، ت 1028هـ مطبعة الحيدري، طهران، 1373هـ.
- ديوان أبي تمام (بشرح الخطيب التبريزي)، ط3، مطبعة دار المعارف، بمصر، 1972م.
- ديوان ابن الرومي: تحقيق حسين نصار، مطبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1973م.

- ديوان صالح التميمي: صالح بن درويش بن زيني التميمي، مطبعة الزهراء، النجف.
- ديوان كاظم آل نوح: مطبعة المعارف، بغداد، 1949م.
- ديوان أبي معتوق: شهاب الدين الموسوي: تحقيق سعيد الشرتوني اللبناني، المطبعة الأدبية، بيروت، 1885م.
- ديوان نصر الله الحائري: مطبعة الغرى، النجف، 1954م.
- ديوان هاشم الكعبي (قسم المراثي الحسينية) نشر وتحقيق محمد حسن آل الطالقاني، المطبعة الحيدرية في النجف، ط2، 1385هـ.
- الرثاء: لجنة من أدباء الأقطار العربية، دار المعارف، بمصر.
- الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام: بشرى محمد علي الخطيب، مطبعة الإدارة المحلية، بغداد، 1977م.
- رحلة ابن بطوطة: أبو عبدالله محمد بن إبراهيم، مطبعة دار صادر، بيروت، 1964م.
- الرسالة الثانية: أبو دلف مسعر بن مهلهل الخزرجي، نشر وتحقيق بطرس بولغاكوف وأنس خالدوف، مطبعة دار النشر للآداب الشرقية، موسكو، 1960م.
- الروض المعطار في خبر الأقطار: أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن عبد المنعم، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، 1975.
- روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات: محمد باقر الخوانساري، مطبعة إسماعيليان، طهران، 1390هـ.
- الرياض الخزعلية في السياسة الإنسانية: خزعل بن جابر الكعبي، نشر عبد المجيد البصري البهبهاني، بيروت، 1920م.

- الرياض المزهرة بن الكويت والمحمرة: عبد المسيح الأنطاكي، مطبعة العرب، القاهرة، 1907م.
- زاد المسافر ولهنة المقيم والحاضر: فتح الله بن علوان الكعبي، مطبعة الفرات، بغداد، 1924م.
- زهر الربيع: نعمة الله الجزائري، المطبعة الحيدرية، النجف 1954.
- سلافة العصر في محاسن أهل الشعر: ابن معصوم، ت 1119هـ، مطبعة علي بن علي، قطر، 1963م.
- شرح عينية ابن سينا: نعمة الله الجزائري، نشر وتحقيق حسين علي محفوظ، مطبعة الحيدري طهران، 1954م.
- الشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر: إبراهيم الوائلي، مطبعة المعارف، بغداد، 1978م.
- شعر صفي الدين الحلي: جواد أحمد علوش، مطبعة المعارف، بغداد، 1959م.
- شعراء الغرى: علي الخاقاني، المطبعة الحيدرية، النجف، 1954م.
- شهداء الفضيلة: عبد الحسين الأميني، مطبعة الغري، النجف، 1936م.
- صورة الأرض: أبو القاسم حوقل النصيبي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.
- طبقات الصوفية: محمد بن الحسين السلمي، تحقيق نور الدين شريبة، مطبعة جامعة الأزهر للنشر والتأليف، القاهرة، 1953م.
- العراق في القرن السابع عشر: تافرنييه، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مطبعة المعارف، بغداد، 1944م.

- العرب والعراق: علي الشرقي، شركة الطبع والنشر الأهلية، بغداد، 1963م.
- عشائر العراق: عباس العزاوي، شركة التجارة والطباعة، بغداد، 1956م.
- عصور الأدب العربي: محمد كاظم الكفائي، مطبعة دار النشر والتأليف، النجف، 1949م.
- العقد المفصل: السيد حيدر بن سليمان الحلي، مطبعة الشابندر.
- عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد: إبراهيم فصيح الحيدري، بغداد، 1331هـ.
- الحيدر، بغداد، 1962م.
- الغدير في الكتاب والسنة والأدب: عبد المحسن أحمد الأميني، دار الكتاب العربي، بيروت، 1967م.
- فروق اللُّغات: نور الدين الجزائري، تحقيق أسد الله الإسماعيليان، مطبعة النجف، النجف، 1380هـ.
- الفكر والنقد في دراسة نازك الملائكة: د. داود سلوم، (مكتوبة على الآلة الطابعة).
- في غمرة النضال: سليمان فيضي، مطبعة دار القلم، بيروت، 1974م.
- القاموس المحيط: الفيروز آبادي، مطبعة السعادة، بمصر.
- القصيدة العلوية المباركة: عبد المسيح الأنطاكي، شرح عبد المجيد البصري، مطبعة عمسيس، بيروت، 1920م.
- قضايا الشعر المعاصر: نازك الملائكة، مطبعة الآداب، بيروت، 1962م.

- قلائد الغيد: علي بن باليل الحسيني الجزائري، ت 1100هـ، نشر وتحقيق هادي السيد ياسين الحسيني، المطبعة العلمية، قم 1399هـ.
- القوة البحرية في الخليج العربي في القرن الثامن عشر: عبد الأمير محمد أمين، مطبعة أسعد، بغداد، 1966م.
- الكشكول: يوسف البحراني، مؤسسة مطبعة الأعلمي، كربلاء، 1961م.
- الكعبي ثائر: نعمة هادي الساعدي، مطبعة الآداب، النجف، 1961م.
- الكني والألقاب: عباس القمي، مطبعة العرفان، 1985هـ.
- لسان العرب: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرن بن منظور، دار صادر، بيروت 1956م.
- ماضي النجف وحاضرها: جعفر الشيخ باقر آل محبوبة، مطبعة النعمان، النجف، 1957م.
- 200 حقيقة عن عربستان، عبد الحميد العلوجي، مطبعة مؤسسة الصحافة العربية، بغداد، 1969.
- مجالس المؤمنين: نور الله بن شريف الدين الحسيني المرعشي، ت 1019هـ المطبعة الإسلامية، طهران، 1375هـ.
- المحمرة مدينة وإمارة عربية، علي نعمة الحلو، مطبعة الحرية، بغداد، 1972م.
- المحمّرة والوحدة العثمانية: علي محمد عامر، (باللُّغة التركية).
- مختصر تاريخ البصرة: علي طريف الأعظمي، مطبعة المكتبة العربية، 1947م.

- المسالك والممالك: أبو إسحق إبراهيم بن محمد الفارسي الأصطخري، مطبعة دار القلم، القاهرة، 1961م.
- مشاهدات نيبور في رحلته من البصرة إلى الحلة سنة 1765م: نيبور كارتسن، ت 1815، ترجمة سعاد هادي العمري، مطبعة دار المعرفة، بغداد، 1955م.
- المشعشعيون ومهديهم: مصطفى جواد، مجلة لغة العرب، م9، لسنة 1931.
- مصفى المقال في مصنفي علم الرجال: الشيخ آغا برزنك الطهراني، طهران، 1959م.
- معادن الجواهر ونزهة الخواطر في علوم الأوائل والأواخر: محسن الأمين العاملي، دمشق، 1349هـ.
- معارف الرجال في تراجم العلماء والأدباء: الشيخ محمد حرز الدين، مطبعة الآداب، النجف، 1964م.
- معجم البلدان: ياقوت الحموي، مطبعة دار صادر، بيروت، 1956م.
- معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة، مطبعة الترقي، دمشق، 1957م.
- مؤسس الدولة المشعشعية وأعقابه في عربستان وخارجها، جاسم حسن شبر، مطبعة الآداب في النجف، 1973م.
- نزهة الأبصار لطرائف الأخبار والأشعار: جمع عبد الرحمن بن عبدالله بن أحمد بن درحم، دمشق.
- نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي: حسين نصار، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1954م.
- نشوة السلافة ومحل الإضافة (جـ1): محمد علي بن بشارة آل موحي النجفي، تحقيق محمد السيد علي بحر العلوم، مطبعة مكتبة الحكيم العامة، النجف.

- نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة: محمد أمين بن فضل الله المحبي، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، مطبعة دار أحياء الكتب العربية، 1968م.
- نفحة اليمن فيما يزول بذكره الشجن: أحمد بن محمد الأنصاري الشرواني اليمني، المطبعة العثمانية اسطنبول 1305هـ.
- نهضة العراق الأدبية في القرن التاسع عشر: محمد مهدي البصير، مطبعة المعارف، 1946م.
- النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين: نعمة الله الجزائري، المطبعة الحيدرية في النجف، 1960م.
- هداية العارفين: إسماعيل باشا البغدادي، مطبعة وكالة المعارف، إستانبول، 1955م.
- الوجيز في تفسير القرآن العزيز: علي بن الحسين بن محيي الدين العاملي الجامعي، مطبعة الزهراء، النجف، 1953م.
- الوسيط في الأدب العربي وتاريخه: أحمد الإسكندري ومصطفى عناني، ط 16، مصر، 1916م.

▪ المجلات:

- مجلة آفاق عربية، ع4، لسنة 1981م.
- مجلة الأستاذ، ع1، لسنة 1978م.
- مجلة البصرة، ع11، لسنة 1981م.
- مجلة كلية الآداب، ع26، لسنة 1979م.
- مجلة لغة العرب، مجلد 4، لسنة 1926م.
- مجلة لغة العرب، مجلد 9، لسنة 1941م.
- مجلة المجمع العلمي العراقي، م3، ج2، لسنة 1955م.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

....
كلمة الناشر 5
المقدمة 9
الأحواز لمحة جغرافية... 11
المؤقع والحدود.. 13
الحدود... 14
المساحة والسكان:.. 14
السطح... 14
المناخ 16
الأنهار 17
أهم الأنهار.. 17
نهر كارون 17
نهر الجراحي.. 18
نهر الكرخة.. 19
المدن.. 19
أهم المدن 20
مدينة الأحواز 20
المحمّرة 20

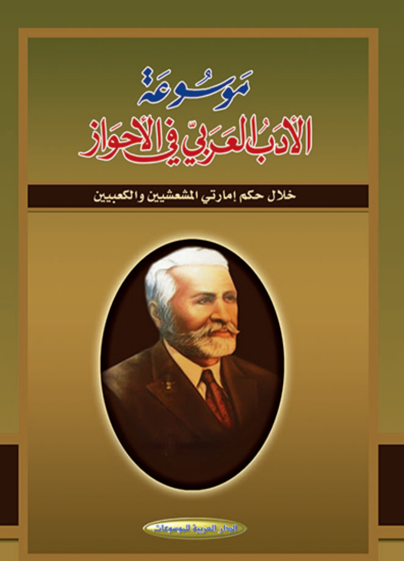
الحويزة 21
عبادان... 22
تستر... 23
الدورق (الفلاحية) 25
الحالة السياسية 26
إمارة المشعشعين 33
الموقع الجغرافي للإقليم 34
اضطراب الوضع السياسي 35
إمـارة كـعـب 43
الحالة الاجتماعية.. 56
عناصر السكان.. 56
العادات والتقاليد 57
الحالة الاقتصادية.. 59
الثروة الزراعية والحيوانية والصناعية والتجارية:.. 61
الصناعة 62
التجارة.. 63
واردات حكومة الإقليم:.. 65
الباب الأول - الحياة الثقافية والأدبية - 69
الفصل الأول: الحياة الثقافية والأدبية 71
مظاهر المدارس الثقافية.. 77
المدارس 77
المكتبات ودور الكتب... 83
العلماء والمفكرون 85
رحلتهم في طلب العلم ونشرة 87

إجازاتهم العلمية.. 89
الحياة الأدبية... 92
الفصل الثاني: أغراض الشعر 133
المديح... 133
المديح الديني 134
مديح الحكام الأمراء.. 146
المديح العام... 155
الفخر والحماسة 159
الرثاء... 178
رثاء أهل البيت 179
الرثاء العام.. 186
الشكوى 196
أغراض وفنون أخررضي الـلـه عنه.. 208
الغزل.. 208
الأخوانيات 212
الوصف.. 218
الحكم والنصائح.. 221
الزهد 226
نظم العلوم... 227
البند... 229
الفصل الثالث: أبرز شعراء الأحواز... 235
عبد علي ناصر بن رحمة الحويزي.. 235
إسمه وألقابه.. 235
نشأته وحياته:... 236
وفاته 243

ثقافته ومكانته العلمية.. 244
آراء العلماء فيه.. 247
آثاره 248
شعره.. 251
شغفه بالبديع والزخرفة اللفظية 253
تأثر شعره بثقافته.. 255
علي بن خلف بن مطلب المشعشي الحويزي................................ 261
اسمه ونسبه 261
نشأته وحياته.. 261
حبه وحنانه لوالده.. 262
طموحه... 263
حياته في المنفى.. 265
ثقافته... 270
آراء العلماء فيه 271
آثاره.. 273
شعره 273
المدائح النبوية 273
شاعريته... 275
شهاب الدين الموسوي الحويزي.. 284
اسمه ونسبه وكنيته 284
نشأته وحياته وولادته 285
وفاته 289
ثقافته 290
آراء العلماء فيه 294
شعره 296

شاعريته 297
حسن التصوير 300
وصف المعارك الحربية 302
الأغراب 303
الباب الثاني - النثر - 307
الفصل الأول: النثر 309
حالة النثر 309
النثر العلمي 312
أغراض النثر الفني 321
الفصل الثاني: دراسة لأبرز شعراء النثر 357
نعمة الـلـه الجزائري 357
اسمه ولقبه 357
نشأته 357
وفاته 359
ثقافته 359
شيوخه 361
آثاره 362
نماذج من نثره 364
السلوك الرفيع والأخلاق الفاضلة 364
الكتابة عن الطبيعة والحيوان والإنسان 366
الحكايات والطرائف 368
فتح الـلـه بن علوان الكعبي القباني الدورقي#370
اسمه ولقبه 370
حياته 371

وفاته 371
ثقافته.. 371
شيوخه 372
آثاره 372
الحكيم الجزائري... #373
اسمه ولقبه.. 373
حياته.. 374
وفاته 377
ثقافته.. 377
شيوخه 378
آثاره 379
نماذج من نثره 381
نور الدين الجزائري.. 386
اسمه ولقبه.. 386
حياته.. 386
وفاته 387
ثقافته.. 388
آثاره 389
نماذج من نثره 389
ملحق بأسماء عدد من أدباء الإقليم: مصادرهم وتراجمهم..................... 393
المصادر والمراجع.. 399
فهرس المحتويات.. 413



ISBN 978-9953-563-64-0
9 789953 563640